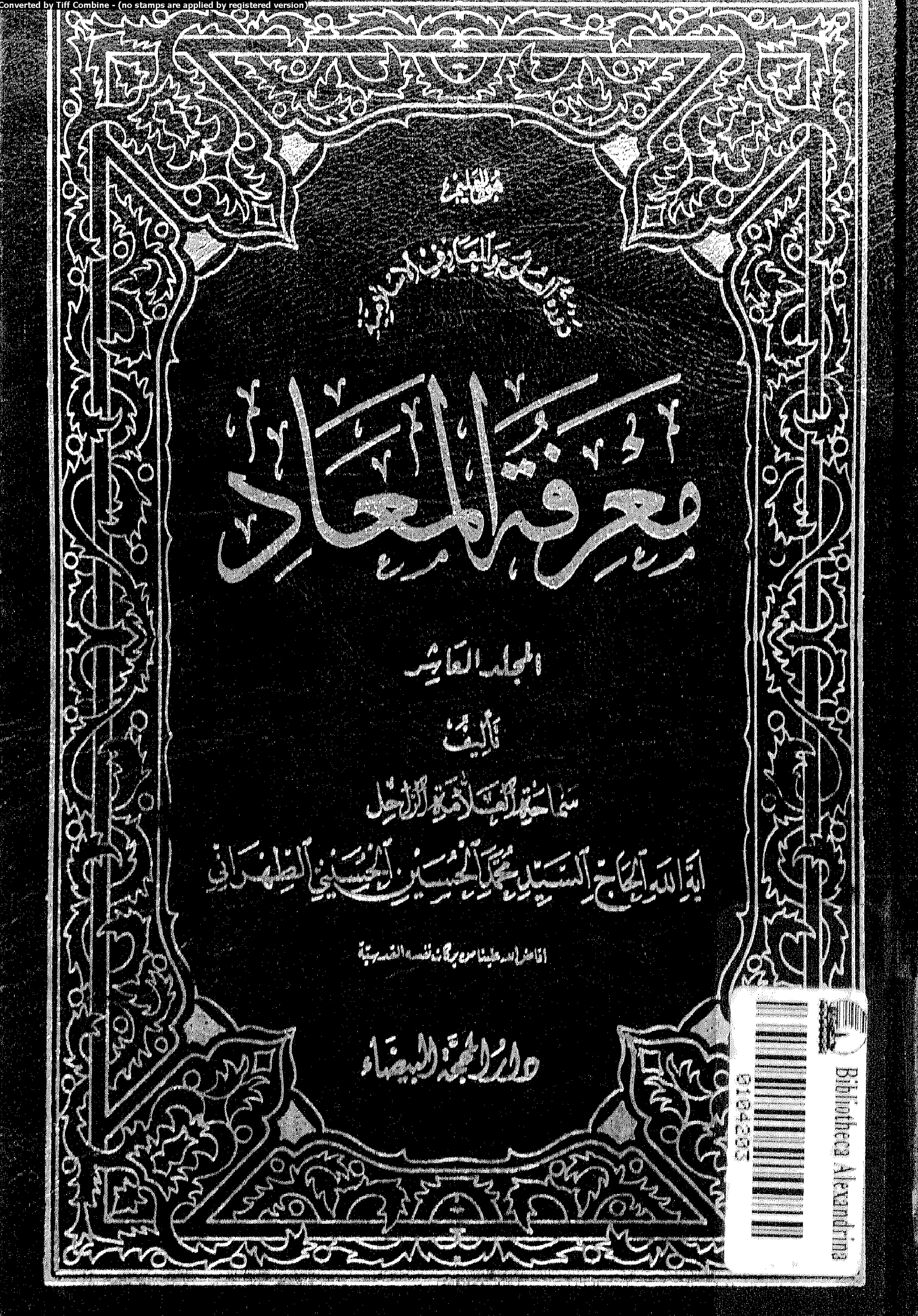
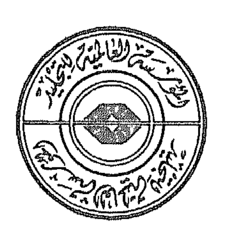


هو العليم
سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية
معرفة المعاد
المجلد العاشر
تأليف
سماحة العلّامة الراحل
آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني
أفاض الله علينا من بركات نفسه القدسية
دار المحجة البيضاء


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)







بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - حارة حريك - ص.ب : ١٤/٥٤٧٩
ت : ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٥٢٨٤٧ - فاكس : ٠١/٦٠١٠١٩ - ٠١/٦٠٣٣٧٩

هو العليم

دورة العلوم والمعارف الإسلامية

٣

معرفة المعاد

الجزء العاشر

تأليف

سماحة العلامة الراحل

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

أفاض الله علينا من بركات نفسه القدسية

تعريب

عبد الرحيم مبارك

دار المحجة البيضاء

الحسينيّ الطهرانيّ ، السيّد محمّد الحسين ، ١٣٤٥ ـ ١٤١٦ هـ . ق .
معرفة المعاد / لمؤلّفه السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ . ـ بيروت :
دار المحجّة البيضاء ، ١٤١٥ هـ . ق .
١٠ ج . ٢٥٧ ص . ـ (دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة ؛ ٣)
الطبعة الأُولى : ١٤١٩ هـ . ق .

العنوان .
٢٩٧/٤٤ BP٢٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسّسة ترجمة ونشر (دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة)

من تأليفات

العلاّمة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة (٣)

معرفة المعاد

الجزء العاشر

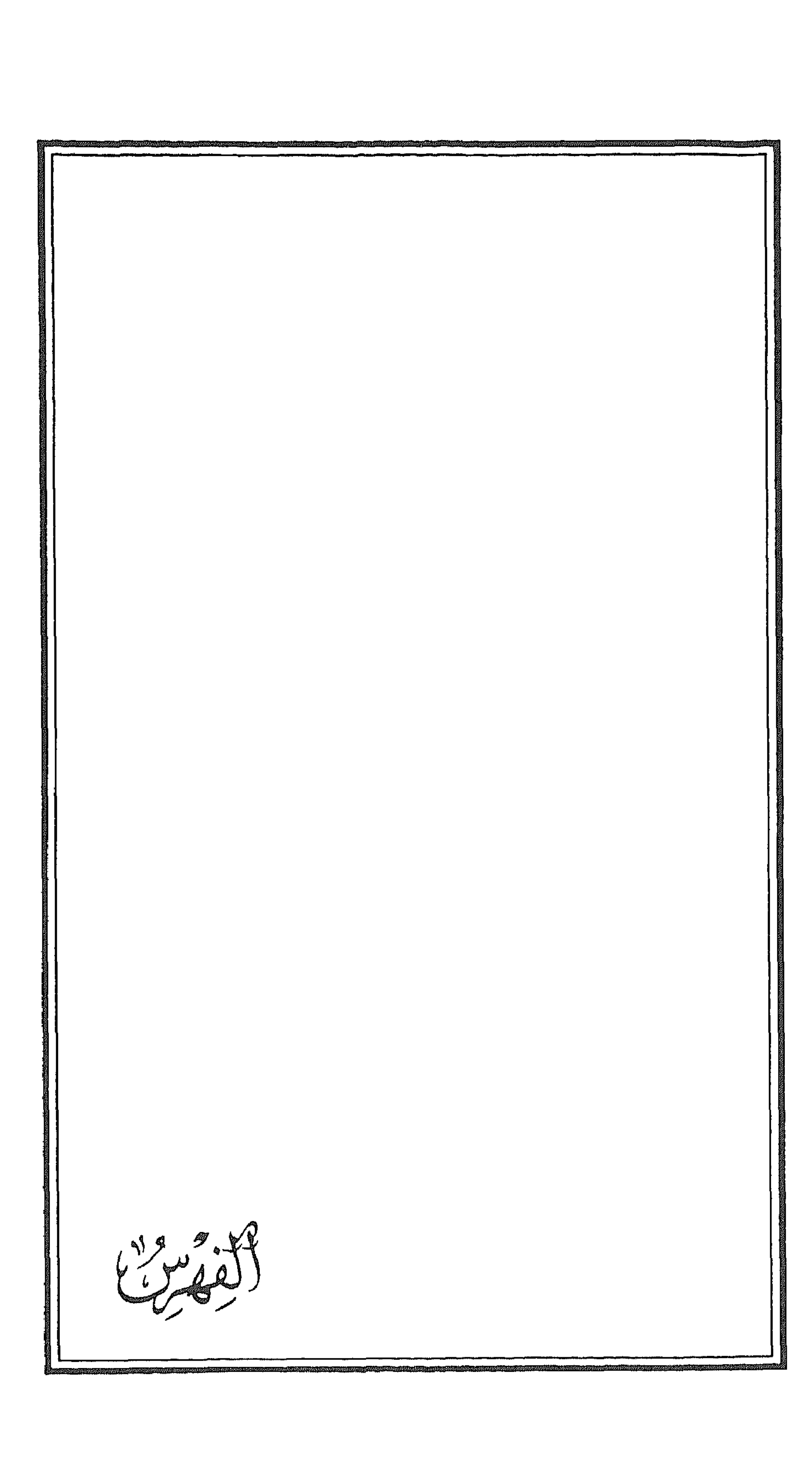
المؤلف : سماحة العلاّمة الراحل آية الله الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله نفسه الزكيّة

تعريب : عبد الرحيم مبارك

الطبعة الأُولى : ١٤١٩ هجريّة قمريّة

عدد النسخ : ٢٠٠٠

الناشر : دار المحجّة البيضاء


الفهرس



فهرس مطالب وموضوعات
معرفة المعاد
الجزء العاشر

المطالب	الصفحات

المجلس السابع والستّون :

فى الأعراف وأصحاب الأعراف

الصفحة ٣ إلى الصفحة ٢٧

يشمل المطالب التالية :

فهرس المطالب والموضوعات

فهرس المطالب والموضوعات



المجلس السابع والستون

في الأعراف وأصحاب الأعراف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ.[1]

تشير هذه الآية الكريمة إلى موقف الأعراف وإلى أصحاب الأعراف الذين يقفون في عرصات القيامة بين الجنّة والنار ، فيهيمنون عليهما معاً ، ويفصلون بين السعداء والأشقياء .

وبما أنّ وقوع الآية في سياق آيات تتحدّث عن طبيعة تخاطب أصحاب الجنّة وأصحاب النار ، وتتعرّض لذكر منزلة أصحاب الأعراف ، فمن الضروريّ أن نتعرّض أوّلاً لذكر تلك الآيات ، ثمّ نعرّج للبحث في جوانبها المختلفة .

أمّا الآيات ، فقد وردت على النحو التالي :

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ.

١ـ الآية ٤٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَـٰفِرُونَ.

وَبَيْنَهُمَا (بين أصحاب الجنّة وأصحاب النار) حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا (من أصحاب الجنّة وأصحاب النار) بِسِيمَـٰهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَـٰهُمْ قَالُوا مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ (كيف شملتهم رحمته، فسكنوا الجنان؟ ثمّ يخاطب أصحاب الأعراف أصحاب الجنّة فيقولون لهم:) ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ * ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ.[1]

وقد لاحظنا في هذه الآيات التي وردت في ذكر الأعراف أنّ لفظ

١ـ الآيات ٤٢ إلى ٥١، من السورة ٧: الأعراف.

الأعـراف قـد ورد فـي مـوضعين فـقط ، وأنّ أصـحاب الأعـراف ورجـال الأعراف ـ الذين تكرّر ذكرهم في عدّة مواضـع عـلى هـيئة ضـمائر ـ قـد انحصر ذكرهم في هذه الآيات دون غيرها .

ومن خلال التأمّل في دقائق هذه الآيات يستفاد أنّ الأعـراف يـمثّل فاصلاً وحجاباً يفصل بين أصحاب الجنّة وأصحاب النار ، وأنّ هذا الحجاب ذو درجات ومراتب تتربّع على قمّتها النفوس القدسيّة المهيمنة على الجنّة والنار ، فتعرفُ أصحاب الجنّة وأصحاب النار كلّاً بسيماهم .

ولقد ارتقت تلك النفوس في مراتب الخُلوص والقُرب ، وخطت في الأُفق العالي بحيث هيمنت على طائفتي أصحاب الجـنّة وأصـحاب النـار ، وأشرفت على الجنّة والنار وأخضعتهما لدائرة نفوذها وهيمنتها . فأصحاب تلكم النفوس هم الذين يقولون لأصحاب الجنّة **ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ** ؛ وهم الذين **يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُم** ، ومنهم المؤذّن في قوله : **أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَـيْنَهُمْ أَن لَّـعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ** ؛ وهم الفاعل في خطاب : **وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ** . وهم الذين يتلقّون أصـحاب الجـنّة ويـبشّرونهم بـالخلود ، والذيـن يـؤاخـذون أصحاب النار ويناقشونهم الحساب ويقولون لهم : **مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ** ؛ ويقولون لهم : **أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ** .

وهناك طائفة من الناس تقف في الدرجات السـفلى مـن الأعـراف ، وهم شيعة تلك النفوس القدسيّة المخلَصة وأتباعها ، وهـم مـحسوبون مـن طائفة تلك النفوس، كما يعدّ جيش السلطان جزء من حكومته، إلّا أنّ أُولئكم الشيعة والأتباع لم يدخلوا الجـنّة مـباشرة بسـبب الأخـطاء والذنـوب التـي بدرت منهم . وتقف هذه الطائفة بين الجنّة والنـار مـترقبة لفـيض الرحـمة والشفاعة ، وتنتظر نيل جواز العبور على الصراط ، على أمل هطول الرحمة

ونزول الفيض وصولاً إلى دخولهم الجنّة .

وأفراد هذه الطائفة هم الذين يسلّمون على من سبقهم إلى الجنّة فيقولون : سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ؛ وهم الذين إذا ما صُرفت أبصارهم تلقاء الظالمين من أصحاب النار ، قالوا : رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ .

وقد سبق أن برهنّا في موارد عديدة ـ من دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة ، ماكان منها في «معرفة الإمام» أم «معرفة المعاد» ـ على أنّ عباد الحقّ المخلَصين لا يحضرون في الحشر للسؤال والحساب :

فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ.[1]

وأنّ مقامهم هو المقام الأعلى والأسنى والأشرف ، وأنّ حساب الأُمم عليهم وفي أيديهم . ومادام أُولئكم هم الفائزون بمقام الفناء في الله ، والنائلون لمقام البَقَاءِ بَعْدَ الفَنَاء ومنزلة جَمْع الجَمْع ، فهم ـ إذاً ـ أعلى من الجنّة والنار ، وهم الواقفون في مرتبة الحجاب الأقرب ، والمهيمنون على كلا الفريقين ، والمتطلّعون إليهم من الأُفق الأعلى ؛ يعرفون كلّاً بسيماهم ، ويعيّنون لكلٍّ مقامه ودرجته .

هذا هو إجمال ما استفدناه من آيات الأعراف ، ونشرع الآن بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ في البحث القرآنيّ الدقيق من خلال تفسير الآية بالآية ، مستشهدين خلال ذلك بنماذج من الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة التي تدعم هذه الحقيقة وتؤيّدها ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ.

يطلق لفظ الأعراف على أعالي السور ،كما يُطلق على التلال الرمليّة الصحراويّة التي تتشكّل من خلال عصف الرياح وهبوبها . ونظراً لورود

١ـ الآيتان ١٢٧ و١٢٨ ، من السورة ٣٧ : الصافّات .

كلمة الأعراف في هذه الآية بعد كلمة : حجاب ، فيحتمل أن يكون المعنى الأوّل للأعراف هو المراد ، إلّا أنّ وجود رجال على الأعراف ممّا يدعم المعنى الثاني ويقوّيه . بَيدَ أنّه ليس ثمّة منافاة بين هذين المعنيين في الآية المباركة ، لأنّ معنى الحجاب هو : **مَا يَحْجُبُ شَيئاً عَنْ شَيْءٍ** . ولذا يمكن القول : إنّ لهؤلاء الرجال الواقفين على الأعراف مقام رفيع يجعلهم يهيمنون على أصحاب الجنّة وعلى أصحاب النار ويطّلعون على مقامَي الجنّة والنار معاً .

ولذا ، فقد **كَانُوا عَلَى الأَعْرَافِ** ليعرفوا كلّاً بسيماهم ، لأنّ الاشتقاق اللغويّ للأعراف من **عَرَفَ يَعْرِفُ مَعْرِفَةً وَعِرْفَاناً** .

وقد وصف الله تعالى الأعراف في القرآن الكريم ـ في الآية ١٣ ، من السورة ٥٧ : الحديد ـ بصفة سور ، وعبّر عن تخاطب أصحاب الجنّة وأصحاب النار بتحاور المنافقين والمنافقات مع المؤمنين والمؤمنات ؛ وهو ـ كما نرى ـ يمثّل بيان أمر واحد وحقيقة واحدة بعنوانين وتعبيرين .

يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ.[1]

وقد ورد في ذيل آية الأعراف : **وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ.**

ونلحظ من خلال مقارنة الآية الواقعة في سورة الأعراف مع نظيرتها في سورة الحديد أنّ مقولة المنافقين : **ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ** ومقولة

١ـ الآية ١٣ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

المؤمنين في جوابهم : قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا هما نفس مقولة أصحاب النار لأصحاب الجنّة بحقيقتها ، والجواب الذي يسمعونه منهم : أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ .

ومن هنا ، فإنّ السور الذي ضُرب بين المنافقين والمؤمنين هو نفس الحجاب والأعراف الفاصل بين أصحاب الجنّة وأصحاب النار ، وإنّ ما ورد في آية سورة الحديد من جعل المنافقين وراء باب هذه السور عائد إلى اشتراك أمرهم مع المؤمنين في الظاهر ، نظراً لكونهم منافقين يُبطنون الكفر . لذا ، فإنّ باب هذا السور الذي باطنه وحقيقته الإيمان سيمثّل الرحمة ، أمّا ظاهره فيجسّد العذاب . وسوف لن ينتفع المنافقون ـ الذين لا يعلمون عن الحقيقة شيئاً ـ من باطن الباب الذي يمثّل الرحمة ، وستنحصر استفادتهم بظاهر الإسلام الذي تلبّسوا به في الدنيا ، ذلك الظاهر الذي يتجلّى في المحشر في هيئة العذاب .

وحاصل المعنى هو أنّ السور والحجاب هما شيء واحد ، إلّا أنّه ذو وجهينِ : ظاهريّ وباطنيّ . أمّا ظاهره فالعذاب ؛ وأمّا باطنه فالرحمة . وسيحظى الذين أدركوا باطنه بالفوز بعاقبة الإيمان والحقيقة ؛ أمّا الذين اكتفوا بظاهره ولم يعلموا عن باطنه شيئاً ، فلن ينتفعوا من حقيقة الإيمان والعقيدة الطاهرة ، لأنّهم ما آمنوا إلّا حفظاً لمصالحهم الشخصيّة لا غير ، وهؤلاء هم الذين سيرزحون في العذاب أمام ظاهر هذا السور وهذا الباب . ولو اخترقت أنظار هذه الطائفة الظاهر إلى الباطن ، لبلغوا النعيم الإلهيّ ولشملتهم رحمة الحقّ تعالى ، لكنّهم قنعوا بظاهر السور ، فحُرِموا من الاستفادة من باطنه .

فالسور والحجاب شيء واحد إذاً ، وله ظاهر وباطن ، والاختلاف إنّما

يكمن في إدراك المؤمنين والكافرين وفهمهم له ؛ كحالهم في دار الدنيا تماماً ، حيث كان الطريق الذي ينبغي عليهم طيّه إلى الله تعالى واحداً ، فطواه المؤمنون باستقامة ، فصاروا يخطون في الصراط المستقيم ؛ أمّا الكفّار فقد انحرفوا في طيّه عن سواء السبيل . لقد كانوا سواء ، فاختلفوا في استقامة النفوس وانحرافها ، وفي الإرادة الحسنة والاختيار الحسن ، والإرادة السيّئة والاختيار السيّئ .

ونرى أنّه ورد في الآية : يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ،[1] (للدلالة على) أنّ المنافقين قد شاركوا المؤمنين في دار الدنيا في جميع الجوانب الطبيعيّة والمزايا المادّية ، حيث كانوا يعيشون على أرض واحدة وينحدرون من نفس الأبوين والعشيرة ، ويتناولون طعاماً واحداً ، ويُنجزون نفس الأعمال ويتمتعون بنفس العمر ؛ فليس ثمّة تمايز فيما بينهم من الناحية الطبيعيّة إذاً ؛ أمّا في النوايا والأهداف والأخلاق والدوافع المعنويّة فهم مختلفون تماماً ، فاستدعى ذلك سَوْق الكفّار إلى جهنّم ، وهدي المؤمنين إلى الجنّة .

فالصراط واحد ، وهو الطريق الذي يتوجّب على الإنسان طيّه تجاه الله تعالى . أمّا المؤمنون فيطوون الصراط المستقيم ، لكنّ الكافرين والمنافقين والمسيئين إنّما يسلكون الصراط المنحرف المعوجّ .

وقد ورد قبل آية الأعراف ، قوله تعالى :

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ

١ـ الآية ١٤ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّـهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ كَـٰفِرُونَ.

الطريق إلى الله واحد ، لكنّ البعض يسلكه باستقامة وصدق ، بينما البعض الآخر يسلكه بانحراف وزيغ ، وهو بذاته الحقيقة الواحدة لسور الأعراف وحجابه ، حيث يلتفت البعض إلى باطن السور الذي يمثّل الرحمة ، ويلتفت البعض الآخر إلى الظاهر الذي يجسّد النقمة والنكبة .

وقد تكرّر هذا المطلب في القرآن الكريم تصريحاً وتلميحاً ، كقوله تعالى :

يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ.[1]

حيث يتّضح ـ بقرينة المقابلة التي جعلت الآخرة مقابل ظاهر الحياة الدنيا ـ أنّ المقصود بالآخرة هو باطن الحياة الدنيا . فهناك حياة واحدة لا غير ، وهي حياة ذات ظاهر وباطن ؛ فظاهرها هذه الحياة البهيميّة ، أي حياة الشهوة والوهم والغفلة عن المقرّ الأبديّ وعن الحياة الإنسانيّة الأبديّة المعنويّة ، أمّا باطنها فهو الحياة الإنسانيّة المعنويّة والروحيّة والعقليّة المتلازمة مع الوعي ، بَيدَ أنّ هاتين الصورتين اللتين تعكسان جانبي هذه الحياة الواحدة ستتجلّيان بعد الموت .

وكقوله تعالى : أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ.[2]

أي أنّهم لو تأمّلوا بنظر الحقّ في خلق السماوات والأرض ، ولاحظوه

١ـ الآية ٧ ، من السورة ٣٠ : الروم .

٢ـ الآية ٨ ، من السورة ٣٠ : الروم .

مع الحقّ والأجل المسمّى ، لجُسّد لهم الصراط الفكريّ المستقيم الراسخ . أمّا لو تطلّعوا إليه بنظر الباطل المقترن بإنكار لقاء الله ، لمُثّل لهم سبيل الانحراف الفكريّ .

وكقوله تعالى : وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ .[1]

السبيل إلى الله تعالى واحد ، أمّا الكافر فيرى السراب ماءً ، وأمّا المؤمن فيرى الماء على حقيقته ؛ ثمّ يسير الكافر والمؤمن إلى غايتيهما ، فيبقى الأوّل ظمآناً ويُجزى على غفلته ووهمه ، وينهل الثاني ريّاً رويّاً .

وكقوله تعالى : فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ .[2]

وهو قول صريح في أنّ العيش في دار الدنيا إذا اقترن بقصر الهمّة على البهيميّة والمراتب المتنزّلة من العيش والمعاشرة ،كان عين الضلال والإعراض عن ذكرالله تعالى ، أمّا لو اقترن بجعل لقاء الله هدفاً ومقصداً ، وبالتعالي عن هذه المراتب المتدنّية ،كان عين الاهتداء .

وكقوله تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ * أُولَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ .[3]

١ـ الآية ٣٩ ، من السورة ٢٤ : النور .

٢ـ الآيتان ٢٩ و٣٠ ، من السورة ٥٣ : النجم .

٣ـ الآيتان ٧ و٨ ، من السورة ١٠ : يونس .

الذي يبيّن أنّ الركون إلى ظاهر الحياة الدنيا والاكتفاء بها دون رجاء لقاء الله ، إنّما هو ركون إلى النار . وفي المقابل فإنّ العيش المقترن برجاء لقاء الله ، وعدم الاعتماد على أُمور الدنيا الزائلة ، والالتفات إلى آيات الله ودرايتها ، هو السعادة والجنّة .

والآيات الواردة في هذا الشأن كثيرة ، لكنّ الآية التالية أكثر صراحة من غيرها :

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ.[١]

وقد ذكرنا سابقاً أنّ المراد من النعمة هنا الولاية . والولاية هي السبيل إلى الله تعالى . ويقابلها الكفر ، وهو إغلاق طريق العبوديّة .

ومن هنا ، فإنّ البوار والهلاك هما غاية ونهاية سير مثل هؤلاء الأفراد الجامدين على الظاهر والمعرضين عن الباطن ، لأنّ مصير الظاهر إلى الفناء والفساد ، أمّا الباطن فيمتاز بالثبوت والرسوخ والخلود .

كما يقول تعالى : **وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ.**[٢]

ويقول : **فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ.**[٣]

ويقول : **لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا.**[٤]

ويقول : **لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا.**[٥]

ومن هنا ، فإنّ غاية المؤمنين تتمثّل في مقعد الصدق والحقّ ، حيث

١ـ الآيتان ٢٨ و٢٩ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢ـ الآية ٢ ، من السورة ١٠ : يونس .

٣ـ الآية ٥٥ ، من السورة ٥٤ : القمر .

٤ـ الآية ٢٥ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٥ـ الآية ٣٥ ، من السورة ٧٨ : النبأ .

لا لغو ولا كذب ولا باطل، خلافاً لغير المؤمنين.

وإجمالاً، فإنّ أصحاب مقامات الأعراف العالية هم المهيمنون على الجنّة والنار والمتصرّفون في السعداء والأشقياء.

وباعتبار علمنا بعدم مشابهة تلكم التلال للتلال الرمليّة الطبيعيّة، لأنّ الأرض لن تكون يومذاك على هيئتها الحاليّة، بل ستكون أرضاً لا ارتفاع فيها: **وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا.**[1] فيكون المراد بأصحاب الأعراف، أصحاب المنزلة الرفيعة قياساً إلى أهل المحشر الذين هم أهل الجمع.

وأصحاب الأعراف ليسوا من **المُحضرين**، لأنّهم من **المخلَصين** الذين آمنهم الله من الصعق ونفخ الصور ومن فزع ذلك اليوم. أمّا مقامهم **فالحجاب** الذي ينطوي على رحمة وسعت كلّ شيء وهيمنت على النار المستولية على أهلها ويمكن استيحاء هذا المعنى من قوله تعالى: **فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ**؛ وذلك أنّه لم يقل **فَأَذَّنَ بَيْنَهُمْ مُؤَذِّنٌ**، لأنّ الظاهر في العبارة الأُولى عدم كون المؤذّن منهم، بل هو مسيطر عليهم. خلافاً للعبارة الثانية الظاهرة في أنّ المؤذّن منهم.

وأصحاب الأعراف هم الحاكمون يوم القيامة على الجنّة والنار معاً، وهم الذين يُحاسبون أصحاب النار ويؤاخذونهم؛ وآية الأعراف صريحة في هذا الأمر: **وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ.**

ثمّ يوجّه أصحاب الأعراف أمرهم لأصحاب الجنّة أنّ: **ٱدْخُلُوا**

١ـ الآيات ١٠٥ إلى ١٠٧، من السورة ٢٠: طه.

ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ.

وأصحاب الأعراف هم أصحاب الروح الذين يؤذن لهم وللملائكة في الكلام يوم القيامة، فيتكلّمون بالصواب.

يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا.[1]

لأنّهم اكتسبوا الإيمان والعلم بالكتاب من خلال وحي الروح الذي هو موجود أفضل من جميع الملائكة.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ.[2]

وهم الذين يحكمون يوم القيامة بخسران الذين خسروا أنفسهم وأهليهم: وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ.[3]

وعلى الرغم من أنّ ظاهر الآية هو أنّ المؤمنين هم الذين يحكمون بهذا الحكم بعنوان قضاء وحكومة، إلّا أنّ هذا الأمر مختصّ بالمتّصفين بصفات أصحاب الأعراف، حيث يعدّ هذا الحكم من جملة وظائفهم.

وأصحاب الأعراف هم الذين أُعطوا العلم والإيمان، وهم الذين يجيبون على ادّعاء المجرمين بأنّهم لم يلبثوا غير ساعة، فيخاطبونهم: لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث:

١ـ الآية ٣٨، من السورة ٧٨: النبأ.

٢ـ الآية ٥٢، من السورة ٤٢: الشورى.

٣ـ الآية ٤٥، من السورة ٤٢: الشورى.

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَاتَعْلَمُونَ.[١]

لقد أخطأ المجرمون في ظنّهم ، لأنّهم قيّدوا أنفسهم في الدنيا وقصروا أبصارهم وانتباههم على الساعات التي انهمكوا فيها بالأفكار الشيطانيّة والهواجس النفسانيّة واللذائذ الحيوانيّة البهيميّة ، ولم يوسّعوا أُفق أفكارهم وأبصارهم أبعد من ذلك ، بحيث يتطلّعون إلى ما قبل مجيئهم إلى الدنيا ، وإلى ما بعد رحيلهم عنها ، ليدركوا ـ بحسب السيطرة على الزمان ـ هذا الأمد المتطاول والمدّة المديدة . فهم لم يشاهدوا إلّا الساعة الفعليّة التي سرعان ما تأتي وتمرّ ، فصاروا يُقسِمون يوم الحشر أن : ما لبثنا في الدنيا غير ساعة .

أجل ، لو قايسنا بين فترة الحياة الدنيويّة وبين الدهر ، لكانت مدّة الدنيا ضئيلة وقليلة جدّاً ، ولأمكن القول حقّاً بأنّها ليست أكثر من ساعة واحدة . إلّا أنّ أُولئك المجرمين لم يقصدوا بمقولتهم هذه النسبة ، وإلّا لصدق قولهم . ونرى أنّهم لم يقصدوا بقولهم هذا الأمر ، لذا فقد عوتبوا على كلامهم ، وعدّ قولهم بأنّهم لم يلبثوا غير ساعة إفكاً وكذباً .

لكن عمر الإنسان ـ كما سبق أن ذكرنا ـ وقياساً إلى امتداد الزمان والدهر ، لا يمثّل إلّا ساعة واحدة ؛ قال تعالى : كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ.[٢]

وقال تعالى : قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا

١ـ الآيتان ٥٥ و٥٦ ، من السورة ٣٠ : الروم .

٢ـ الآية ٣٥ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ ٱلْعَآدِّينَ * قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ.[١]

يقول عزّ وجلّ : لو أنّكم اطّلعتم على حياتكم الأبديّة ، لعلمتم أنّ مكثكم في الدنيا كان قليلاً جدّاً ولو استغرق سنين عديدة .

وعلى أيّة حال ، فقد يكون خطاب أهل العلم والإيمان للمجرمين : لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . إشارة إلى قوله تعالى : وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ.[٢] وإشارة إلى الآية : هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ.[٣]

وقد أوردنا في بداية بحث «معرفة المعاد» ـ في المجلس الثاني من الجزء الأوّل ـ بحثاً في الأجل والأجل المسمّى الواردين في الآية الكريمة : مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ، واتّضح أنّ الأجل المسمّى هو أجل ثابت عند الله تعالى ، وأنّه هو الجانب الملكوتيّ الثابت لهذا الأجل .

ومن هنا ، فإنّ أصحاب العلم والإيمان (وهم أصحاب الأعراف) قد تحدّثوا في خطابهم للمجرمين عن ذلك الجانب الملكوتيّ وعن تعيين الأجل المسمّى ، وأنّهم خاطبوهم : لمّا كان لبثكم وانقضاء ذلك اللبث أمرين مسلّمين ، فهذا هو يوم البعث ، لكنّكم كنتم لا تعلمون بهذا التحديد وهذا الأجل الملكوتيّ ، وكنتم لا ترون الأجل المسمّى حاكماً على الأجل

١ـ الآيات ١١٢ إلى ١١٤ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

٢ـ الآية ١٤ ، من السورة ٤٢ : الشورى .

٣ـ الآية ٢ ، من السورة ٦ : الأنعام .

ومحيطاً به ، ولا تعلمون : إِنَّ السَّاعَةَ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هِىَ أَقْرَبُ ، ولا تعلمون : إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ؛ ولذلك فقد كنتم في جهل وغفلة ؛ وها قد علمتم أنّ هذا هو يوم القيامة ، يوم البعث والحشر .

وينبغي أن لا ننسى القول بأنّ هذا الادّعاء الخاطئ من المجرمين بأنّهم لم يلبثوا غير ساعة ، وظهور بطلان هذا الادّعاء ، وأمثال هذه الاختلافات الناجمة عن المخاصمات بين المستضعفين والمستكبرين ، والمجادلات التي يذكر القرآن وقوعها بين الذين اتّبَعوا والذين اتُّبِعوا ، والمشاجرات التي تنشب بينهم يوم القيامة حول المسائل الدنيويّة ، فيحاول كلّ منهم التنصّل عن الذنب ورميه على عاتق غيره ؛كلّ ذلك لا يتنافى مع ما مرّ سابقاً من أنّ يوم القيامة هو يوم تجلّي الحقائق وإزالة الحجب وإظهار السرائر ، لأنّ كشف الحقائق وتجلّيها بما لا يمكن إنكارها ، إنّما يحصل بدرجات متفاوتة . فقد يحصل الكشف لدى البعض بصورة كاملة ، بينما يحصل لدى البعض الآخر بصورة إجماليّة ، ويوجد هذا الاختلاف في جميع شؤون القيامة .

وتنقسم الروايات الواردة في هذا الباب إلى عدّة أقسام بلحاظ المضمون والموضوع :

الأوّل : الروايات الدالّة على أنّ لفظ الأعراف يتضمّن المعرفة والعرفان ؛ وربّما نشأ أساس هذا النوع من تعبير الآية القرآنيّة الكريمة : وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ .

وقد عُدّ الوقوف على الأعراف في هذه الآية خاصّاً بمن يعرفون الناس بسيماهم ، فيما لو أرجعنا الضمير «هُمْ» إلى «كُلًّا» ؛ أو بالعلامات الموجودة في سيمائهم فيما لو أرجعنا الضمير «هُمْ» إلى «رِجَال» .

ويمكن أن نقول بأن الضمير راجع إلى «كلًّا» وإلى «رجال» على حدٍّ

سواء ، إذ لا إشكال في ذلك من الناحية الأدبيّة ، كما أنّه لا ضير في إرجاع الضمير إلى جامع بين شيئين مذكورين في عبارة .

جاء في «تفسير مجمع البيان» : وذكر أنّ بكر بن عبد الله المزنيّ قال للحسن : بلغني أنّهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم . فضرب الحسن يده على فخذه وقال : هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف أهل الجنّة والنار ، يميّزون بعضهم عن بعض . والله لا أدري لعلّ بعضهم معنا في هذا البيت .

وقيل إنّ الأعراف موضع عالٍ على الصراط عليه **حمزة والعبّاس وعليّ وجعفر** يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه ومُبغضيهم بسواد الوجوه ؛ عن الضحّاك عن ابن عبّاس ، رواه الثعلبيّ بالإسناد في التفسير ؛ ثمّ قال :

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ البَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؛ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ [1] .

وفي «تفسير العيّاشيّ» عن هِلقام ، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال : سألتُه عن قول الله : **وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ** ؛ ما يعني بقوله : **وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ** ؟

قال : ألستم تعرفون عليكم عرفاء على قبايلكم ليعرفون مَن فيها مِن صالح أو طالح ؟

قلتُ : بلى .

قال : فنحن أُولئك الرجال الذين يعرفون كلّا بسيماهم . [2]

وروى العيّاشيّ عن زاذان ، عن سلمان قال : سمعتُ رسول الله

١ـ تفسير «مجمع البيان» ج ٢ ، ص ٤٢٣ ، طبعة صيدا .

٢ ـ «تفسير العيّاشيّ» ج ٢ ، ص ١٨ .

صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول لعليّ أكثر من عشر مرّات :

يَا عَلِيُّ ! إنَّكَ وَالأَوْصِيَاءُ مِنْ بَعْدِكَ أَعْرَافٌ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلَّا مَنْ عَرَفَكُمْ وَعَرَفْتُمُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إلَّا مَنْ أَنْكَرَكُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ .[1]

كما روى العيّاشيّ عن سعد بن طريف ، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام في هذه الآية : وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ؛ قال :

يا سعد ! هم آل محمّد عليهم السلام ؛ لا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه .[2]

وروى عن الثماليّ ، قال : سئل أبو جعفر (الباقر) عليه السلام عن قول الله : وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ؛ فقال أبو جعفر :

نَحْنُ الأَعْرَافُ الَّذِينَ لَا يُعْرَفُ اللَهُ إلَّا بِسَبَبِ مَعْرِفَتِنَا ؛ وَنَحْنُ الأَعْرَافُ الَّذِينَ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلَّا مَنْ عَرَفَنَا وَعَرَفْنَاهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إلَّا مَنْ أَنْكَرَنَا وَأَنْكَرْنَاهُ ؛ وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَهَ لَوْ شَاءَ أَنْ يُعَرِّفَ النَّاسَ نَفْسَهُ لَعَرَّفَهُمْ ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَنَا سَبَبَهُ وَسَبِيلَهُ وَبَابَهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ .[3]

وفي «بصائر الدرجات» عن محمّد بن الحسين ، عن موسى بن سعدان ، عن عبد الله بن قاسم ، عن بعض أصحابه ، عن سعد الإسكاف ، قال : قلتُ لأبي جعفر عليه السلام : قوله عزّ وجلّ : وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ؛ فقال : يا سعد ! إنّها أعراف لا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه ، وأعراف لا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه ، وأعراف لا يُعرف الله إلّا بسبيل معرفتهم .

---

١ و ٢ـ «تفسير العيّاشيّ» ج ٢ ، ص ١٨ .

٣ـ «تفسير العيّاشيّ» ج ٢ ، ص ١٩ .

فَلَا سَوَاءٌ مَا اعْتَصَمَتْ بِهِ الْمُعْتَصِمَةُ وَمَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَ النَّاسِ ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عَيْنٍ كَدِرَةٍ يَفْرُغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، وَمَنْ أَتَى آلَ مُحَمَّدٍ أَتَى عَيْناً صَافِيَةً تَجْرِي بِعِلْمِ اللهِ لَيْسَ لَهَا نَفَادٌ وَلَا انْقِطَاعٌ .

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَوْ شَاءَ لَأَرَاهُمْ شَخْصَهُ حَتَّى يَأْتُوهُ مِنْ بَابِهِ ، لَكِنْ جَعَلَ اللَّهُ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ الأَبْوَابَ الَّتِي يُؤْتَى مِنْهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ : «وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّـقَىٰ وَأْتُـوا ٱلْـبُيُوتَ مِـنْ أَبْوَٰبِهَا» .[1]

وقد أورد فرات بن إبراهيم الكوفيّ في تفسيره نظير هذه الروايات في أصحاب الأعراف عن الأصبغ بن نباتة وعن حبّة العرنيّ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .[2] كما أوردها الشيخ الصدوق في «معاني الأخبار» عن الإمام الباقر ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .[3] كما أورد نظير ذلك عليّ بن إبراهيم في تفسيره .[4] وأورده الكلينيّ عن الإمام الصادق عليه السلام في كلام ابن الكوّاء مع أمير المؤمنين عليه السلام .[5]

الثاني : الروايات الدالّة على أنّ المؤذّن بين أصحاب الجنّة وأصحاب النار بأن لعنة الله على الظالمين ، هو أمير المؤمنين عليه السلام .

فقد روى الطبرسيّ عن أبي القاسم الحسكانيّ بإسناده عن محمّد ابن الحنفيّة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : **أَنَا ذَلِكَ الْمُؤَذِّنُ .**

كما روى الحسكانيّ بإسناده عن أبي صالح عن ابن عبّاس ، قال :

١ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣٣٦ ، عن «بصائر الدرجات» .

٢ـ «تفسير فرات» ص ٤٦ .

٣ـ «معاني الأخبار» ص ٥٩ ، طبعة المطبعة الحيدريّة .

٤ـ «تفسير القمّيّ» ص ٦٩٤ .

٥ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ١٨٤ ، الطبعة الحروفيّة .

إنَّ لِعَليٍّ فِي كِتَابِ اللهِ أَسْمَاءً لَا يَعْرِفُهَا النَّاسُ ؛ قَوْلُهُ : «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ» فَهُوَ المُؤَذِّنُ بَيْنَهُمْ ، يَقُولُ : أَلَا لَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ كَذَّبُوا بِوَلَايَتِي وَاسْتَخَفُّوا بِحَقِّي.[1]

وروى العيّاشيّ عن محمّد بن الفضيل ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، في قوله : «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ» ؛ قال : المُؤَذِّنُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.[2]

وروى الكلينيّ عن الحسين بن محمّد ، عن المعلّى بن محمّد ، عن الوشّاء ، عن أحمد بن عمر الحلّال ، قال : سألتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قوله تعالى : فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ؛ قال : المؤذّن أمير المؤمنين عليه السلام.[3]

الثالث : الروايات الدالّة على أنّ الرجال الواقفين على الأعراف هم أئمّة آل محمّد عليهم السلام .

فقد روى الصفّار في «بصائر الدرجات» عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن أبي أيّوب ، عن بُريد العجليّ ، قال :

سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن قول الله : «وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ» ، قَالَ :

أُنْزِلَتْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَالرِّجَالُ هُمُ الأَئِمَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ .

قُلْتُ : فَمَا الأَعْرَافُ ؟

قَالَ : صِرَاطٌ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَمَنْ شَفَعَ لَهُ الأَئِمَّةُ مِنَّا مِنَ المُؤْمِنِينَ

١ـ «مجمع البيان» ج ٢ ، ص ٤٢٢ ، طبعة صيدا ؛ و«بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣٣١ .

٢ـ «تفسير العيّاشيّ» ج ١ ، ص ٣٥٥ ؛ ووردت هذه الرواية في «تفسير البرهان» ج ٢ ، ص ١٧ ؛ و«تفسير الصافي» ج ١ ، ص ٥٧٨ .

٣ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ٤٢٦ .

وَالمُذْنِبِينَ نَجَا ، وَمَنْ لَمْ يَشْفَعُوا لَهُ هَوَى.[1]

كما روى في «بصائر الدرجات» عن بعض الأصحاب ، عن محمّد بن الحسين ، عن صفوان ، عن ابن مُسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام في قول الله تعالى :

«وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ» ؛ **قَالَ : الأَئِمَّةُ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ فِي بَابٍ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ عَلَى سُورِ الجَنَّةِ ، يَعْرِفُ كُلُّ إمَامٍ مِنَّا مَا يَلِيهِ. قَالَ رَجُلٌ : مَا مَعْنَى مَايَلِيهِ ؟ قَالَ : مِنَ القَرْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِ إلَى القَرْنِ الَّذِي كَانَ.**[2]

وأورد العيّاشيّ في تفسيره عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام ، قال :

أَنَا يَعْسُوبُ المُؤْمِنِينَ ، وَأَنَا أَوَّلُ السَّابِقِينَ ، وَخَلِيفَةُ رَسُولِ رَبِّ العَالَمِينَ ، وَأَنَا قَسِيمُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَأَنَا صَاحِبُ الأَعْرَافِ.[3]

وهذه الطوائف الثلاث من الروايات متّفقة في الدلالة على أنّ رجال الأعراف هم أئمّة أهل البيت من آل محمّد عليهم السلام .

الرابع : الروايات الدالّة على أنّ الواقفين على الأعراف هم الأئمّة من محمّد مع أتباعهم من المذنبين الذين يرجون في حقّهم العفو والشفاعة والرحمة ، كالرواية الواردة في «تفسير عليّ بن إبراهيم» عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن أبي أيّوب ، عن بريد ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، قال :

---

١ ـ «بصائر الدرجات» ص ١٤٦ .

٢ـ «بصائر الدرجات» ج ١٠ ، ص ٥٠٠ ، باب ١٦ ، حديث ١٩ .

٣ـ «تفسير العيّاشيّ» ج ٢ ، ص ١٧ و١٨ .

الأعراف كثبان بين الجنّة والنار ، والرجال الأئمّة صلوات الله عليهم ، يقفون على الأعراف مع شيعتهم وقد سيق المؤمنون إلى الجنّة بلا حساب ، فيقول الأئمّة لشيعتهم من أصحاب الذنوب : انظروا إلى إخوانكم في الجنّة قد سيقوا (سبقوا ـ خ) إليها بلا حساب ، وهو قوله تبارك وتعالى : **سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ**.

ثمّ يقال لهم : انظروا إلى أعدائكم في النار ، وهو قوله :

وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ، في النار فـ **قَالُوا مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ**، في الدنيا ، **وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ**.

ثمّ يقولون (والضمير عائد للأئمّة) لمن في النار من أعدائهم : أهؤلاء شيعتي وإخواني الذين كنتم أنتم تحلفون في الدنيا أن لا ينالهم الله برحمة ؟ ثمّ يقول الأئمّة لشيعتهم : **ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ** ؛ ثمّ : **نَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ**.[1]

وقال المرحوم الصدوق في كتابه «العقائد» : اعتقادنا في الأعراف أنّه سور بين الجنّة والنار ، وعليه رجال يعرفون كلّا بسيماهم . والرجال هم النبيّ صلّى الله عليه وآله وأوصياؤه عليهم السلام . ولا يدخل الجنّة إلّا مَن عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلّا مَن أنكرهم وأنكروه . وعند الأعراف : المرجون لأمر الله ، إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم .[2]

الخامس : الروايات الدالّة على أنّ الواقفين على الأعراف هم

١ـ «تفسير عليّ بن إبراهيم» ص ٢١٦ و٢١٧ .

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٨، ص ٣٤٠ ، نقلاً عن «العقائد».

المذنبون والخاطئون الذين استوت حسناتهم وسيّئاتهم ، ولم يصدر في حقهم الحكم النهائيّ .

فقد أورد العيّاشيّ عن الطيّار ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ؛ قالَ :

قُلْتُ لَهُ : أَيُّ شَيْءٍ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ ؟

قَالَ : اسْتَوَتِ الحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ ؛ فَإِنْ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الجَنَّةَ فَبِرَحْمَتِهِ ، وَإِنْ عَذَّبَهُمْ لَمْ يَظْلِمْهُمْ .[1]

وروى عليّ بن إبراهيم ، قال :

سُئِلَ العَالِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مُؤْمِنِي الجِنِّ ، أَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ؟

فَقَالَ : لَا ؛ وَلَكِنَّ لِلَّهِ حَظَائِرَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ يَكُونُ فِيهَا مُؤْمِنُو الجِنِّ وَفُسَّاقُ الشِّيعَةِ .[2]

وقال سعدي الشيرازيّ في هذه الطائفة :

ای سیر ترا نان جوین خوش ننماید
معشوق منست آنکه به نزدیک تو زشت‌است
حوران بهشتی را دوزخ بود أعراف
از دوزخیان پرس که أعراف بهشت است[3]

١ـ «تفسير العيّاشيّ» ج ٢ ، ص ١٨ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣٣٧ .

٢ـ «تفسير القمّيّ» ص ٦٢٢ .

٣ـ «كلّيّات سعدى» ص ٢٣ ، طبعة فروغي «گلستان» .

يقول : «لا يُبهجك قرص الشعير أيّها الشبعان الممتلئ ، فما يبدو لديك قبيحاً هو معشوقي .

وبينما حور الجنان يحسبن الأعراف جحيماً ، لو نشدتَ عنه الجهنّميّون تعالوا : بل هو الجنّة» .

وحاصل مجموع الروايات بلحاظ جمع الدلالة بينها ، هو أنّ الأعراف مكان وسور بين الجنّة والنار ، له درجات إلى الأعلى ودركات إلى الأسفل ، يقف الأئمّة عليهم السلام في درجاته العليا ، أمّا في قاعدته ودرجاته السفلى فيقف الشيعة وأفراد من الفسّاق الذين لم يُبتّ في أمرهم بعدُ . وفي الحقيقة فإنّ كلّ إمام يقف على الأعراف مع أُمّته التي لم يصدر الحكم النهائيّ في أمرها .

وبطبيعة الحال ، فإنّ الذروة من مقام الأعراف هي مقام رفيع ومنيع لا يبلغه أحد ولا يرقى إلى ذراه أيّ نسر مهما حلّق وارتفع ، لأنّ ذلك المقام مختصّ بالحاكمين على الجنّة والنار وبالمهيمنين على أصحاب الجنّة وأصحاب النار ، فهم الواقفون في ذلك الأُفق المبين والمقام الجليل ويعرفون كلاًّ بسيماهم ، ويعيّنون لكلّ واحد من أصحاب الجنّة مقامه في درجاتها الثمان ، ويوزّعون أصحاب النار على دركاتها السبعة .

وتنطبق جميع هذه الروايات مع مضامين الآيات التي ذكرناها ، فقد ذكرت الآيات رجال الأعراف بصفاتهم ، وبيّنت أنّ ذلك المقام لا يناله إلّا المقرّبون من الحضرة الأحديّة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام . كما ورد في الآيات ـ كما شاهدنا ـ خصائص طائفة لم تدخل الجنّة بعد ، تلك المنتظرة على أمل أن تشملها رحمة ربها لدخول الجنّة .

إلّا أنّ هناك نكتة ينبغي التطرّق إليها في هذا المجال ، وهي : أين يقع مقام الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها ؟ وهل تقف على الأعراف أم في درجات أدنى منها ؟

ليس هناك من شكّ في أنّ مقامها المقدّس مماثل لمقام أبنائها من أئمّة أهل البيت ، وتكمن علّة عدم تصريح هذه الروايات بوقوف الزهراء على الأعراف في أنّ ضعفاء العقول يتخيّلون أنّ الأعراف تلّ يماثل تلال

الدنيا ، وأنّ ارتقاء تلك المخدّرة لذلك التلّ ممّا يتنافى ومقام الحياء والعصمة .

وقد ورد في بعض الروايات التي استشهدنا بها سابقاً أنّ الزهراء عليها السلام تمتلك مقاماً في المحشر وفي سائر المشاهد الأُخرى يماثل مقام الأئمّة ، وأنّ تلك المخدّرة تحضر عند الشخص المحتضر ، إلّا أنّ اسمها ـ مع كلّ ذلك ـ لم يرد في الروايات إجلالاً لها ، وخاصّة في الروايات التي تقصر أفهام العامّة عن إدراكها ، لأنّهم لا يعلمون أنّه ليس ثمّة عنوان للأُنوثة مقابل الذكورة في مقام الأعراف الرفيع الذي يسمو على الجنّة والحجاب الأقرب ، وأنّ هذه العناوين تتعلّق بالأعراف السفلى والجنّة والنار ؛ لذا فقد انطوى اسمها المقدّس في عنوان الرجال في الآية المباركة : **وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ** ، تماماً كما انطوى اسمها المقدّس ـ بلا أدنى ريب ـ في عنوان «الرجال» الوارد في آية النور المباركة :

فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ.[1]

ولا يسعنا المجال للتوسّع في إعلام أخلّاء الروح وإخوة الإيمان عن جلالة مقام هذه المرأة التي أضحت فخر آلاف الأنبياء والأئمّة ، وغدت شفيعة الأنبياء من ذوي العزم وشفيعة الصدّيقين والشهداء ، فقد كانت سرّ رسول الله ، وسلالة النبوّة وجوهرها . ولقد كان رسول الله يقبّل يدها ويُجلسها مكانه ويتردّد على بيتها باستمرار ، وكان إذا عاد من سفر أو غزوة فأوّل ما يذهب إلى بيتها لرؤيتها .

١ـ الآيتان ٣٦ و٣٧ ، من السورة ٢٤ : النور .

وَ(صَلَواتُ اللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَحَمَلَةِ عَرْشِهِ وَجَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ) عَلَى الجَوْهَرَةِ القُدْسِيَّةِ فِي تَعَيُّنِ الإنْسِيَّةِ.

صُورَةِ النَّفْسِ الكُلِّيَّةِ، جَوَادِ العَالَمِ العَقْلِيَّةِ، بَضْعَةِ الحَقِيقَةِ النَّبَوِيَّةِ، مَطْلَعِ الأَنْوارِ العَلَوِيَّةِ، عَيْنِ عُيُونِ الأَسْرَارِ الفَاطِمِيَّةِ.

النَّاجِيَةِ المُنْجِيَةِ لِمُحِبِّيهَا عَنِ النَّارِ، ثَمَرَةِ شَجَرَةِ اليَقِينِ، سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِينَ، المَعرُوفَةِ بِالقَدْرِ، المَجْهُولَةِ بِالقَبْرِ، قُرَّةِ عَيْنِ الرَّسُولِ، الزَّهْرَاءِ البَتُولِ عَلَيْهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ)[1].

أُمُّ أَئِـمَّةِ العُـقُولِ الغُـرِّ بَـلْ ... أُمُّ أَبِـيهَا وَهْـوَ عِـلَّةُ العِـلَلْ

رُوحُ النَّبِيِّ فِي عَظِيمِ المَنْزِلَه ... وَفِي الكِفَاءِ كُفْؤُ مَنْ لَا كُفْوَ لَه

تَمَثَّلَتْ رَقِـيقَةُ الوُجُـودِ ... لَطِـيفَةٌ جَـلَّتْ عَـنِ الشُّـهُودِ

تَطَوَّرَتْ فِي أَفْضَلِ الأَطْـوَارِ ... نَـتِيجَةُ الأَدْوَارِ وَالأَكْـوَارِ

تَـصَوَّرَتْ حَـقِيقَةُ الكَـمَالِ ... بِـصُورَةٍ بَـدِيعَةِ الجَـمَالِ

فَـإِنَّهَا الحَـوْرَاءُ فِـي النُّـزُولِ ... وَفِي الصُّعُودِ مِحْوَرُ العُـقُولِ

يُمَثِّلُ الوُجُوبُ فِـي الإمْكَـانِ ... عَـيَانُهَا بِأَحْسَـنِ البَـيَانِ

فَـإِنَّهَا قُـطْبُ رَحَـى الوُجُـودِ ... فِي قَوْسَي النُّزُولِ وَالصُّـعُودِ

وَلَيْسَ فِي مُحِيطِ تِلْكَ الدَّائِرَةْ

مَدَارُهَا الأَعْظَمُ إِلَّا الطَّـاهِرَةْ[2]

١ـ من الصلوات المعروفة لمحيي الدين بن عربي التي قام الملّا محمّد صالح الموسويّ الخلخاليّ بترجمتها وشرحها، فطُبعت في كتيّب بالحجم الجيبيّ الصغير باسم «شرح المناقب» ص ١٧١ و١٧٢.

٢ـ «الأنوار القدسيّة» لآية الله الشيخ محمّد حسين الأصفهانيّ الكمبانيّ، ص ٣١.



المجلس الثامن والستون

الجنة وتعيين مكانها



بِسْمِ اللَهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ * وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ * وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ.[1]

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في عاقبة التقوى وأثرها : وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللَهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الفِتَنِ ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَيُنَزِّلْهُ مَنْزِلَ الكَرَامَةِ عِنْدَهُ فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ ، فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَهِ فِي داره ! رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَه .

حتّى يصل في خطبته إلى قوله عليه السلام :

وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً ،

١ـ الآيات ٧٣ إلى ٧٥ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً ، ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ.[1]

لله الحمد وله المنّة أن وفّقنا لنبلغ في بحث مسائل المعاد إلى هذه الغاية والمحطّة ، وهي محطّة الجنّة . وهذا البحث من النفاسة والدقّة واللطافة بمكان ، لأنّه بحث في المحطة الحقيقيّة للإنسان وملجئه وموطنه الأصليّ الأمين . بَيدَ أنّه ، وكما قال أُستاذنا : سماحة آية الله العلّامة الطباطبائيّ ، فإنّ «ما ورد من الآيات والروايات فيها أوسع من مجال هذه الرسالة ، فقد وردت في كتاب الله تعالى في وصف الجنّة ما يقرب من ثلاثمائة آية ، وذكرها وارد في جميع سور القرآن إلّا عشرين سورة هي سورة الممتحنة والمنافقين وثمان عشرة سورة من السور القصار .»[2] لكنّنا سنشرع في البحث بشأنها بحول الله وقوّته بحسب ما يقدّر لنا . وعلينا الآن أن نرى أين محلّ الجنّة .

يستفاد من الآية التي ذكرناها في بداية البحث ، التي وردت على لسان أصحاب الجنّة الذين يقولون عند ورودهم الجنّة في مقام حمد الحقّ والثناء عليه : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ . أنّ هناك ارتباطاً خاصّاً بين الأرض وبين الجنّة .

وربّما كانت مقولتهم : صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ، إشارة إلى الآية المباركة : وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ .[3]

١ـ «نهج البلاغة» شرح الشيخ محمّد عبده ، الخطبة ١٨١ ، ص ٣٤٧ إلى ٣٤٩، طبعة مصر .

٢ـ «رسالة الإنسان بعد الدنيا» مخطوطة ، ص ٦٨ .

٣ـ الآية ١٠٥ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

ومعنى الوراثة أن يملك المرء شيئاً قد ملكه غَيرُه قبله ، بانتقال ذلك المُلك إليه ، فهو انتقال من السلف إلى الخلف .

فلابدّ في مفاد الميراث من وجود شيء ثابت (تركة) ، وشخص يتصرّف بذلك الشيء بعد أن كان في حيازة شخص آخر ، ويكون ذلك الخلف بديلاً للسلف في التصرّف .

وكان مقتضى سياق هذه الآية بياناً لصدق الوعد ، أن تقول : **أَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنْهَا** ، أو تقول : **أَوْرَثَنَا الجَنَّةَ نَتَبَوَّأُ مِنْهَا**.

بَيدَ أنّ عبارة الآية كانت على النحو التالي : **أَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ** ، ممّا يدلّ على وجود الترابط العضويّ بين الأرض والجنّة . والأمر على هذه الشاكلة أيضاً في باقي الآيات التي تحدثت عن توريث الأرض ، كما في الآية : **أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ.**[1]

والآية : **وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا.**[2]

والخلاصة ، فقد اتّبعت آيات كثيرة هذا النهج ، وأشارت تصريحاً أو تلميحاً إلى أنّ الجنّة واقعة على هذه الأرض ؛ مثل الآية : **وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ.**[3]

وأصرح منها دلالة ، الآية الكريمة : **وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ**

١ـ الآية ١٠٠ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢ـ الآية ١٣٧ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٣ـ الآية ٤٢ ، من السورة ١٣ : الرعد .

ٱلسَّيِّئَةَ أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ * جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ.[1]

حيث يلاحظ في هذه الآية أنّ «جنّـت عدن» قد وردت صفةً لـ«عُقبى الدار»، أو بدلاً منها أو معطوفةً عليها، وسيصبح مضمونها في كلّ الأحوال أنّ عُقبى الدار هي نفسها «جَنَّـٰتُ عَدْنٍ».

وكما نعلم أنّ تحقّق معنى الدخول يستلزم الدخـول ضـمناً، فـيكون مَثَل الداخلين في الجنّة كمثل من يسكن الأرض ثمّ يبني لنفسه فيها منزلاً، ثمّ يزيّن إحدى غرف ذلك المنزل فيدخلها؛ حيث يُقال حـينئذٍ إنّـه دخـل هذه الغرفة الموجودة في هذا المنزل الموجود على الأرض.

فالدخول إلى الجنّة إذاً، هو الارتقاء بعد الكمالات، وهو الدخول في الأوج من بعد الحضيض.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات أُخرى بهذه المـثابة، كـما فـي الآية:

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.[2]

والآية: تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا.[3]

والآية: وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ.[4]

وقد وردت في هذا الشأن روايتان فسّرتا الوراثة على نحوٍ آخر، إلّا

١ـ الآيات ٢٢ إلى ٢٤، من السورة ١٣: الرعد.

٢ـ الآية ١٢٨، من السورة ٧: الأعراف.

٣ـ الآية ٦٣، من السورة ١٩: مريم.

٤ـ الآية ٧٢، من السورة ٤٣: الزخرف.

أنّ أيّة منهما لا تتنافى مع وراثة الأرض .

الأُولى في «تفسير مجمع البيان» ؛ فقد روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : **مَا مِنْ أَحَدٍ إلَّا وَلَهُ مَنْزِلٌ فِي الجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ؛ فَأَمَّا الكَافِرُ فَيَرِثُ المُؤْمِنَ مَنْزِلَهُ فِي النَّارِ ، وَالمُؤْمِنُ يَرِثُ الكَافِرَ مَنْزِلَهُ مِنَ الجَنَّةِ.**[1] **فَذَلِكَ قَوْلُهُ : «أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».**[2]

الثانية في كتاب «ثواب الأعمال» للصدوق ، عن أبيه ، عن سعد ، عن أحمد بن الحسين ، عن عثمان بن عيسى ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، قال :

ما خلق الله خلقاً إلّا جعل له في الجنّة منزلاً وفي النار منزلاً ، فإذا سكن أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار نادى منادٍ : يا أهل الجنّة أشرفوا ! فيشرفون على النار وتُرفع لهم منازلهم في النار ، ثمّ يُقال لهم : هذه منازلكم التي لو عصيتم ربّكم دخلتموها . قال : فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة في ذلك اليوم فرحاً لما صُرف عنهم من العذاب . ثمّ ينادون : يا معشر أهل النار ! ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى منازلكم في الجنّة . فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنّة وما فيها من النعيم . فيُقال لهم : هذه منازلكم التي لو أطعتم ربّكم دخلتموها . قال : فلو أنّ أحداً مات حزناً ، لمات أهل النار ذلك اليوم حزناً ، فيورث هؤلاء منازل هؤلاء ، وهؤلاء منازل هؤلاء ، وذلك قول الله عزّ وجلّ :

أُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ .[3]

١ـ «مجمع البيان» ج ٤ ، ص ٦٩ ، طبعة صيدا .

٢ـ وردت هذه التتمّة في رسالة «الإنسان بعد الدنيا» ص ٦٩ ؛ مخطوطة .

٣ـ «ثواب الأعمال» ص ٢٤٩ و٢٥٠ . والآيتان هما ١٠ و١١ ، من السورة ٢٣ : ⇦

والخلاصة ، فإنّ هذا النحو من توارث منازل الجنّة والنار محفوظ في موضعه ، إلّا أنّه لا يتنافى مطلقاً مع كون الجنّة على هذه الأرض ، وأنّ التوارث المذكور يحصل عليها .

ولابدّ من العلم أنّ تلك الأرض لن تماثل هذه الأرض ، وأنّها ستكون أرضاً أُخرى طاهرة ونورانيّة .

يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ.[1]

وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا.[2]

وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ.[3]

والشاهد على كلامنا أنّ أصحاب الجنّة كلّما رزقوا من رزق يوم القيامة قالوا هذا الذي رُزقنا من قبلُ : **كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا.**[4]

قال عليّ بن إبراهيم في تفسيره في قوله تعالى : **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ**؛[5] قال : في السماء السابعة . وأمّا الردّ على من أنكر خلق الجنّة والنار ، فقوله : «**عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ**». **أيْ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَىٰ ؛ فَسِدْرَةُ المُنْتَهَى فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، وَجَنَّةُ المَأْوَى عِنْدَهَا.**[6]

ويستفاد من كلامه أنّ الجنّة واقعة في السماء السابعة . أمّا العلّامة

⇦ المؤمنون.

١ـ الآية ٤٨ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢ـ الآية ٦٩ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٣ـ الآية ٦٧ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٤ـ الآية ٢٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٥ـ الآيتان ١٣ و ١٤ ، من السورة ٥٣ : النجم .

٦ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٢٥ ، نقلاً عن «تفسير القمّيّ» .

المجلسيّ رضوان الله عليه فقد قال في مكان الجنّة : «وأما مكانهما (أي مكان الجنّة والنار) فقد عرفتَ أنّ الأخبار تدلّ على أنّ الجنّة فوق السماوات السبع ... وعليه أكثر المسلمين» .[1]

ولا تتنافى هذه المطالب مع كون محلّ الجنّة على الأرض ؛ لعدم وضوح أنّ السماوات السبع هي هذه السماوات الطبيعيّة أم لا ، لأنّ جميع هذه السماوات بنجومها من الشمس والكواكب والسيّارات والمنظومات والمجرّات تشكّل سماء الدنيا تبعاً للآية الشريفة : **إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ**.[2]

ومن هنا ، فإنّ كون السماء السابعة ومافوقها مختفٍ في بطون عالم المُلك وطبقاته الكامنة ، لا يتنافى مع كونها في ملكوت الأرض ، إذ يمكن أن يكون ملكوت الأرض وباطنها هو السماء السابعة حيث محلّ الجنّة .

ويشهد على هذا المطلب أنّ الأرض ستشبه هذه الأرض من جهة ، وستختلف عنها من جهة أُخرى . فهي حينذاك كهذه الأرض باعتبار أنّها مثلها ، وهي مختلفة عن الأرض باعتبار أنّها قد أُبدلت بأرض أُخرى مشرقة ونورانيّة ، وأنّها في قبضة الله تعالى .

ويدعم هذه الكلام آيتان قرآنيّتان كريمتان ، تدلّان على أنّ عرض الجنّة بقدر السماوات والأرض ؛ الأُولى : الآية ١٣٣ ، من السورة ٣ : آل عمران :

وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.

١ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٢٠٥ ، الطبعة الحروفيّة .

٢ـ الآية ٦ ، من السورة ٣٧ : الصافّات .

والثانية : الآية ٢١ ، من السورة ٥٧ : الحديد :

سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ.

وقد سئل الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم : **إذَا كَانَتِ الجَنَّةُ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَأَيْنَ تَكُونُ النَّارُ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : سُبْحَانَ اللهِ ! إذَا جَاءَ النَّهَارُ فَأَيْنَ اللَّيْلُ ؟**[1]

وهو كلام مُثقل بالدرر يمكن أن تستخرج منه أبواب في العلم والمعرفة ، وأن يُتوصّل من خلاله إلى حقيقة الجنّة والنار ؛ فقد أراد النبيّ بيان أنّ الليل والنهار أمران عارضان على الأرض ، وأنّهما لا يجتمعان معاً .

فحين يأتي الليل سيطبق الظلام على أرجاء العالم ، وتتلاشى جميع نقاط النور ؛ أمّا حين يأتي النهار ، فسيعمّ النور العالم ويزيح عنه عتمة الليل . وكذا الأمر بالنسبة إلى الجنّة والنار باعتبارهما أمران عارضان على السماء والأرض . فالجنّة هي الباطن والملكوت وفي عالم القُرب ؛ أمّا النار ففي عالم الظاهر والمُلك وفي عالم البُعد . وهما لايتعارضان مع بعضهما أبداً .

موطن الجنّة هو عالم المعنى والحقيقة ، وهو عالم العلم والعرفان ورفع الحجب وكشف المجهولات ؛ أمّا موطن النار فعالم الباطل والمجاز ، وعالم الجهل والعمى والحجب وتراكم المجهولات . ولا يمكن لهذه الأُمور أن تجتمع مع بعضها .

إنّ العلم يأتي فيُزيح الجهل ، والحقّ يأتي فيمحق الباطل ، والحجب

١ـ «مجمع البيان» ج ١ ، ص ٥٠٤ .

تنكشف فتُسفر عن طلعة الحبيب ، والجنّة تأتي فتزيل النار ، والنهار يطلع فيعقب الليل ويمحوه .

ومن هنا ، فإنّ الجنّة موجودة في السماوات والأرض ، وعرضها بقدر السماوات والأرض ، وكذا الحال بالنسبة إلى جهنّم . بَيدَ أنّ الجنّة إذا وُجدت ، فُقدت النار لأنّها موجودة في زمن آخر وفي رتبة البُعد الملكوتيّ ، وليس ثمّة تزاحم بينهما ،كما أنّهما لا يجتمعان أبداً .

وفي مرحلة النفس البشريّة ، فحين يتحقّق طلوع العلم والعرفان وكشف الحجب النورانيّة والظلمانيّة ، فسيزول الجهل والعماء والحجب من أرجاء تلك النفس .

ولو نظرنا إلى مرحلة ظهور نور العلم وإشراقه على هياكل عالم الكثرة وعلى الموجودات الأرضيّة والسماويّة ، لوجدنا للجنّة تجلّياً ؛ أمّا مرحلة الخفاء وا لعماء التي ينظر فيهاكلّ موجود من الموجودات الأرضيّة والسماويّة نظراً استقلاليّاً ، فإنّها تمثّل تجلّي النار وظهورها .

ويتلخّص المطلب في أنّ الجنّة التي عرضهاكعرض السماوات والأرض هي عالم الواقع والملكوت الذي لايتعارض مع النار . وهي ملكوت الأرض الذي يصدق في شأنه قوله تعالى : **وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا.**

وقوله : **يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ.**

وقوله : **وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ.**

ويتّضح بهذا البيان جواب إشكال آخر يقول : إذاكانت الجنّة في السماء ، فكيف يكون عرضهاكعرض السماوات والأرض ؟كما تتّضح سخافة وضآلة الأجوبة التي نقلها صاحب «تفسير مجمع البيان» عن أنس بن مالك ، وعن قتادة ، وعن أبي بكر أحمد بن عليّ ، وعن آخرين

غيرهم .[١]

وعلينا أن نرى الآن هل الجنّة والنار موجودتان فعلاً ؟ أم أنّهما ستُخلقان فيما بعد ؟

لقد علمنا من خلال كثير من المباحث السابقة ـ كمسألة تجسّد الأعمال ، وعدم ضياع شيء في عالم التكوين ، ومسألة المعاد الجسماني ـ أنّ الجنّة والنار موجودتان فعلاً . وقد صرّحت بهذا المطلب الآية المباركة في سورة يس :

قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ .[٢]

كما أنّ الآية المباركة في سورة نوح : **مِمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا .**[٣] صريحة في هذا الشأن أيضاً .

ونكتفي في هذا المجال بذكر عدّة روايات :

فقد روى الشيخ الصدوق في «عيون أخبار الرضا» و«التوحيد» عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الهرويّ ؛ وروى الشيخ الطبرسيّ في «الاحتجاج» مرسلاً عن الهرويّ ، قَالَ : **قُلْتُ لِلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا بْنَ رَسُولِ اللَهِ ! أَخْبِرْنِي عَنِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، أَهُمَا اليَوْمَ مَخْلُوقَانِ ؟**

فَقَالَ : نَعَمْ ، وَإنَّ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَخَلَ الجَنَّةَ ،

١ـ «مجمع البيان» ج ١ ، ص ٥٠٤ .

٢ـ الآيتان ٢٦ و٢٧ ، من السورة ٣٦ : يس ؛ والآية راجعة إلى الذي آمن بعيسى ابن مريم وناصَرَ المرسلين فقُتل . فذكر تعالى قصّته ، وأنّه قيل له : ادخل الجنّة ! قال : «يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ» .

٣ـ الآية ٢٥ ، من السورة ٧١ : نوح ؛ وهي عائدة إلى قوم نوح الذين أغرقهم الله بسبب معاصيهم ، فيقول تعالى أنّهم أغرقوا فأدخلوا ناراً ، أي بلا فاصلة وتأخير .

وَرَأَى النَّارَ لَمَّا عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ.

قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ قَوْماً يَقُولُونَ : إِنَّهُمَا اليَوْمَ مُقَدَّرَتَانِ غَيْرُ مَخْلُوقَتَيْنِ !

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا أُولَئِكَ مِنَّا وَلَا نَحْنُ مِنْهُمْ . مَنْ أَنْكَرَ خَلْقَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ فَقَدْ كَذَّبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَكَذَّبَنَا ، وَلَيْسَ مِنْ وَلَايَتِنَا عَلَى شَيْءٍ ، وَخُلِّدَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ! قَالَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ : «هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ».

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ أَخَذَ بِيَدِي جَبْرَئِيلُ فَأَدْخَلَنِي الجَنَّةَ فَنَاوَلَنِي مِنْ رُطَبِهَا فَأَكَلْتُهُ ، فَتَحَوَّلَ ذَلِكَ نُطْفَةً فِي صُلْبِي ، فَلَمَّا هَبَطْتُ إِلَى الأَرْضِ وَاقَعْتُ خَدِيجَةَ فَحَمَلَتْ بِفَاطِمَةَ ؛ فَفَاطِمَةُ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ.

فَكُلَّمَا اشْتَقْتُ إِلَى رَائِحَةِ الجَنَّةِ شَمَمْتُ رَائِحَةَ ابْنَتِي فَاطِمَةَ.[1]

ووفق هذا النهج ، فقد ورد في «تفسير عليّ بن إبراهيم» : كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يكثر تَقْبِيلَ فاطمة عليها وعلى أبيها وبعلها وأولادها ألف ألف تحيّة وسلام ، فأنكرتْ ذلك عائشة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : يا عائشة ! إنّي لمّا أُسري بي إلى السماء دخلتُ الجنّة فأدناني جبرائيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فأكلتُه فحوّل اللهُ ذلك ماءً في ظهري ، فلمّا هبطتُ إلى الأرض واقعتُ خديجةَ فحملت بفاطمةَ ، فما قبّلتُها قطّ إلّا وجدتُ رائحة شجرة طوبى

١ـ «عيون أخبار الرضا» ص ٦٥ ؛ «أمالي الصدوق» ص ٢٧٦ ؛ «توحيد الصدوق» ص ١١٨ ، ضمن الحديث ٢١ ، طبعة المطبعة الحيدريّة ؛ و«الاحتجاج» ج ٢ ، ص ١١٩ ، طبعة النجف ، ضمن أسئلة أبي الصلت الهرويّ من الإمام الرضا عليه السلام.

منها .[١]

وروى الصدوق في «الخصال» عن ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن محمّد بن عبد الله بن هلال ، عن علاء ، عن محمّد ، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام ، قَالَ :

وَاللَهِ مَا خَلَتِ الجَنَّةُ مِنْ أَرْوَاحِ المُؤْمِنِينَ مُنْذُ خَلَقَهَا ، وَلاَ خَلَتِ النَّارُ مِنْ أَرْوَاحِ الكُفَّارِ العُصَاةِ مُنْذُ خَلَقَهَا عَزَّ وَجَلَّ ـ الخبر .[٢]

وجاء في «تفسير النعمانيّ» في الرواية الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ قال : وأمّا الردّ على مَن أنكر خلق الجنّة والنار ، فقال الله تعالى : **عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ** .[٣]

وقال رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم : دخلتُ الجنّة فرأيتُ فيها قصراً من ياقوت أحمر ، يُرى داخله من خارجه ، وخارجه من داخله من نوره ، فقلتُ : يا جبرئيل ! لمن هذا القصر ؟!

فقال : **لِمَنْ أَطَابَ الكَلاَمَ ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَتَهَجَّدَ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ** .

فقلت : يا رسول الله ! وفي أُمّتك مَن يطيق هذا ؟

فقال لي : ادنُ منّي ! فدنوت .

فقال : ما تدري ما إطابة الكلام ؟

فقلتُ : الله ورسوله أعلم .

فقال : هو **سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إلَهَ إلَّا اللَهُ وَاللَهُ أَكْبَرُ** . أتدري

١ـ «تفسير القمّيّ» ص ٣٤١ و٣٤٢ .

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٣٣ ، الطبعة الحروفيّة .

٣ـ الآيتان ١٤ و١٥ ، من السورة ٥٣ : النجم .

ما إدامة الصيام ؟

فقلتُ : الله ورسوله أعلم .

فقال : مَنْ صام شهر رمضان ولم يفطر منه يوماً . أتدري ما إطعام الطعام ؟

فقلتُ : الله ورسوله أعلم .

فقال : مَنْ طلب لعياله ما يكفّ به وجوههم . أتدري ما التهجّد بالليل والناس نيام ؟

فقلتُ : الله ورسوله أعلم .

فقال : من لا ينام حتّى يصلّي العشاء الآخرة . ويريد بالناس هاهنا اليهود والنصارى ، لأنّهم ينامون بين الصلاتين .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : لمّا أُسري بي إلى السماء ، دخلت الجنّة **فَرَأَيْتُ فِيهَا قِيعَانَ وَرَأَيْتُ فِيهَا مَلَائِكَةً يَبْنُونَ لَبِنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ ، وَرُبَّمَا أَمْسَكُوا. فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا بَالُكُمْ قَدْ أَمْسَكْتُمْ ؟**

فَقَالُوا : حَتَّى تَجِيئَنَا النَّفَقَةُ .

فَقُلْتُ : وَمَا نَفَقَتُكُمْ ؟

قَالُوا : قَوْلُ الْمُؤْمِنُ : «سُبْحَانَ اللهِ ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ» فَإِذَا قَالَ بَنَيْنَا ، وَإِذَا سَكَتَ أَمْسَكْنَا .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : لمّا أُسري بي إلى سبع سماواته ، وأخذ جبرئيل بيدي وأدخلني الجنّة وأجلسني على درنوك من درانيك الجنّة وناولني سفرجلة، فانفلقت نصفين وخرجت حوراء منها فقامت بين يدي وقالت : **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ! السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَحْمَدُ ! السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ !**

فقلتُ : وَعَلَيْكِ السَّلَامُ ، مَن أنتِ ؟

فقالت : أنا الراضية المرضيّة ، خلقني الجبّار من ثلاثة أنواع ، أعلاي من الكافور ، ووسطي من العنبر ، وأسفلي من المسك ، عُجنت بماء الحيوان ؛ قال لي ربّي :كوني فكنتُ لأخيك ووصيّك عليّ بن أبي طالب .

وهذا ومثله دليل على خَلْق الجنّة ، وبالعكس من ذلك الكلام في النار .[1]

وروى الشيخ الطوسيّ في «الأمالي» صدر هذه الرواية بسنده المتّصل عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .[2]

وفي «تفسير عليّ بن إبراهيم» بإسناده إلى حذيفة بن اليمان ، قال : دخلت عائشة على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو يقبّل فاطمة عليها السلام وقالت : يا رسول الله ! أتقبّلها وهي ذات بعل ؟!

(فيذكر رسول الله حديث المعراج حتّى يصل إلى قوله :)

ثمّ أخذ جبرئيل عليه السلام بيدي فأدخلني الجنّة وأنا مسرور ، فإذا أنا بشجرة من نورٍ ، فإذا أنا بتفّاح لم أر تفّاحاً أعظم منه ، فأخذتُ واحدة ففلقتها ، فخرجت عَلَيَّ منها حوراء كأنّ أجفانها مقاديم أجنحة النسور .

فقلتُ : لمن أنت ؟

فبكت ، وقالت : **لِابْنِكَ المَقْتُولِ ظُلْماً : الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.**

ثمّ تقدّمتُ أمامي فإذا أنا برطب ألين من الزبد وأحلى من العسل ، فأخذتُ رطبة فأكلتُها وأنا أشتهيها ، فتحوّلت الرطبة نطفة في صلبي ، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعتُ خديجة فحملتْ بفاطمة ، ففاطمة حوراء إنسيّة ،

١ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٧٦ ، نقلاً عن «تفسير النعمانيّ» ص ١٠٥ إلى ١٠٧.

٢ـ «أمالي الشيخ» ص ٢٩٣ ، الطبعة الحجريّة .

فإذا اشتقت إلى رائحة الجنّة شممتُ رائحة ابنتي فاطمة عليها السلام .[١]

وفي «مجموعة ورّام بن أبي فراس» عن أبي أيّوب الأنصاريّ ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، قال :

لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مَرَّ بِي إبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : مُرْ أُمَّتَكَ أَنْ يُكْثِرُوا مِن غَرْسِ الجَنَّةِ ! فَإنَّ أَرْضَهَا وَاسِعَةٌ وَتُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ .

قُلْتُ : وَمَا غَرْسُ الجَنَّةِ ؟ قَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللَهِ .[٢]

وروى الكلينيّ في «الكافي» عن جماعة من الأصحاب ، عن الفضيل ابن عبد الوهاب ، عن إسحاق بن عبيد الله ، عن عبيد الله بن الوليد ، وروى الصافيّ مرفوعاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، قال :

مَنْ قَالَ : لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ ، غُرِسَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ مَنْبَتُهَا فِي مِسْكٍ أَبْيَضَ ، أَحْلَى مِنَ العَسَلِ وَأَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ الثَّلْجِ ، وَأَطْيَبُ رِيحاً مِنَ المِسْكِ ، فِيهَا أَمْثَالُ ثُدِي الأَبْكَارِ تَعْلُو عَنْ سَبْعِينَ حُلَّةً .

وَقَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : خَيْرُ العِبَادَةِ قَوْلُ لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ .

وَقَالَ : خَيْرُ العِبَادَةِ الاسْتِغْفَارُ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : «فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ» .[٣]

وروى الصدوق في «الأمالي» عن أحمد بن هارون الفاميّ ، عن محمّد بن عبد الله الحميريّ ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام ، قال :

١ـ «تفسير فرات» ص ١٠ .

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٤٩ ، عن كتاب «تنبيه الخاطر ونزهة الناظر» .

٣ـ «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٥١٧ ، الطبعة الحروفيّة .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ، غَرَسَ اللهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الجَنَّةِ . وَمَنْ قَالَ : الحَمْدُ لِلَّهِ ، غَرَسَ اللهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الجَنَّةِ ؛ وَمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، غَرَسَ اللهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الجَنَّةِ ؛ وَمَنْ قَالَ : اللهُ أَكْبَرُ ، غَرَسَ اللهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الجَنَّةِ .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ شَجَرَنَا فِي الجَنَّةِ لَكَثِيرٌ !

قَالَ : نَعَمْ ! وَلَكِنْ إِيَّاكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا عَلَيْهَا نِيرَاناً فَتَحْرِقُوهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ».[1]

فإن قال شخص ما : إذا كانت الجنّة والنار مخلوقتين ، وكان من المسلّم أنّ موضع النار على الأرض ، وكان موضع الجنّة ـ كما هو مستفاد من الآيات القرآنيّة على وجه التقريب ـ في ملكوت الأرض ، فلماذا إذاً لا يراهما الناس ؟

والإجابة على ذلك هي أنّ الناس لم يمتلكوا أعيناً ترى الجنّة والنار . ولو تطلّعوا بتلك الأعين لرأوهما . وقد برهنّا في بحث تجسّد الأعمال على أنّ أيّ عمل سوف لن يضمحلّ في عالم التكوين ، وأنّه يمتلك صوراً مختلفة في النشآت المختلفة ؛ وأنّ الجنّة والنار ليستا إلّا ظهوراً لحقائق الأعمال .

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ .[2]

وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ .[3]

١ـ «أمالي الصدوق» ص ٣٦٢ ، الطبعة الحجريّة . والآية هي ٣٣ ، من السورة ٤٧ : محمّد صلّى الله عليه وآله .

٢ـ الآيتان ٩٠ و ٩١ ، من السورة ٢٦ : الشعراء .

٣ـ الآية ٣٦ ، من السورة ٧٩ : النازعات .

ولهذا فإنّ أعين الناس حين تبصر الحقائق وتدركها يوم القيامة ، فإنّما تبصرها إثر التجرّد الذي سيحصل لها . ولو أُعطيت ذلك التجرّد في هذا العالَم ، لشاهدت الجنّة والنار عياناً كما عاينها رسول الله والأئمّة المعصومون وأولياء الله تعالى .

وتعبير **أُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ** له دلالة جليّة على هذا المعنى ، في قوله تعالى :

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ.[١]

لأنّ الزلفى والقرب إنّما يقالان للشيء الموجود البعيد الذي يقرّب ، ومن الجليّ أنّ تقريب الجنّة هو تقريب إدراك الإنسان لحقيقتها شأنها في ذلك شأن العبادات التي نقوم بها تقرّباً إلى الله تعالى ، ونهدف بها رفع الحجب وتقريب الإدراك ، ولا نقصد والعياذ بالله أنّنا بعيدون عن الله وأنّنا نقترب منه بالعبادة .

وقد ورد في القرآن الكريم أنّ لجهنّم سبعة أبواب :

لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ.[٢]

أمّا أبواب الجنّة ، فليس من آية في القرآن تتحدّث عن عددها ، بَيدَ أنّه قد ورد في أخبار كثيرة أنّ لها ثمانية أبواب . وربّما كان السرّ في ذلك هو أنّ رحمة الله سبقت غضبه ، وفقاً للآية الكريمة : **إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُولَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ.**[٣]

ولهذا السبب ، فإنّ أبواب الرحمة والفضل والعافية والخير تفوق دائماً أبواب النقمة والنكبة والشرّ ، كما أنّ الماء (وهو مظهر رحمة الله في

١ـ الآية ٣١ ، من السورة ٥٠ : ق .

٢ـ الآية ٤٤ ، من السورة ١٥ : الحجر .

٣ـ الآية ١٠١ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

هذا العالم) سبق النار (وهي مظهر غضبه تعالى) فهو يُخمِد لهبها ويُطفؤها .

ومن جملة تلك الأخبار ، الرواية الواردة في «الخصال» للصدوق بسنده المتّصل عن الإمام أبي عبد الله الصادق ، عن أبيه ، عن جدّه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، قال :

إنّ للجنّة ثمانية أبواب ، بابٌ يدخل منه النبيّون والصدّيقون ، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون ، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا ، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول : ربِّ سلِّم شيعتي ومحبّيّ وأنصاري ومَن تولّاني في دار الدنيا ، فإذا النداء من بطنان العرش : قد أُجيبتْ دعوتك وشُفّعتَ في شيعتك ، ويشفع كلّ رجل من شيعتي ومَن تولّاني ونصرني وحارب مَن حاربني بفعلٍ أو قول في سبعين ألف من جيرانه وأقربائه ؛ وبابٌ يدخل منه سائر المسلمين ممّن شهد أن لا إله إلّا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بُغضنا أهل البيت .[1]

وقد فصّلنا البحث في هذه المطالب في المجلس السادس عشر من الجزء الثالث من بحث «معرفة المعاد» وأوضحنا أن جهنّم هي مقرّ المنكرين والمستكبرين . ولذا ، فإنّ العامّة سيذهبون إلى الجنّة إذا أقرّوا بالشهادتين وكان عدم قبولهم للولاية غير نابع عن الإنكار والاستكبار ، وكان ناشئاً عن القصور . وأوردنا رواية مفصّلة عن « كتاب سليم بن قيس الهلاليّ» عن أمير المؤمنين ذات دلالة على أنّ الناس ينقسمون إلى ثلاث وسبعين فرقة ، منها فرقة واحدة ناجية ، أمّا الهالكون فهم قادة المذاهب والمتعصّبون لها . وأمّا الباقون فخارجون عن هذا التقسيم ، وهم الذين يشكّلون السواد الأعظم من الأُمم المختلفة ، وهم المستضعفون الذين

١ـ «الخصال» باب الثمانية ، ص ٤٠٧ و٤٠٨ ، الطبعة الحروفيّة .

يخضعون في كلّ عصر إلى هيمنة مستكبري ذلك العصر ، وهم مسلوبو الاستقلال وحرية الرأي والعقيدة .

ومن هنا ، فإنّ العامّة من غير المنكرين والمستكبرين هم من أصحاب الجنّة ، إلّا أنّهم يدخلون الجنّة من باب خاصّ ، وأنّهم لا يساوون الشيعة في درجتهم ومقامهم .

روى الصدوق في «الخصال» بسنده عن جابر ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال :

أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ ، عَرْضُ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً .[1]

وروى الصدوق في «الأمالي» عن أنس بن مالك ، قال :

تُوفّي ابن لعثمان بن مظعون رحمة الله عليه فاشتدّ حزنه عليه حتّى اتّخذ من داره مسجداً يتعبّد فيه ، فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فقال له : يا عثمان ! إنّ الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانيّة ، إنّما رهبانيّة أُمّتي الجهاد في سبيل الله . يا عثمان بن مظعون ! للجنّة ثمانية أبواب وللنار سبعة أبواب ، أفما يسرّك أن لا تأتي باباً منها إلّا وجدتَ ابنك إلى جنبك آخذاً بحجزتك يشفع لك إلى ربّك ؟

قال : بلى .

فقال المسلمون : ولنا يا رسول الله في فرطنا ما لعثمان ؟

قال : نعم ، لمن صبر منكم واحتسب . ثمّ قال : يا عثمان ! من صلّى صلاة الفجر في جماعة ، ثمّ جلس يذكر الله تعالى حتّى تطلع الشمس ، كان له في الفردوس سبعون درجة ، بُعد ما بين كلّ درجتين كحضر[2] الفرس

---

١ ـ «الخصال» باب الثمانية ، ص ٤٠٨ ، الطبعة الحروفيّة .

٢ ـ كحضر : كعدوة ـ عدا يعدو عدواً ، أي كخطوة الفرس .

الجواد المضر سبعين سنة ؛ ومَن صلّى الظهر في جماعة ،كان له في جنّات عدن خمسون درجة ، بُعد ما بين كلّ درجتين كحضر الفرس الجواد خمسين سنة ؛ ومَن صلّى العصر في جماعة كان له كأجر ثمانية من ولد إسماعيل كلّ منهم ربّ بيت يعتقهم ؛ ومَن صلّى المغرب في جماعة ،كان له كحجّة مبرورة وعُمرة متقبّلة ؛ ومَن صلّى العشاء في جماعة ،كان له كقيام ليلة القدر .[1]

وروى المجلسيّ رضوان الله عليه عن كتاب «فضائل ابن شاذان» وعن كتاب «الروضة» بالإسناد يرفعه إلى عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال :

لمّا أُسري بي إلى السماء ، قال لي جبرئيل عليه السلام : قد أمرتُ الجنّة والنار أن تُعرَض عليك . قال : فرأيتُ الجنّة وما فيها من النعيم ، ورأيت النار وما فيها من العذاب . والجنّة فيها ثمانية أبواب ، على كلّ باب منها أربع كلمات ،كلّ كلمة خير من الدنيا وما فيها لمن يعلم ويعمل بها ؛ وللنار سبعة أبواب ، على كلّ باب منها ثلاث كلمات ،كلّ كلمة خير من الدنيا وما فيها لمن يعلم ويعمل بها .

فقال لي جبرئيل عليه السلام : اقرأْ يا **محمّد** ما على الأبواب !

فقرأتُ ذلك ، أمّا أبواب الجنّة فعلى أوّل باب منها مكتوب : **لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَهِ** ؛ لكلّ شيء حيلة ، وحيلة العيش أربع خصال : القناعة ، وبذل الحقّ ، وترك الحقد ، ومجالسة أهل الخير .

وعلى الباب الثاني مكتوب :

لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَهِ ؛ لكلّ شيء حيلة ،

١ـ «الأمالي» للصدوق ، ص ٤٠ و٤١ .

وحيلة السرور في الآخرة أربع خصال : مسح رؤوس اليتامى ، والتعطّف على الأرامل ، والسعي في حوائج المؤمنين ، والتفقّد للفقراء والمساكين .

وعلى الباب الثالث مكتوب :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَهِ ؛ لكلّ شيء حيلة ، وحيلة الصحّة في الدنيا أربع خصال : قلّة الكلام ، وقلّة المنام ، وقلّة المشي ، وقلّة الطعام .

وعلى الباب الرابع مكتوب :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَهِ ؛ مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ؛ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ؛ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم والديه ؛ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت .

وعلى الباب الخامس مكتوب : **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَـهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَـهِ** ؛ مـن أراد أن لا يُظلَم فـلا يَظلم ؛ ومـن أراد أن لا يُشتَم فلا يَشتم ، ومن أراد أن لا يذلّ فلا يذلّ ، ومن أراد أن يستمسك بالعروة الوثقى في الدنيا والآخرة فليقل : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، عليّ وليّ الله .

وعلى الباب السادس مكتوب : **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَـهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَهِ** ؛ من أراد أن يكون قبره وسيعاً فسيحاً فليبن المساجد ، ومن أراد أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليكنُس المساجد بالبسط .

وعلى الباب السابع مكتوب : **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَهِ** ؛ بياض القلب في أربع خصال : عيادة المريض ، واتّباع الجنائز ، وشراء الأكفان ، وردّ القرض .

وعلى الباب الثامن مكتوب : **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَهِ ، عَلِيٌّ**

وَلِيُّ اللَهِ ؛ من أراد الدخول من هذه الأبواب فليتمسك بأربع خصال : السخاء،وحُسن الخُلق ، والصدقة ، والكفّ عن أذى عباد الله تعالى .

(ثمّ يذكر رسول الله الكلمات المكتوبة على أبواب جهنّم السبعة بالتفصيل) ؛[1] وسنذكر هذا القسم من الرواية في بحث جهنّم إن شاء الله تعالى .

وروى الصدوق في «معاني الأخبار» بإسناده عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

إنَّ لِلْجَنَّةِ بَاباً يُدْعَى الرَّيَّانَ ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إلَّا الصَّائِمُونَ.[2]

ولا يفوتنا القول بأنّ غرف الجنّة قد ورد ذكرها في القرآن الكريم وفي الروايات ، حيث يستفاد من مضمون ما ورد أنّ تلك الغرف محلّ خاصّ ذو أهمّيّة كبيرة .

ويُطلق لفظ الغُرفة في اللغة على العِلّيّة ، وهي الحجرة التي تُبنى فوق حجرات وتشكّل الموضع المرتفع من البيوت والقصور ، وهي في الآيات والروايات كناية عن المقام العالي في الجنّة الذي يُمنّ به على أفراد معيّنين .

فقد ورد ـ مثلاً ـ في الآية ٢٠ ، من السورة ٣٩ : الزمر : **لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ.**

وجاء في الآية ٧٥، من السورة ٢٥ : الفرقان : **أُولَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا.**

١ـ «بحار الأنوار» ج ٨، ص ١٤٤ و١٤٥ ، الطبعة الحروفيّة .

٢ـ «معاني الأخبار» ص ٤٠٩ ، الحديث ٩٠ من النوادر ، طبعة المطبعة الحيدريّة .

(والحديث عن عباد الرحمن الذين ورد ذكرهم في الآيات الاثنتي عشرة السابقة) . أي أنّ عباد الرحمن يُسكنون في تلك الغُرفات جزاء صبرهم واستقامتهم في طاعة الله وفي اجتناب معصيته . وهو لا ينفكّ عن الصبر في النوائب والشدائد . وأُولئكم يتلقّاهم الملائكة من قِبل ربّهم بالتحية والسلام والأمن من كلّ خوف وفزع .

روى المرحوم الصدوق في «الأمالي» عن العطّار ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفاً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، يَسْكُنُهَا مِنْ أُمَّتِي مَنْ أَطَابَ الكَلَامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَفْشَى السَّلَامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ـ الخبر .[1]

وهناك كثير من الذنوب لها تأثير عميق في النفوس ، بحيث تُبعد مرتكبيها عن رحمة الله تعالى ، وقد ورد أنّهم لا يجدون رائحة الجنّة مع أنّ ريحها توجد من مسيرة خمسمائة عام أو ألف عام .

روى الصدوق في «معاني الأخبار» عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن أحمد بن النضر ، عن عمرو بن الشمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام ، قال :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : أَخْبَرَنِي جَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ رِيحَ الجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ ، مَا يَجِدُهَا عَاقٌّ ، وَلَا قَاطِعُ

١ـ «أمالي الصدوق» ص ١٩٨ .

رَحِمٍ ، وَلَا شَيْخٌ زَانٍ ، وَلَا جَارٌّ إزَارِهِ خُيَلَاءَ ، وَلَا فَتَّانٌ ، وَلَا مَنَّانٌ ، وَلَا جَعْظَرِيٌّ .

قَالَ : قُلْتُ : فَمَا الجَعْظَرِيُّ ؟

قَالَ : الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنَ الدُّنْيَا.[1]

وجاء في حديث آخر : **وَلَا جَيُّوفٌ وَهُوَ النَّبَّاشُ ، وَلَا زَنُوقٌ وهُوَ المُخَنَّثُ ، وَلَا جَوَّاضٌ**[2] **[وَهُوَ الجِلْفُ الجَافِي] وَلَا جَعْظَرِيٌّ وَهُوَ الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنَ الدُّنْيَا.**[3]

وروي في «نوادر الراونديّ» بإسناده عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

لمّا خلق الله تعالى جنّة عدن ، خلق لَبِنَها من ذهب يتلألأ ومسك مدوف ، ثمّ أمرها فاهتزّت ونطقتْ فقالت : **أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الحَيُّ القَيُّومُ.** فطوبى لمن قدّر له دخولي . قال الله تعالى :

وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَارْتِفَاعِ مَكَانِي لَا يَدْخُلُكِ مُدْمِنُ خَمْرٍ ، وَلَا مُصِرٌّ عَلَى رِباً ، وَلَا قَتَّاتٌ وَهُوَ النَّمَّامُ ، وَلَا دَيُّوثٌ وَهُوَ الَّذِي لَا يَغَارُ وَيَجْتَمِعُ فِي بَيْتِهِ عَلَى الفُجُورِ ، وَلَا قَلَّاعٌ وَهُوَ الَّذِي يَسْعَى بِالنَّاسِ عِنْدَ السُّلْطَانِ لِيُهْلِكَهُمْ ، وَلَا خَيُّوفٌ وَهُوَ النَّبَّاشُ ، وَلَا خَتَّارٌ وَهُوَ الَّذِي لَا يُوفِي بِالعَهْدِ .[4]

هذه حال أمثال هؤلاء المحجوبين والعاصين ، وشتّان بين حالهم وحال سكنة الجنان الذين أسكرهم عبق رائحتها ! بل شتّان بينهم وبين

١ـ «معاني الأخبار» ص ٣٣٠ ، طبعة المطبعة الحيدريّة .

٢ـ جوّاظ (بالظاء) بمعنى الغليظ والجلف . ولم نعثر عليه بالضاد .

٣ـ «معاني الأخبار» ص ٣٣٠ ، طبعة المطبعة الحيدريّة .

٤ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٩٩ ، الطبعة الحروفيّة .

السائرين إلى الجنان الذين يشملهم عطرها على البُعد !

«و ز سَقاهُم رَبُّهُم بين جملهٔ أَبْرار مست»[١]

طوبی و سدره گر به قیامت به من دهند
یکجا فدای قامت رعنا کنم ترا
مستانه کاش بر حرم و دیر بگذری
تا قبله گاه مؤمن و ترسا کنم ترا
با صد هزار جلوه برون آمدی که من
با صد هزار دیده تماشا کنم ترا
بالای خود در آینهٔ چشم من ببین
تا با خبر ز عالم بالا کنم ترا
خواهم شبی نقاب ز رویت بر افکنم
خورشید کعبه ، ماه کلیسا کنم ترا
زیبا شود به کارگه عشق کار من
هرگه نظر به صورت زیبا کنم ترا[٢]

١ـ يقول : «تطلّع إلى الأبرار وهم ثمالى بأجمعهم ممّا سقاهم ربّهم» .

٢ـ مقتطفات من شعر غزليّ لفروغي البسطاميّ .

يقول : «لو أعطيتُ يوم القيامة شجرة طوبى وسدرة المنتهى ، لفديتُهما معاً لقامتك الجميلة !

وليتك تمرّ ثملاً على الحرم والدير ، لأجعلك قبلة للمؤمن واليهوديّ .

لقد تجلّيتَ بمائة ألف جلوة ، من أجل أن أراك بمائة ألف .

فانظر إلى قامتك في مرآة عيني ، لأُخبرك عن العالم العلويّ .

سأزيح النقاب ليلةً عن طلعتك ، وأجعلك شمسَ الكعبة وقمرَ الكنيسة .

ومهما تأمّلتُ في محيّاك الرائع ، كان فِعلي مستحسناً لدى العاشقين !» .

خدايا زاهد از تو حور مى‌خواهد قـصورش بـين
به جنّت مى‌گريزد از درت يا رب شعورش بين[١]

١ـ يقول : «انظر يا ربّ إلى قصور الزاهد حين يـطلب مـنك الحـور (ويـطلب مـنك سواك)، وتطلّع إلى شعوره حين يهرب من بابك إلى جنّتك !».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المجلس التاسع والستون

الجنة محل الأطهار



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ * دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ.[1]

الجنّة هي محلّ الطهر والطهارة ، وموضع القدس والنزاهة ؛ وفي المقابل فإنّ جهنّم هي محلّ الرجس والدنس وموضع القذارة والنجاسة والغلّ والغش .

وعلى هذا الأساس ، فإنّ الجنّة بذاتها وأبوابها ودرجاتها طاهرة مطهّرة ،كما أنّ خدّامها وساكنيها وواردیها طاهرون مطهّرون ، في السيرة والسلوك وفي الملكات والصفات والعقائد . ولا مكان هناك لفعل القبيح والقول الذميم والنيّة المدنّسة ، ولا للمكر والخداع والحرص والطمع والبُخل والحقد والحسد والمداهنة والتملّق والنفاق والغرور والاستكبار والأنانيّة .

١ـ الآيتان ٩ و١٠ ، من السورة ١٠ : يونس .

وليس هناك مَن يدعو إلى الكفر والشرك والنفاق، أو يميل إلى الباطل والآراء الفاسدة، ولا مكان للّغو والعبث والباطل من القول.

فدأب الجميع هناك الحمد والسلام والتحيّة والإكرام والتهنئة والتسبيح والتقديس، وشأنهم التمجيد والتهليل والتكبير والذكر، وحالهم التلاقي والتزاور والنضارة والسرور والبهجة والحبور، يملؤهم الإحساس بالخفّة والنشاط فيحلّقون، وتطفح فيهم اللذّة والنعمة والخير والبركة والعافية والرحمة؛ ويفيض منهم العطف والودّ والحبّ والشوق والإحسان والإخلاص.

ولقد كانت الصدمات والمشاكل الدنيويّة والبؤس والضرّاء والمجاهدات في تكميل النفوس والقابليّات تستهدف ورود هذا المقام المنيع وبلوغ هذه الذروة الرفيعة. وكانت شدائد سكرات الموت وعذاب عالم القبر والبرزخ، وسؤال منكر ونكير، وتطاول عالم الصورة، والنفخ في الصور، والقيام عندالله تعالى، وعالم الحشر والنشور، وصحائف الأعمال، والحساب والجزاء والعرض والصراط والميزان والشفاعة والأعراف والوسيلة وغيرها، تشكّل بأجمعها دروساً تربويّة لتطهير النفوس وتزكيتها لنيل مقام القداسة وورود الجنّة.

كما أنّ جهنّم بدورها هي نوع من التطهير والتزكية بالنسبة إلى غير المخلّدين فيها، لأنّهم يذوقون جزاء ما ارتكبوا من قبائح، من أجل أن توجد فيهم القابليّة لنيل العفو والغفران. ثمّ إنّهم يخرجون منها فيغتسلون في ماء الكوثر، وينهلون من معين الولاية، فتنالهم الشفاعة إثر ذلك، ويتوجّهون صوب الجنّة.

وما أجمل هذه الآية الشريفة وهي تنطق بلسان أصحاب الجنّة في مناجاتهم المستمرّة لربّهم، وترنّمهم بـ«سُبحانك اللهّم» والسلام تحيّتهم،

وأنّ آخر دعواهم وكلامهم يتمثل في حصر جميع مراتب التمجيد والثناء والحمد في الذات القدسيّة لربّ العالمين . أي أنّهم قد بلغوا آنذاك مقام العرفان الحقيقيّ ، فحصروا الأفعال والصفات والأسماء والذوات في الذات القدسيّة لحضرة ذي الجلال ، وصاروا يرون نوره متجلّياً في جميع مظاهر وعوالم المُلك والملكوت ، ويشاهدون العالم بأسره نوراً وضياءً وشعاعاً من بريق الشمس الساطعة للحضرة الأحديّة .

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَهُدُوٓا إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ.[1]

ونلحظ في هذا المجال أنّ الآية عدّت أفضل هدايا الجنّة وتُحفها مجسّدة في القول الطيّب وسبيل العزّة الذي يرتضيه الله تعالى . والحقّ أنّ هذا الكلام الحقيقيّ الحاكي عن محض الواقع وحقيقة العرفان يفوق كلّ لذّة وبهجة وسرور .

جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ.[2]

حيث إنّ عنوان حمدالله ، وإسناد إذهاب الحَزَن إلى الله تعالى ، والثناء عليه عزّ وجلّ بصفتَي «الغفور» و«الشكور» ، ونسبة الإحلال في دار المقامة إليه تعالى ، إضافة إلى عدم حسّ التعب واللغوب ، هي أُمور تدلّ

١ـ الآيتان ٢٣ و٢٤ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

٢ـ الآيات ٣٣ إلى ٣٥ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

بأجمعها على مقام التوحيد والعرفان الحقيقيّ لأصحاب الجنّة ، إذ ليس في عالم لقاء الحضرة الأحديّة من مشكلات ولا صعوبات ، ولا سبيل للكدورات إليه .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ.[1]

وعلى هذا الأساس ، فإنّ الجنّة هي محلّ السلام والسلامة ؛ أي المحلّ الذي لا يعتري الإنسان فيه مرض أو فقر أو موت ، ولا يواجهه فيه صعوبة أو نقصان في بُعدٍ من أبعاده الوجوديّة .

وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ.[2]

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ (بربّهم وبالموجودات المجرّدة الملكوتيّة في العالم العلويّ) **فَٰكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ * لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ * سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ.**[3]

ونشاهد في هذه الآية الأخيرة أنّ مقصود أصحاب الجنّة وغايتهم هو سلام الله تعالى ، لأنّهم جعلوا الله بُغيتهم ومقصودهم فطووا إليه مراحل

١ـ الآيات ٤٥ إلى ٤٨ ، من السورة ١٥ : الحجر .

٢ـ الآيات ٣٠ إلى ٣٢ ، من السورة ١٦ : النحل .

٣ـ الآيات ٥٥ إلى ٥٨ ، من السورة ٣٦ : يس .

السلوك ، وساروا إلى اللقاء والحضور والعرفان ، ويمّموا صوب الفناء في نهاية المطاف في ذاته القدسيّة والبقاء ببقائه وأبديّته وخلوده ؛ وها هم قد بلغوا دار السلام ، فصار ربّهم وليّهم ومدبّرهم .

لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .[1]

أجل ، إنّ السلام من أسماء الله تعالى ، أي أنّ له عزّ وجلّ صفة السلام ، وأنّه تعالى عارٍ عن أيّ نقصان أو حزن أو خوف أو عجز ، ومنزّه عن أيّ فتور أو عاهة أو مرض . وهي صفة تُفاض على المؤمن فيتّصف بصفة السلام ويسمّى باسم السلام .

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ .[2]

وقد ورد في الدعاء : **اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ وَلَكَ السَّلَامُ وَإِلَيْكَ يَعُودُ السَّلَامُ .**[3]

وبما أنّ المؤمن قد اتّصف بصفة السلام واسم السلام ، فجميع آثار وخواصّ السلام الموجودة في الله تعالى ستتجلّى في المؤمن ، وسيحظى من ثَمّ بمقام عالٍ ورفيع حقّاً .

وما أعظم دين الإسلام المقدّس وأمته حين جعل السلام تحيّة المسلمين ! **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ** . يعني : لكم اسم السلام الخاصّ بالله . ويعني :

١ـ الآية ١٢٧ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢ـ الآية ٢٣ ، من السورة ٥٩ : الحشر .

٣ـ ينقل المجلسيّ رحمة الله عليه في كتاب «مزار البحار» ج ٢٢ ، ص ٢٤١ ، طبعة الكمبانيّ القديمة ، عن السيّد ابن طاووس (ج ٩٦ ، ص ٨٣ إلى ٩٢ ، الطبعة الجديدة الحروفيّة) زيارةً لصاحب العصر في السرداب المطهّر ، يصلّي الزائر بعدها اثنتي عشرة ركعة ويُهديها له عليه السلام ، ويسبّح تسبيحة الزهراء عليها السلام كلّما سلّم في كلّ ركعتين ، ثمّ يقول : **اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلَامُ ، وَإِلَيْكَ يَعُودُ السَّلَامُ ، حَيِّنَا رَبَّنَا مِنْكَ بِالسَّلَامِ** ـ الدعاء .

اتّصفوا بهذا الإسلام وتمتعوا بالسلامة المطلقة للباري تعالى .

فالسلام ـ إذاً ـ ليس تحيّة يُنشؤها المسلم من عند نفسه ، فيُهديها إلى أخيه المسلم ؛ بل هو دعاء وإنشاء طلب من الله تعالى ليمنّ بالسلام على ذلك الأخ المسلم .

كما أنّ صيغة **السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَهِ الصَّالِحِينَ** هي أيضاً دعاء يدعو به المسلم ، فيطلب من الله السلام والاتّصاف بهذه الصفة لنفسه ولعباد الله الصالحين .

أوَ لسنا محتاجين لمثل هذا المقام ؟ فَلِمَ إذاً نُحرم من مثل هذا الدعاء ؟

قد يُخال للبعض أنّ السلام نوع من أنواع التحيّة والمجاملة الشكليّة ، فلا يذكر كلمة «علينا» ، ويكتفي في كتاباته بعبارة : **السَّلَامُ عَلَى عِبَادِ اللَهِ الصَّالِحِينَ** ، وهو أمر ينطوي على خطأ جليّ وصريح .

ويتّضح ممّا قيل أنّ السلام ليس مجرّد كلام وألفاظ متبادلة ، بل هو حقيقة وعالم خاصّ . بَيدَ أنّ الدعاء للسلام لمّا استلزم الكلام ، فصار يُخال للعامّة أنّ السلام من الكلام والحديث . وشأن السلام شأن الرحمة والبركة والعافية التي تمثّل حقيقة وعالماً خاصّاً ، والتي إذا ما شئنا الدعاء بها كما في قولنا : **وَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكُمْ ، وَبَرَكَةُ اللهِ لَكُمْ ، وَعَافَاكُمُ اللَهُ** لاستلزم ذلك الكلام واستعمال الألفاظ .

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ * ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ .[1]

---

١ ـ الآيات ٣١ إلى ٣٥ ، من السورة ٥٠ : ق .

فيتّضح من هذه الآيات أنّ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ لا يعني أنّ الملائكة يسلّمون عليهم لفظاً ، بل يعني أنّ دخولهم الجنّة يتساوق مع السلام والسلامة والأمن من كلّ نقص وأذى .

ويدلّ السلام المشرّع في الإسلام كتحيّة ودعاء ، على طلب الشخص السلامَ من الله للمسلَّم عليه ، وإخباره بأنّ وجود مُلقي السلام سيتّصف باسم السلام ، وأنّ ظهور هذا الاسم فيه سيصون متلقّي السلام عن أيّ أذى وشرّ من جانب مُلقي السلام .

يضاف إلى ذلك أنّ السلام معدود من درجات الطهر والطهارة ، وقد سبق أن نوّهنا بأنّ أصحاب الجنّة مطهّرون بأسرهم ، وأنّ منازلهم وأزواجهم مطهّرة أيضاً .

أمّا بشأن طهارة أصحاب الجنّة ، فقد ورد في الآية الكريمة ٧٣ ، من السورة ٣٩ : الزمر :

سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ .

حيث يدلّ التفريع بالفاء في هذه الآية على طهارة المنزِل كدلالته على طهارة النازل من أصحاب الجنّة .

سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ .[1]

ويدلّ التفريع بالفاء في هذه الآية على طهارة المنزلة المسبّبة عن طهارة النازل ، تلك المنزلة التي نالها إثر الصبر .

وإضافة إلى هذا الفارق بين الآيتين ، فقد ورد السلام في الآية الثانية من قِبل الله تعالى ، وفي مقام الامتنان ؛ أمّا في الآية الأُولى فقد ورد من قِبل الملائكة الذين يتلقّون أصحاب الجنّة الطيّبينْ بالبشرى .

١ـ الآية ٢٤ ، من السورة ١٣ : الرعد .

وأمّا بشأن طهارة منازل أصحاب الجنّة، فيدلّ عليه قوله تعالى في الآية ١٢، من السورة ٦١: الصفّ: **وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ.**

وأمّا بشأن طهارة أزواجهم، فبدلالة الآية ١٥، من السورة ٣: آل عمران: قُلْ (والخطاب للنبيّ) **أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ.**

ولا تنحصر الطهارة والقداسة في الجنّة في الوجود والنفس والمظاهر، بل تسري كذلك في الكلام والقول، فيخلو كلام أصحاب الجنّة من كلّ لغو وإثم.

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا.[1]

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا.[2]

فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً.[3]

ويمكن أن نعتبر أوسع الآيات شمولاً وجامعيّة في هذا الشأن، الآية ٤٩، من السورة ٧: الأعراف: **ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ.**

وذلك لأنّ الخوف ينشأ من احتمال وقوع أمر سيّئ، وأنّ الحزن ينشأ من أمر سيّئ واقع؛ وقد نفى الله عزّ وجلّ في هذه الآية عن أصحاب الجنّة كلّ نقصان وجوديّ، سواء النقصان الواقع أم النقصان المحتمل. وعليه،

١ـ الآيتان ٢٥ و٢٦، من السورة ٥٦: الواقعة.

٢ـ الآية ٣٥، من السورة ٧٨: النبأ.

٣ـ الآيتان ١٠ و١١، من السورة ٨٨: الغاشية.

فليس في أهل الجنّة أيّ عيب أو نقص ، وهم منزّهون عن كلّ أمر عدميّ ، وكاملون في كينونة ذواتهم ،كما لا يطرأ على الجنّة شيء من منغّصات الدنيا وعوامل الفعل والانفعال التي تستدعي النقصان .

ولقد نُفي عن أهل الجنّة جميع أنحاء العيوب ، وأُبعد عنهم الغلّ والغشّ ، ففازوا بالرحمة الإلهيّة وغشيان الجذبات الربانيّة ، وعاشوا في أمن وسلام .

ويمكننا أن ندرك من خلال ذلك أنّ السلم والمسالمة والإسلام والتسليم هي الحاكمة هناك ، وأنّ الإنكار والجحود والاستكبار أُمور منتفية في ذلك العالم ، وأن ليس من سبيل لمن يتّصف بهذه الرذائل لبلوغ ذلك العالَم ، وأنّ الدين المرضيّ هناك هو دين الإسلام ، دين التسليم والسلامة ، وأنّ من ينتحل لنفسه ديناً سواه ، سوف لن يُقبل منه ، سواءً كان مذهباً سماوياً أم وضعيّاً .

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ.[1]

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ.[2]

فاختيار الدين ليس بما تهوى النفوس وترغب ، وليس من حقّ الإنسان أن يختار اليهوديّة أو النصرانيّة بعد أن جاء دين الإسلام الناسخ لجميع الأديان التي سبقته ؛ فالواجب يحتّم على الجميع الاعتقاد بهذا الدين الذي هو أكمل وأتمّ الشرائع ، وإلّا كانوا من الخاسرين .

وبغضّ النظر عمّا أصاب دينَي موسى وعيسى على نبيّنا وآله

١ـ الآية ١٩ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٢ـ الآية ٨٥ ، من السورة ٣ : آل عمران .

وعليهما السلام من تحريف المحرّفين وتدخّل أهواء حملتهما ، وطروء التحريف على التوراة والإنجيل ، فإنّ الاسلام يعدّ متمّم الشرائع والصراط المستقيم الهادي إلى الله تعالى ، والنهج الأوحد إلى الحقيقة ،كما يعد الواضع لأفضل الخطط والبرامج الشاملة لأرقى التعاليم الهادفة إلى إيصال الكمالات والقابليّات البشريّة إلى فعليّتها ، وإلى بلوغ توحيد وعرفان الحضرة الأحديّة . ولذلك فقد أضحى من الحكمة عدم اتّباع السبل الأُخرى الضعيفة المنقطعة . وسيرحل أتباع تلكم السبل حين يرحلون عن الدنيا ناقصين لم يبلغوا بمراتب قابليّاتهم الوجوديّة إلى ذروة فعليّتها ، ولم يتمكّنوا من طيّ طريق التوحيد إلى غايته ، وسيكونون في العاقبة من الأخسرين أعمالاً ، ذلك الخسران المبين الناشئ من النقصان والأُمور العدميّة . وسيكون أمثال هؤلاء الأفراد ناقصين وحزانى في الآخرة التي هي محلّ تجلّيات النفس وظهور عالم التوحيد ، حتّى لو أنجزوا واجباتهم المناطة بهم على أكمل وجه .

ومن هنا فلا يُمكن الاستفادة من آية :

لَا إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ،[1] بأنّ الناس مختارون في اختيار الدين والمذهب ، لأنّ هذه الآية في صدد بيان أنّ الدين والعقيدة هما أمر وجدانيّ ، ولا يمكن أن يُكره إنسان على اعتناق دين معيّن ؛ وما على البشر حين يتبيّن لهم الرشد والسعادة من الغيّ والضلال ، إلّا أن يسيروا صوب الكمال والرشد .

ولا يعني ذلك كون الناس مختارين في اختيار الدين ، لأنّ عليهم ـ بلحاظ الظاهر والأحكام الاجتماعيّة والتعاليم الأخلاقيّة ـ أن يختاروا دين

١ـ الآية ٢٥٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

الإسلام حتماً ؛ وهذا الاختيار والقبول سيهيئان قلوبهم تدريجياً لتقبل كمالات الإسلام المعنويّة .

وخلاصة القول أنّ هذه الآية في صدد الحكاية عن حالات الناس القلبيّة ، وليست في مقام الإنشاء ومنح الاختيار في عالم الظاهر . ويشهد على هذا الأمر ، أنّ هناك آيات أُخرى تدلّ على أنّ الإسلام وحده هو الدين المرضيّ لدى الله تعالى ، وأنّ أيّ دين ونهج آخر لن يحظى بارتضائه عزّ وجلّ ، كالآيات ٦٨ إلى ٧٣ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ * وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ .

وقد وردت كلمة الإسلام في هذه الآية وفي الآيتين اللتين سبقتاها تعبيراً عن خصوص الإسلام المصطلح ، وليس بمعنى التسليم الحقيقيّ ، وهذا هو معنى الإسلام في الاصطلاح القرآنيّ ، شأنه في ذلك شأن الإيمان الذي يعني خصوص الإيمان بالله وبرسوله ولا يعني مطلق الإيمان .

ولذلك فإنّ الآيات القرآنيّة الكثيرة التي تجمع على أنّ الجنّة لمن آمن وعمل صالحاً ، كالآية ٨٢ ، من السورة ٢ : البقرة : **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ .**

والآية ٤٠ ، من السورة ٤٠ : المؤمن : **وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ .**

هذه الآيات بكثرتها عائدة إلى خصوص المسلمين والمؤمنين ، لأنّ المتبادر من لفظ المؤمن في عرف الإسلام وعرف مسلمي صدر الإسلام هو

خصوص المؤمن بالله وبرسوله .

ويماثل تلك الآيات ، الآية ٢ ، من السورة ٤٧ : محمّد : **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ**.

ونظير هذه الآيات ، الآيات التي تدعو أهل الكتاب إلى الإسلام وإلى الإيمان برسول الله وبالقرآن ،كالآية ١١٠ ، من السورة ٣ : آل عمران : **وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم**.

وكالآية ٦٥ ، من السورة ٥ : المائدة : **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا وَٱتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ**.

ومن الواضح أنّ الاعتقاد بدين النبيّ موسى أو بدين النبيّ عيسى لو كان كافياً ، لما كان لأمر الله أهلَ الكتاب بالإسلام وبالإيمان بما نزّل على محمّد من معنى ، ولا للومه إيّاهم لقولهم جزافاً بأنّ اليهوديّة والنصرانيّة تستتبعان دخول الجنّة ، ولبيانه بأنّ الإسلام (وهو تسليم الوجهة الباطنيّة للّه تعالى) والإحسان هما السبب الوحيد لثبات الأجر عندالله ، وللنجاة من كلّ خوف وحُزن .

وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.[1]

ولدينا في هذا المسار آيتان قرآنيّتان لهما دلالة على عدم نفع الإيمان الظاهريّ ، وعلى انتفاء أثر التسمّي بالإسلام والإيمان ، وعلى أنّ الإيمان الحقيقيّ هو الميزان والملاك للسعادة وللنجاة من الخوف والحزن .

١ـ الآيتان ١١١ و١١٢ ، من السورة ٢ : البقرة .

أُولاهما : الآية ٦٩ ، من السورة ٥ : المائدة : إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

وثانيتهما : الآية ٦٢ ، من السورة ٢ : البقرة : إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

وهاتان الآيتان في صدد بيان أنّ أفراد البشر لمّا تيقّنوا بأنّ الدين الإسلاميّ المقدّس هو أكمل الأديان وأفضلها وأشرفها ، وأنّه أفضل الطرق وأقصرها وأيسرها لإيصال البشريّة إلى سعادتها ، فقد توجّب عليهم عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يرفعوا أيديهم عن الأديان والمذاهب والمناهج الأُخرى ، وأن ينضووا تحت لواء هذه الشريعة الغرّاء ، وإلّا فالخسران عاقبتهم .

ولو بذل امرؤ ما قصارى وسعه لإدراك الحقيقة ، ثمّ أيقن ـ لبُعده عن محيط العلم والإيمان ، ولنشوئه في محيط جاهليّ ـ بأنّ دين النبيّ موسى أو دين النبيّ عيسى على نبيّنا وآله وعليهما السلام كافٍ في هذا الزمان ، فآمن هذا الشخص بالله وبيوم الجزاء وعمل صالحاً وفق ما تأمره به شريعته ، وتبعاً للنواميس والأحكام العقليّة ، واجتنب الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين ، فإنّه سيعدّ من المستضعفين أو يُلحق بهم أو يعدّ ممّن هم «مُرجون لأمر الله» . ولن يؤاخذ مثل هذا الشخص على عدم إسلامه وعدم إيمانه ، على الرغم من أنّه لن يمتلك مقام المسلم والمؤمن ودرجتهما .

وعلى هذا الأساس ، فسيدخل الجنّة أهل العامّة الذين لا يكنّون في قلوبهم بُغضاً ونصباً لأهل البيت ، إلّا أنّهم ـ في الوقت نفسه ـ لم يتيقّنوا

بحقّانيّة مولى الكونينِ وإمام الثقلين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وولايته الحقّة الإلهيّة ، إلّا أنّهم سيتفاوتون بالتأكيد مع الواردين من سائر أبواب الجنّة بلحاظ المقام والمنزلة .

وقد ورد في كثير من الآيات القرآنيّة أنّ دخول الجنّة مشروط بالتقوى وطاعة الله ورسوله ، ومخالفة هوى النفس ، والخوف من مقام عظمة الله وجلاله ، والوجل من موقف العرض في محضره عزّ وجلّ وسكون النفس بالله وخضوعها وخشوعها أمامه ، وبامتلاك القلب السليم ؛ ومن هذه الآيات ، الآية ١٩٨ ، من السورة ٣ : آل عمران :

لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ .

والآية : وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا .[1]

والآية : وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ .[2]

والآية : إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ .[3]

والآية : يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .[4]

وبناءً على أنّ الجنّة هي محلّ الطهر والطهارة ، ومحلّ الطيّب ومكان

١ـ الآية ١٧ ، من السورة ٤٨ : الفتح .

٢ـ الآيتان ٤٠ و٤١ ، من السورة ٧٩ : النازعات .

٣ـ الآية ٢٣ ، من السورة ١١ : هود .

٤ـ الآيتان ٨٨ و٨٩ ، من السورة ٢٦ : الشعراء .

ورود الطيّبين الطاهرين ، فإنّ موضع **شجرة طوبى** سيكون في الجنّة .

وحقيقة شجرة طوبى من الطهر ، لأنّ **طوبى** مشتقّة من طابَ **يطيبُ** .[1]

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ .[2]

فحقيقة طوبى إذاً هي النزاهة والقداسة . ولمّا كان تجلّي الطهارة والقداسة في أنواع وأشكال مختلفة ، فستتجلّى يوم القيامة في هيئة شجرة لها فروع طيّبة مثمرة . وبالنظر إلى أنّ أساس شجرة الطهر والقداسة هو الولاية التي يرشح عنهاكلّ طيب وخير ، وأنّ أيّ شيء سوف لن يمتلك قدراً بدون الولاية الناشئة من المحبّة ؛ فإنّ هذه الشجرة ستضرب بجذورها الراسخة في منزل الولاية ، وستنمو ـ شجرة الولاية ـ مستمدّة من معدن الولاية ، وتمدّ فروعها التي هي عبارة عن الطهارة والرحمة والعافية والإيثار والإنفاق والعبوديّة والجهاد والصلاة والصيام وسائر الأفعال والصفات الحميدة . وهي فروع نابعة من أصل الشجرة ، ومعتمدة عليها في رشدها ونموّها .

وعلى هذا الأساس ، فقد ذكر المرحوم الطبرسيّ في تفسيره «مجمع البيان» تسعة أقوال للمفسّرين في معنى كلمة **طوبى** ، ثمّ ذكر لها معنى عاشراً وهو أنّها شجرة في الجنّة أصلها في دار النبيّ ، وفي داركلّ مؤمن منها غصن . ثمّ قال بأنّ هذا المعنى منقول عن **عبيد بن عمير ووهب وأبي هريرة وشهر بن حوشب** . ورواه عن أبي سعيد الخدريّ مرفوعاً ، وهو المروي عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام .

١ـ طاب وطوبى أجوف يائيّ ، وكانت طوبى في الأصل طُيْبى ، لذا فقد قلبت الياء المسبوقة بالضمّة واواً .

٢ـ الآية ٢٩ ، من السورة ١٣ : الرعد .

ثمّ قال: وروى الثعلبيّ بإسناده عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، قال: **طُوبَى شَجَرَةٌ أَصْلُهَا فِي دَارِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الجَنَّةِ؛ وَفِي دَارِ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْهَا غُصْنٌ.**

وَرَوَاهُ أَبُو بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَوَى الحَاكِمُ أَبُو القَاسِمِ الحَسْكَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ طُوبَى قَالَ: شَجَرَةٌ أَصْلُهَا فِي دَارِي وَفَرْعُهَا عَلَى أَهْلِ الجَنَّةِ. ثُمَّ سُئِلَ عَنْهَا مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ: فِي دَارِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ: إِنَّ دَارِي وَدَارُ عَلِيٍّ فِي الجَنَّةِ بِمَكَانٍ وَاحِدٍ.[1]

وروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام، قال:

طُوبَى شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ فِي دَارِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِهِ إِلَّا وَفِي دَارِهِ غُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِهَا وَوَرَقَةٌ مِنْ أَوْرَاقِهَا يَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ.[2]

وروى في نفس التفسير عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث المعراج، قال:

ثمّ خرجتُ (من البيت المعمور) فانقاد لي نهران، نهر يسمّى **الكَوْثَر**، ونهر يسمّى **الرَّحْمَة**، فشربتُ من الكوثر واغتسلتُ من الرحمة، ثمّ انقادا لي جميعاً حتّى دخلتُ الجنّة فإذا على حافّتيها بيوتي وبيوت

١ـ «مجمع البيان» ج ٣، ص ٢٩١، طبعة صيدا.

٢ـ «تفسير القمّيّ» ص ٣٤١، الطبعة الحجريّة.

أزواجي ، وإذا ترابها كالمسك ، فإذا جارية تنغمس في أنهار الجنّة ، فقلتُ : لمن أنت يا جارية ؟ فقالت **لزيد بن حارثة** ، فبشّرتُه بها حين أصبحتُ .
وإذا بطيرها كالبُخت ،[1] وإذا رمّانها مثل الدلاء العظام ، وإذا شجرة لو أُرسل طائر في أصلها ، ما دارها تسعمائة سنة ، وليس في الجنّة منزل إلّا وفيها فرعٌ منها ، فقلتُ : ما هذه يا جبرئيل ؟ فقال : هذه شجرة طوبى ؛ قال الله : **طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ**.[2]

وروى الصدوق في «الخصال» بسنده عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال :

طوبى شجرة في الجنّة أصلُها في دار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فليس من مؤمن إلّا وفي داره غُصن من أغصانها ، لا ينوي في قلبه شيئاً إلّا أتاه ذلك الغصن به ، ولو أنّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائة عام لم يخرج منها ، ولو أنّ غراباً طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتّى يبيضّ هرماً ، ألا ففي هذا فارغبوا .[3]

وفي «تفسير العيّاشيّ» عن عمرو بن الشمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر (الباقر) عن آبائه عليهم السلام ، قال :

بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالس ذات يوم ، إذ دخلتْ عليه **أُمّ أيمن** في ملحفتها شيء ، فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

يا أُمّ أيمن ! أيّ شيءٍ في ملحفتك ؟

١ـ البُخت ، بضمّ الباء ـ الإبل الخراسانيّة .

٢ـ «تفسير القمّيّ» ص ٣٧٤ .

٣ـ «الخصال» ج ٢ ، ص ٨٢ ، باب (لأهل التقوى اثنتا عشرة علامة) ، الطبعة الحجريّة .

فقالت : يا رسول الله فلانة بنت فلانة أملكوها فنثروا عليها فأخذت من نثارها شيئاً .

ثمّ إنّ أُمّ أيمن بكت ، فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : ما يُبكيك ؟

فقالت : فاطمة زوّجتها فلم تنثر عليها شيئاً .

فقال لها رسول الله لاتبكين فوالذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً ، لقد شهد أملاك فاطمة جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في أُلوف من الملائكة ، ولقد أمرالله طوبى فنثرت عليهم من حُللها وسُندسها واستبرقها ودرّها وزمرّدها وياقوتها وعطرها ، فأخذوا منه حتّى ما دروا ما يصنعون به ، ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة ، فهي في دار عليّ بن أبي طالب .[1]

كما روى في «تفسير العيّاشيّ» عن أبان بن تغلب ، قال :

كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يُكثر تقبيل فاطمة . قال : فعاتبته على ذلك عائشة ، فقالت : يا رسول الله ! إنّك لتكثر تقبيل فاطمة ؟

فقال لها : ويلك ! لمّا أن عُرج بي إلى السماء مرّ بي جبرئيل على شجرة طوبى فناولني من ثمرها فأكلتها فحوّل الله ذلك إلى ظهري ، فلمّا أن هبطتُ إلى الأرض واقعتُ خديجة ، فَحَمَلت بفاطمة عليها السلام ، فما قبّلت فاطمة إلّا وجدتُ رائحة شجرة طوبى .[2]

وذكر في «تفسير فرات بن إبراهيم» أربع روايات بأسناد مختلفة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، كما نقل رواية مفصّلة عن أمير المؤمنين عليه السلام في شجرة طوبى تشتمل على خصائص هذه

١ـ «تفسير العيّاشيّ» ج ٢ ، ص ٢١١ و٢١٢ .

٢ـ «تفسير العيّاشيّ» ج ٢ ، ص ٢١٢ .

الشجرة الطيّبة وأوصافها.[1]

وأحد عوالم أصحاب الجنّة هو مقام الرضا، وهو لا يجسّد مقام رضا الله تعالى عنهم فحسب، بل هو كذلك مقام رضاهم عنه تعالى، حيث يرضى الطرفان عن بعضهما ويرتفع بينهما العتب والمؤاخذة.

وليس المراد من الرضا هو الرضا التكوينيّ، لأنّ الله تعالى راضٍ عن جميع الموجودات، وكيف لا يرضى عنها وقد خلقها بأمره ومشيئته؛ بل المراد به الرضا التشريعيّ، أي أنّ العبد يصل في مقام العمل حدّاً يرتفع معه عنه أيّ عتب على ربّه، فيرى جميع أفعال ربّه حسنة وجميلة؛ وفي المقابل فإنّ الله تعالى سيرى أفعال عبده جميلة وحسنة يرضاها له ويمُضيها، ويكون بين الطرفين رضا متبادلاً.

يقول تعالى في الآية ٧٢، من السورة ٩: التوبة: **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ**.

ويقول في الآية ١٠٠، من نفس السورة: **رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ**.

وقد وردت عبارة: **رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**، التي تجسّد رضا الطرفين عن بعضهما، في أربعة مواضع من القرآن الكريم؛ الأوّل: في سورة التوبة وقد مرّ؛ والثاني: في الآية ١١٩، من السورة ٥: المائدة: والثالث: في الآية ٢٢، من السورة ٥٨: المجادلة؛ والرابع: في الآية ٨، من السورة ٩٨: البيّنة.

١ـ «تفسير فرات» ص ٧٤ و٧٥.

وينبغي العلم بأنّه لمّا كانت الجنّة عالم التجرّد والإطلاق فكلّ ما شاء المؤمنين واشتهوه وجدوه حاضراً في متناول أيديهم ، أي أنّه سيكون حاضراً بمجرّد تحقّق رغبتهم ومشيئتهم الباطنيّة .

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ. [1]

وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ. [2]

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ. [3]

وأكمل هذه الآيات دلالةً على نيل أصحاب الجنّة لما يشتهون ، قوله تعالى : **وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ.** [4]

فكلّ كمال تمتلكه النفس ، وكلّ مقصود تسعى إليه ، وكلّ مشتهىً تشتهيه وترغب فيه ، فإنّها ستخلّد في ذلك الكمال وذلك المشتهى ، وتقف عنده .

ومن هنا ، فالذين يقصرون هممهم على الحور والقصور والأنهار واللذّة دون أن يقصدوا لقاء الله تعالى ، سوف لن يمّحون في جمال الحضرة الأحديّة ، وسيخلّدون في تلك المشتهيات والأماني .

إنّ للجنّة ـ كما سيأتي إن شاء الله تعالى ـ درجات ومقامات مختلفة ، وإنّ لأصحاب الجنّة درجات متفاوتة ، وإنّ كلاً منهم سيخلّد في مشتهياته ونواياه ، وبمقدار همّته وسعة صدره .

وينبغي العلم بأنّ جميع الآيات الواردة في وصف خصوصيّات الجنّة

١ـ الآية ٣٤ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٢ـ الآية ٧١ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

٣ـ الآية ٣١ ، من السورة ٤١ : فصّلت .

٤ـ الآية ١٠٢ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

من الحور والقصور والطيور والأشجار والأثمار والأنهار والظلال والشراب والغلمان والزينة والخلود ، إنّما تقصد هذه المعاني ، وهي معانٍ مطلقة لا يشوبها نقص ولا فناء .

أجل ، لدينا آية في القرآن الكريم تدلّ على أنّه تعالى قد جعل لبعض عباده أشياءً تفوق مشيئتهم وتتخطّى أُفق أفكارهم ورغباتهم ، وهي أُمور لا يعلم أحد عن كُنهها شيئاً .

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.[1]

وبعد علمنا بأنّ جميع درجات تعيّنات عالم الملكوت ، من الحور والقصور والأنهار وغير ذلك ، هي مطلقة بأجمعها وغير مشوبة بأمور عدميّة ، وأنّ الله سبحانه قد وصف عطاءه بكلّ صفة جميلة وبليغة ؛ فسنفهم أنّ ما أخفاه لعباده هو فوق تصوراتهم وممّا لا يخطر على بالهم ، ولابدّ له من أن يكون ممّا لا يعدّ ولا يحصى .

قال الشيخ الطبرسيّ في تفسير هذه الآية : أي لا يعلم أحد ما خُبّئ لهؤلاء الذين ذُكروا ممّا تقرّ به أعينهم . قال ابن عبّاس : هي ما لا تفسير له ، فالأمر أعظم وأجلّ ممّا يُعرف تفسيره .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: إنَّ اللهَ يَقُولُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ؛ بَلْهَ مَا أَطْلَعْتُكُمْ عَلَيْهِ ، اقْرَأُوا إنْ شِئْتُمْ: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ» . رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ جَمِيعاً.[2]

وروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن

١ـ الآية ١٧ ، من السورة ٣٢ : التنزيل (السجدة) .

٢ـ «مجمع البيان» ج ٤ ، ص٣٣١ ، طبعة صيدا ؛ و«بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٢٠ .

أبي نجران ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، قال : ما مِن عملٍ حسن يعمله العبد إلّا وله ثواب في القرآن ، إلّا صلاة الليل ، فإنّ الله لم يبيّن ثوابها لعظم خطرها عنده ، فقال :

تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.[1]

ثمّ قال : إنّ للّه كرامة في عباده المؤمنين في كلّ يوم جمعة ، فإذا كان يوم الجمعة بعث الله إلى المؤمنين ملكاً معه حلّتان فينتهي إلى باب الجنّة فيقول : استأذنوا لي على فلان ، فيُقال له : هذا رسول ربّك على الباب ، فيقول لأزواجه : أي شيء ترينّ عَلَيّ أحسن ؟ فيقلن : يا سيّدنا ! والذي أباحك الجنّة ، ما رأينا عليك شيئاً أحسن من هذا قد بعث إليك ربّك ، فيتّزر بواحدة ويتعطّف بالأُخرى فلا يمرّ بشيء إلّا أضاء له ، حتّى ينتهي إلى الموعد ، فإذا اجتمعوا تجلّى لهم الربّ تبارك وتعالى ، فإذا نظروا إليه ، أي إلى رحمته خرّوا سجّداً ، فيقول : عبادي ! ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم سجود ولا عبادة ، قد رفعتُ عنكم المؤونة . فيقولون : يا ربّ ! وأيّ شيء أفضل ممّا أعطيتنا ؛ أعطيتنا الجنّة . فيقول : لكم مثل ما في أيديكم سبعين ضِعفاً . فيرى المؤمن في كلّ جمعة سبعين ضِعفاً مثل ما في يده ، وهو قوله : **وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** ، وهو يوم الجمعة ، **إِنَّهَا لَيْلَةٌ غَرَّاءُ وَيَوْمٌ أَزْهَرُ** فأكثروا فيها من التسبيح والتهليل والتكبير والثناء على الله والصلاة على رسوله . قال : فيمرّ المؤمن فلا يمرّ بشيء إلّا أضاء له حتّى ينتهي إلى أزواجه فيقلن : والذي أباحنا الجنّة يا سيّدنا ما رأيناك أحسن منك الساعة ، فيقول :

١ـ الآيتان ١٦ و١٧ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

إنّي قد نظرتُ إلى نور ربّي ، ثمّ قال : إنّ أزواجه لا يغرن ولا يحضن ولا يصلفن .

قال الراوي (عاصم بن حميد) : قلت : جُعلت فداك ؛ إنّي أردت أن أسألك عن شيء أستحي منه .

قال : سَلْ .

قلت : جُعلت فداك ؛ هل في الجنّة غناء ؟

قال : إنّ في الجنّة شجرة يأمر الله رياحها فتهبّ فتضرب تلك الشجرة بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها حُسناً .

ثمّ قال : هذا عوض لمن ترك السماع للغناء [1] في الدنيا من مخافة الله .

قال ، قلتُ : جُعلت فداك ؛ زدني !

فقال : **إنَّ اللهَ خَلَقَ جَنَّةً بِيَدِهِ وَلَمْ تَرَهَا عَيْنٌ وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا مَخْلُوقٌ ، يَفْتَحُهَا الرَّبُّ كُلَّ صَبَاحٍ فَيَقُولُ : ازْدَادِي رِيحاً ، ازْدَادِي طِيباً ، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى : «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»** . [2]

وخلاصة الأمر أنّنا نجد أنفسنا مجبرين ـ إيضاحاً لهذه الحقيقة ـ على ذكر بحث مختصر ، وهو أنّه قد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : وَأَن

---

١ ـ المراد بالغناء المحرّم كلّ صوت يُطرب الإنسان ، كمجالس الغناء وسماع المغنّيات أو سماع الموسيقى وآلاتها ، أمّا مجرّد الصوت الجميل واللحن الحسن ، ولو كان ترجيعاً فغير حرام مهما كان مُبهجاً أو مُحزناً . بل الصوت الحسن من الأمور الحميدة ومن موجبات صفاء الروح ، وخاصّة عند قراءة القرآن والدعاء والأشعار التي تذكّر بالله تعالى وبعالم التجرّد والإطلاق ، إذ تحتلّ أهمّيّة كبيرة ، وهي حقّاً من غناء الجنّة .

٢ ـ «تفسير القمّيّ» ص ٥١٢ و٥١٣ ؛ وفي طبعة النجف الحروفيّة : ج ٢ ، ص ١٦٩ و ١٧٠ .

لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ.[١]

وجاء من جهة أُخرى: لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ.[٢]

وهو يدلّ على أنّ ما يشاءه الإنسان المؤمن هو مملوك له، بقرينة كلمة لهم الدالّة على الملكيّة. بَيدَ أنّ هناك أُموراً مملوكة للإنسان وخارجة ـ في الوقت نفسه ـ عن مشيئته ودائرة إرادته:

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

وتعبير جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يدلّ على أنّ ذلك الجزاء الذي يفوق المشيئة هو أجر للعمل، وهو من ممتلكات الفرد المؤمن.

ولذلك فإنّ ما يُفهم من هذه الآية، أنّ هناك كمالاً للإنسان هو أسمى من درجة فهمه وأوسع من أُفق فكره، ويمكن أن ينال الفرد ذلك الكمال جزاء عمله.

وبطبيعة الحال، فليس هناك ما يخرج عن حدود الإنسان وسعته غير الله تعالى وتجلّياته والنظر إلى وجهه الكريم:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.[٣]

وهذا النظر هو بالتأكيد النظر والمشاهدة القلبيّين، وهو ممّا لا يحدّه جهة ولا يستلزم تجسيماً ولا تشبيهاً لله سبحانه.

فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا.[٤]

١ـ الآيات ٣٩ إلى ٤١، من السورة ٥٣: النجم.

٢ـ الآية ٣٤، من السورة ٣٩: الزمر؛ والآية ٢٢، من السورة ٤٢: الشورى.

٣ـ الآيتان ٢٢ و٢٣، من السورة ٧٥: القيامة.

٤ـ الآية ١١٠، من السورة ١٨: الكهف.

ونلحظ في هذه الآية أنّ لقاء الله تعالى مترتّب على العلم النافع والعمل الصالح ، وهو بنفسه لقاء مَا أُخْفِيَ لَهُمْ المترتّب على جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

ونظراً لأنّ آية : لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ.[1] قد أثبتت زيادة على مشيئة العباد ، ولمّا كان قد أخبر الله تعالى بأن ما تشتمل عليه إرادة المؤمن ومشيئته حاضر عنده ؛ لذا ، فالآية تبيّن أنّ تلك الزيادة ليست تحت مطلق المشيئة ، بل خارجة عن حدود تلك الإرادة والمشيئة .

وبما أنه قد علمنا ـ من جهة أُخرى ـ بأنّ ذلك يمثّل كمالاً للمؤمن ، وأنّ أيّ كمال واقع بلا ريب تحت مشيئة أصحاب الجنّة ، فلا يمكن لذلك الكمال إلّا أن يكون غير الكمال اللامحدود واللامتعيّن بحدود ؛ ولهذا ، فهو غير منطو تحت الإرادة أو ضمنها ، لأنّ كلّ ما تشتمل عليه الإرادة والمشيئة هو محدود مقيّد .

ويستفاد من ذلك بوضوح أنّ المؤمنين الساعين للقاء الله إجمالاً ، سوف يحظون بشرف لقاء الله المتعال تفصيلاً ، وأنّ ذلك اللقاء أعلى من كلّ كمال متعيّن ومحدود ، وأفضل من كلّ ما يخضع للوصف ، وأسمى من كلّ لذّة وبهجة وسرور وحبور متصوّر ، وأنّه هو الاندكاك والفناء في صفة أو اسم من صفاته أو أسمائه تعالى ، بل هو الاندكاك في الذات ، وهو الفناء المطلق ، رَزَقَنَا اللهُ إنْ شَاءَاللهُ تَعَالَى.

جاء في «تفسير علي بن إبراهيم» في تفسير قوله تعالى : وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ : قال عليه السلام : النَّظَرُ إلَى وَجْهِ اللهِ.[2]

١ـ الآية ٣٥ ، من السورة ٥٠ : ق .

٢ـ «تفسير القمّيّ» ص ٦٤٦ .

وربّما استفيد هذا المعنى من قوله تعالى : **لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.**[١]

وقد وردت الآية في ذيل آيات النور الواردة في شأن الأئمّة الأطهار عليهم السلام وفي درجاتهم ومقاماتهم ، وهي تبيّن أنّ تلك الزيادة هي رزق من فضل الله بلا حساب .

وجاء من جهة أُخرى : **وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ.**[٢]

وجاء أيضاً : **وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا.**[٣]

التي يستفاد منها أنّ الفضل هو من الرحمة ، وأنّ تلك الرحمة لم تكن عن استحقاق وجدارة .

وجاء أيضاً : **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ.**[٤]

التي تبيّن بأنّ تلك الرحمة والفضل الموصوفين بالمزيد مختصّان بالمؤمنين ، وأنّهما ممّا **أُخْفِيَ لَهُمْ**.

ولو تدبّرنا في كثير من الآيات القرآنيّة التي ورد فيها لفظ الرحمة كآية : **فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ.**[٥]

وآية : **أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ.**[٦]

١ـ الآية ٣٨ ، من السورة ٢٤ : النور .

٢ـ ذيل الآية ١٠٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣ـ الآية ٢١ ، من السورة ٢٤ : النور .

٤ـ الآية ١٥٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٥ـ الآية ١٣ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

٦ـ الآية ٤٩ ، من السورة ٧ : الأعراف .

وآية : **إِنَّ رَحْمَةَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ.**[١]

وقارنّاها مع آية : **وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ.**[٢]

لاستنتجنا أنّ رحمة الله إنّما هي الجنّة ، بل الجنّة من شؤون الرحمة ومراتبها .

وخلاصة القول أنّ شوق لقاء الله تعالى واللهفة للنظر إلى جماله لم يدعا لعاشقي لقاء الله مجالاً للنظر إلى سواه ، وجعلاهم في حال الذهول والسَّكرة من التجلّيات الجماليّة والجلاليّة والأنوار القاهرة الأزليّة والسبحات القدّوسيّة له تعالى .

يقول حمّاد بن حبيب في حديث له عن أحوال الإمام السجّاد عليه السلام في سفره للحجّ :

فلمّا أن تقشّع الظلام ، وثب (الإمام) قائماً وهو يقول : **يَا مَنْ قَصَدَهُ الضَّالُّونَ فَأَصَابُوهُ مُرْشِداً ، وَأَمَّهُ الخَائِفُونَ فَوَجَدُوهُ مَعْقِلاً ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ العَابِدُونَ فَوَجَدُوهُ مَوْئِلاً ، مَتَى رَاحَةُ مَنْ نَصَبَ لِغَيْرِكَ بَدَنَهُ ؟ وَمَتَى فَرَحُ مَنْ قَصَدَ سِوَاكَ بِهِمَّتِهِ ؟ إلَهِي ! قَدْ تَقَشَّعَ الظَّلَامُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ خِدْمَتِكَ وَطَراً ، وَلَا مِنْ حِيَاضِ مُنَاجَاتِكَ صَدَراً ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَافْعَلْ بِي أَوْلَى الأَمْرَيْنِ بِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.**[٣]

مرا كه جنّت ديدار در درون دل است
چه التفات به ديدار حور عين باشد[٤]

١ـ الآية ٥٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢ـ الآية ٣١ ، من السورة ٥٠ : ق .

٣ـ «منتهى الآمال» ج ٢ ، ص ٩ ، طبعة إسلاميّة من القطع الرحليّ .

٤ـ يقول : «ما التفاتي إلى لقاء الحور العين وقلبي عامر بجنّة اللقاء ؟!» .

أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ.[1] وجاء في الحديث القدسيّ : أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي.[2]

وربّما صبّت في هذا المجال الرواية التي نقلها السيّد ابن طاووس رحمة الله عليه في «فلاح السائل» عن الصفّار عن محمّد بن عيسى ، عن ابن أسباط ، عن رجل ، عن صفوان الجمّال ، قال :

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيهِ السَّلَامُ : إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ ، نَظَرَ رِضْوَانُ خَازِنُ الجَنَّةِ إلَى قَوْمٍ لَمْ يَمُرُّوا بِهِ فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ وَمِنْ أَيْنَ دَخَلْتُمْ ؟ قَالَ ، فَيَقُولُونَ : إيَّاكَ عَنَّا ، فَإنَّا قَوْمٌ عَبَدْنَا اللَّهَ سِرًّا فَأَدْخَلَنَا اللَّهُ سِرّاً.[3]

١ـ ذيل الآية ٢٨ ، من السورة ١٣ : الرعد .

٢ـ «كلمة الله» ص ١٤٩ .

٣ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٤٦ ، الطبعة الحروفيّة ، نقلاً عن «فلاح السائل» .

المجلس السبعون

في درجات الجنة ونعيمها



بِسْمِ اللَهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّـهُمُ ٱلْأَبْـوَٰبُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِـفَـٰكِهَةٍ كَـثِيرَةٍ وَشَـرَابٍ * وَعِـندَهُمْ قَـٰـصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ * إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ .[1]

الولاية هي حقيقة الجنّة ، وهي العبوديّة المحضة والرقّ المطلق للّه تعالى ، حيث تختفي في تلك النقطة من الكينونة جميع الحجب الفاصلة بين العبد ومولاه ، وحيث يهوي العبد على تراب المسكنة والفقر والذلّ والجهل والعجز والفاقة والفناء خاشعاً أمام ربّه الغفور الودود الرحيم المتربّع على عرش عظمته وجلاله وعِلمه وقدرته وحياته وحُكمه وحِكمته .

أمّا فيض النّعم في العوالم ، فمنشؤه من الولاية ، وعلى أثر إظهار العبوديّة قبال إطلاق صفات الله وأسمائه الظاهرة في كلّ نشأة وعالم

١ـ الآيات ٤٩ إلى ٥٤ ، من السورة ٣٨ : ص .

بأشكال وصور مختلفة متناسبة مع ذلك العالم ؛ سواء في ذلك نِعم هذا العالم أم نِعم عالم البرزخ أم نِعم عالم القيامة .

ويجسّد الإقرار بعزّ مقام كبرياء الباري تعالى شأنه العزيز ، وإيكال جميع مراتب الوجود والإنّيّة والشخصيّة بيده عزّ وجلّ ، وطيّ مراحل التوحيد الأفعاليّ والصفاتيّ والأسمائيّ والتوحيد الذاتيّ لذلك الوجود المقدّس بتمام معنى الكلمة ، يجسّد الدرجة العليا والذروة الأسنى للجنّة ، كما تمثّل المقامات الأدنى منه درجات أدنى في الجنّة .

ومن الجليّ أنّ المحبّة لم تُقسّم في عالم الوجود على حدٍّ سواء ، وأنّها مُنحت لكلّ موجود بمقدار ماهيّته وسعته ، فترشّح في كلّ موجود رشحة من المحبّة الدائمة الخالدة .

ومن هنا ، فلو قلنا بأنّ الولاية هي حقيقة الجنّة ، وبأنّ المحبّة ترشّحت عنها فتجلّت في كلّ عالم بصور مختلفة وأشكال متباينة تتناسب مع سعة ذلك العالم ، وأنّها أنشأت عالم المُلك والملكوت فلن نكون قد قلنا جزافاً .

ثمّ إنّ المحبّة كلّما زادت شدّة ، ازداد معها الصفاء والخلوص والإيثار والإنفاق والعبوديّة . أمّا لو قلّت تلك المحبّة ، فإنّ تلك الأُمور ستتضاءل معها ، ولهذا يمكننا أن نعتبر أنّ **يحبّهم** هو أساس نشوء العالم وأنّ **يحبّونه** قد نشأ على ذلك الأساس ؛ وأنّ **يحبّهم ويحبونه** قد تعانقا بديمومة، بحيث تسبّب الجذب الربوبيّ والانجذاب العبوديّ في نشوء العالم ، وأنّ العباد قد خُلقوا من الله تعالى ، وأنّهم يعودون إليه ، وأنّ للمتّقين مآباً حسناً .

ويمثّل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مركز الولاية الكامنة ، بينما يجسّد أمير المؤمنين عليه السلام ظهور مقام الولاية . ولدينا روايات مستفيضة ، بل متواترة ، في أنّ الجنّة وآثارها ودرجاتها وحورها وقصورها

وفاكهتها وشرابها و﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وغلمان الجنّة وملائكتها وخازنها وجميع خصوصيّاتها إنّما هي من الولاية وتابعة لها ، وأنّ إنشاءها وانتفاع العباد بها قائمين على هذا الأساس .

روى الصدوق في «الأمالي» عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، قال :

إنَّ حَلْقَةَ بَابِ الجَنَّةِ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ عَلَى صَفَائِحِ الذَّهَبِ . فَإذَا دُقَّتِ الحَلْقَةُ عَلَى الصَّفْحَةِ طَنَّتْ وَقَالَتْ : يَا عَلِيُّ [1] .

وروى النطنزيّ في « الخصائص » عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَلْقَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِبَابِ الجَنَّةِ ، مَنْ تَعَلَّقَ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ .[2]

وروى الصدوق في «الخصال» بسنده المتّصل عن عطيّة ، عن جابر قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ : لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَهِ ، عَلِيٌّ أَخُو رَسُولِ اللَهِ ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ .[3]

وروى في «الخصال» أيضاً بسنده المتّصل عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، قال :

أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ فَرَأَيْتُ عَلَى بَابِهَا مَكْتُوباً بِالذَّهَبِ :

لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ ، مُحَمَّدٌ حَبِيبُ اللَهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَهِ ، فَاطِمَةُ أَمَةُ اللَهِ ،

---

١ و ٢ـ «سفينة البحار» ج ١ ، ص ١٨٣ ، مادّة (جنن) عن «الأمالي» للصدوق ، و«الخصائص» للنطنزيّ .

٣ـ «الخصال» ج ٢ ، ص ١٧١ ، الطبعة الحجريّة .

الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ صَفْوَةُ اللَهِ ؛ عَلَى مُبْغِضِيهِمْ لَعْنَةُ اللَهِ.[١]

وروى الصدوق في «إكمال الدين وإتمام النعمة» بإسناده عن أبي الطفيل ، عن عليّ عليه السلام ضمن أجوبته على أسئلة رجل يهوديّ ، قال : **وَمَنْزِلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسلَّمَ مِنَ الجَنَّةِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ وَهِيَ وَسَطُ الجِنَانِ ، وَأَقْرَبُهَا مِنْ عَرْشِ الرَّحْمَنِ جَلَ جَلاَلُهُ . قَالَ لَهُ اليَهُودِيُّ : أَشْهَدُ بِاللَهِ لَقَدْ صَدَقْت. قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : وَالَّذِينَ يَسْكُنُونَ مَعَهُ فِي الجَنَّةِ هَؤُلاَءِ الأَئِمَّةُ الاثْنَا عَشَرَ.**[٢]

وروى الصدوق في «الأمالي» عن الحسن بن محمّد بن يحيى ، عن يحيى بن الحسن ، عن إبراهيم بن عليّ والحسن بن يحيى ، عن نصر بن مزاحم ، عن أبي خالد ، عن زيد بن عليّ ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : **كَانَ لِي عَشْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي وَلاَ يُعْطَاهُنَّ أَحَدٌ بَعْدِي.**

قَالَ لِي : يَا عَلِيُّ ! أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا ، وَأَنْتَ أَخِي فِي الآخِرَةِ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنِّي مَوْقِفاً يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَنْزِلِي وَمَنْزِلُكَ فِي الجَنَّةِ مُتَوَاجِهَانِ كَمَنْزِلِ الأَخَوَيْنِ ، وَأَنْتَ الوَصِيُّ ! وَأَنْتَ الوَلِيُّ ، وَأَنْتَ الوَزِيرُ ؛ عَدُوُّكَ عَدُوِّي ، وَعَدُوِّي عَدُوُّ اللَهِ ؛ وَوَلِيُّكَ وَلِيِّي ، وَوَلِيِّي وَلِيُّ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ.[٣]

وروى الشيخ الطوسيّ هذه الرواية في «الأمالي» عن المفيد ، عن عليّ بن محمّد الكاتب ، عن الحسن بن عليّ الزعفرانيّ ، عن إبراهيم بن

١ـ «الخصال» ج ١ ، ص ١٥٧ .

٢ـ «إكمال الدين» للصدوق ، ص ١٧٣ ؛ الطبعة الحجريّة .

٣ـ «الأمالي» للصدوق ، ص ٤٨ ، الطبعة الحجريّة .

محمّد الثقفيّ ، عن عثمان بن أبي شيبة ، عن عمرو بن ميمون ، عن جعفر ابن محمّد ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام ، قال : قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على منبر الكوفة :

أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّهُ كَانَ لِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَشْرُ خِصَالٍ ، لَهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ـ الحديث .[1] ثمّ إنّه عليه السلام عدّد هذه الخصال ، وقال في جملتها :

وَأَنْتَ الوَارِثُ مِنِّي ! وَأَنْتَ الوَصِيُّ مِنْ بَعْدِي فِي عِدَاتِي وَأُسْرَتِي ! وَأَنْتَ الحَافِظُ لِي فِي أَهْلِي عِنْدَ غَيْبَتِي ! وَأَنْتَ الإمَامُ لأُمَّتِي ، وَالقَائِمُ بِالقِسْطِ فِي رَعِيَّتِي .[2]

كما روى الصدوق هذه الرواية في «الخصال» بنفس عبارة «الأمالي» .[3]

وروى (الطبريّ الشيعيّ) في «بشارة المصطفى» بسنده المتّصل عن ابن عبّاس ، قال :

يَأْتِي عَلَى أَهْلِ الجَنَّةِ سَاعَةٌ يَرَوْنَ فِيهَا نُورَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ ، فَيَقُولُونَ : أَلَيْسَ قَدْ وَعَدَنَا رَبُّنَا أَنْ لَا نَرَى فِيهَا شَمْساً وَلَا قَمَراً ؟ فَيُنَادِي مُنَادٍ : قَدْ صَدَقَكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدَهُ لَا تَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا قَمَراً ، وَلَكِنْ هَذَا رَجُلٌ مِنْ شِيعَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَحَوَّلُ مِنْ غُرْفَةٍ إِلَى غُرْفَةٍ ، فَهَذَا الَّذِي أَشْرَقَ عَلَيْكُمْ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ .[4]

ونقل مؤلّف «جامع الأخبار» في كتابه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال :

---

١ و ٢ـ «الأمالي» للطوسيّ ، ص ١٢١ ، الطبعة الحجريّة .

٣ـ «الخصال» ص ٤٢٩ ، الطبعة الحروفيّة .

٤ـ «بشارة المصطفى» ص ١٥٩ ، الطبعة الثانية ، النجف .

إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَنْظُرُونَ إِلَى مَنَازِلِ شِيعَتِنَا كَمَا يَنْظُرُ الإنْسَانُ إِلَى الكَوَاكِبِ.[1]

ثمّ إنّ من الأُمور الشيّقة التي تستلفت النظر، ما ورد عن الأُنس بالحور العين اللاتي ذكرهنّ القرآن الكريم، وربّما كانت العلّة في ذلك هي أنّ الإنسان يرغب في الأُنس والمسامرة أكثر من رغبته في الأكل والشرب.

نقل العيّاشيّ في تفسيره عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ مَا يَتَلَذَّذُونَ بِشَيءٍ فِي الجَنَّةِ أَشْهَى عِنْدَهُمْ مِنَ النِّكَاحِ، لَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ.[2]

ومن البديهيّ أنّ الحور العين مدعاة للأُنس والاستئناس والأُلفة ونسيان الغُربة، لذا جاء:

كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُمْ بِحُورٍ عِينٍ.[3]

والحور جمع **الحوراء**؛ وهي المرأة نقيّة بياض العينين، شديدة سواد الحدق. أمّا **العِين** فجمع **العيناء**؛ والعَيَن هو عِظَم سواد العين وسعتها. ويطلق اسم **الحور العين** على النساء اللاتي لهنّ أعين سوداء واسعة، بحيث يحسن منظر سواد أعينهنّ في بياضها، لشدّة سواد أحداقهن ونقاء بياض أعينهنّ.

وجاء في الآيتين ٢٢ و٢٣، من السورة ٥٦: الواقعة: **وَحُورٌ عِينٌ** *

١ـ «جامع الأخبار» ص ٢٠٣، الفصل ١٣٧، الطبعة الحجريّة.

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٨، ص ١٣٩، الطبعة الحروفيّة.

٣ـ الآية ٥٤، من السورة ٤٤: الدخان.

كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ.

كما جاء في وصفهنّ: **وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ.**[1]

وجاء في الآية ٣٣، من السورة ٧٨: النبأ: **وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا.**

والكواعب جمع الكاعبة، وهي الجارية التي نَهد ثديُها. أمّا **الأتراب فجمع التِّرْب**، وهي اللّدة والمِثل؛ أي أنّ حوريّات الجنّة جوارٍ مُتَماثلاتٌ في السنّ، أو أنّ المؤمنات اللواتي يرتحلن عن دار الدنيا يُصبحن لأزواجهنّ في الجنّة جوارٍ جميلات في عُمر واحد. حسنات الوجوه والأخلاق.

ونلحظ في سورتين من سور القرآن الكريم وصفاً للجنّة ونعمها يفوق ما ورد في باقي السور الأُخرى؛ إحداهما سورة **الرحمن**، وهي السورة الوحيدة التي تبدأ بعد **بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ** باسم من أسماء الله تعالى. ووفقاً للرواية الواردة في «مجمع البيان» عن الإمام موسى بن جعفر، عن آبائه، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فإنّها تُدعى عروس القرآن.

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لِكُلِّ شَيْءٍ عَرُوسٌ، وَعَرُوسُ القُرْآنِ سُورَةُ الرَّحْمَنِ جَلَّ ذِكْرُهُ.

كما أورد السيوطيّ في «تفسير الدرّ المنثور» عن البيهقيّ، عن أمير المؤمنين عن رسول الله عليهما الصلاة والسلام نفس هذا المعنى.[2]

والسورة الأُخرى هي سورة **الواقعة**. ونذكر فيما يلي بحول الله

١ـ الآيتان ٤٨ و٤٩، من السورة ٣٧: الصافّات.

٢ـ «تفسير الميزان» ج ١٩، ص ١٠٥.

وقوّته الفقرات التي وردت في هاتين السورتين في وصف الجنّة .

أمّا في سورة الرحمن : ٥٥ : **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** . (الآية ٤٦) .

والمراد بالخوف من مقام الربّ هو عبادته تعالى لذاته ، لا طلباً للجنّة ولا خوفاً من النار . ولذلك فإنّ هذه الآية عائدة إلى المقرّبين والمخلَصين الذين لا تشوب عبادتهم لذات الحقّ تعالى شائبة . أمّا الجنّتان فالظاهر أنّهما عبارة عن الجنّة التي تُعطى جزاءً للعمل ، والجنّة التي يمنّ بها ربّ العزّة كزيادة على أجر العمل وفقاً لمقولة : **وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** .

ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ . (الآية ٤٨)

ذواتا مثنّى **ذات** وقد سقطت نونُها بالإضافة . أمّا **الأفنان** فهي جمع فنّ بمعنى النوع ، أو جمع **فَنَن** وهو الغصن .

فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ . (الآية ٥٠)

فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ . (الآية ٥٢)

إحداهما الفاكهة التي وُجدت في الدنيا ، فأصحاب الجنّة يعرفونها من قبل ، والثانية فاكهة الجنّة التي لم يروها ، فقد نالوها الآن .

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ . (الآية ٥٤) .

فُرش جمع **فراش** ، وهو ما يُفترش ويُبسط للجلوس أو الاتّكاء . **وبطائن** جمع **بطانة** وهي ما بطن من الثوب ، خلاف **الظِّهارة** وهي ما ظهر منه . **والإستبرق** هو الديباج الغليظ . أمّا **الجنى** فهو الثمر المجتنى ، **ودان** في الأصل **داني** اسم فاعل من **دنا يدنو** .

فيكون المعنى أنّ أصحاب الجنّة متّكئون على فرش مبطّنة بديباج غليظ فضلاً عن ظاهرها الذي ينبغي أن يفوق الديباج كيفيّةً وقيمة ؛ وأنّ ثمار هاتين الجنّتين قريبة على من يريد قطفها من أصحاب الجنّة ، فهي في

متناول أيديهم يقطفونها متى شاءوا ، وهذا المعنى قريب ممّا في الآية ٢٣ ، من السورة ٦٩ : الحاقّة : **قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ** ؛ لأنّ **قطوف** جمع **قِطف** ، وهي الفاكهة المقتطفة توّاً .

وقريب ممّا في الآية ١٤ ، من السورة ٧٦ : الدهر : **وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا**.

فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ. (الآية ٥٦)[1]

الطرف جفن العين ، و**قَـٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ** كناية عن النساء اللواتي قصرن أنظارهنّ على أزواجهنّ لم يُردن غيرهم .

أمّا **الطَّمث** فعبارة عن الافتضاض والنكاح بالتدمية . و**الجانّ** : الجنّ في مقابل الإنس .

فيكون المعنى أنّ تلكم النساء والحوريّات مضطجعات على تلك الفرش ـ أو في الجِنان ـ لا يرغبنَ في غير أزواجهنّ ، ويقصرن همّتهنّ فيهم ، وأنّهنّ أبكار لم ينكحهنّ ولم يفتضّهن إنس ولا جانّ .

كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ . (الآية ٥٨)

هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ . (الآية ٦٠)

أي أنّ الله تعالى سيُحسن للمؤمنين والمؤمنات الذين آمنوا في الدنيا وأطاعوا الله ورسوله وسلكوا سبيل الخلوص والتقوى فصاروا من المقرّبين والمحسنين ، ويجزيهم على إحسانهم ، فيمنّ عليهم بهذه النِّعم .

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ . (الآية ٦٢)

وهاتان الجنّتان ، وإن أشبهتا الجنّتين السالفتين ، إلّا أنّهما دونهما منزلةً وقدْراً وفضلاً وشرفاً ، فقد كانت الأُوليان لأهل الإخلاص الذين كانوا

١ـ الآية ٥٦ ، من السورة ٥٥ : الرحمن .

يخشون ربّهم ، والذين عبدوا الله للّه ، وهم المخلصون والمقرّبون . أمّا هاتان الجنّتان فمتعلّقتان بطائفة أدنى من أُولئكم ، وهم أصحاب اليمين الذين عبدوا الله تعالى إمّا خوفاً من ناره ، أو طمعاً في جنّته . لذا كانت هاتان الجنّتان اللتان تمثّل إحداهما الجزاء والثواب وتمثّل الأُخرى مقولة : **وَلَدَيْنَا مَزِيد** ، أوطأ منزلةً ومقاماً من الجنّتين الأُوليين .

مُدْهَآمَّتَانِ . (الآية ٦٤)

مُدهامّة ، **مُدهاممة** ، اسم فاعل من باب **إفعيلال** من مادة **دهم** ؛ والدُّهمة هي السواد . وتطلق على الزرع إذا اشتدّت خُضرته فمال إلى السواد . ومن هذا القبيل **الفَرَس الأدهم** أي المائل للسواد . و**إدْهَمَّ** و**إدْهَامَّ** من باب **إفعلال** و**إفعيلال** ،كلاهما له نفس المعنى ، أي المائلان للسواد . وهذا اللون في الشجر يمثّل ريّ أوراقها وتمام خُضرتها بحيث صارت تضرب إلى السواد .

فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ . (الآية ٦٦)

نَضَخَ يَنْضَخُ نَضْخاً ونَضَخاناً بمعنى اشتداد فوران الماء وتصاعده من العين .

فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ . (الآية ٦٨)

ونظراً لأنّ النخل يعني الشجر دون فاكهة التمر ، فالمراد بالفاكهة والرّمان ـ بدلالة هذه القرينة ـ هو أشجار الفاكهة والرمان أيضاً .

فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ . (الآية ٧٠)

والضمير في «فيهنّ» يعود إلى الجِنان ، وهي جمع ، لأنّ الجنّتين الأُوليين والجنّتين الأُخريين تصبح أربع جنان .

وبما أنّ استعمال لفظ **خَيْر** في معنى المرأة ، ولفظ **حُسن** في الطلعة والشمائل ، فإنّ معنى **خيرات حسان** هو نساء حسان الوجوه خيرات

الخلائق والطبائع . وحِسان جمع حسناء .

حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِى ٱلْخِيَامِ . (الآية ٧٢)

الخيام جمع **الخيمة** ؛ و**مقصورات** أي محبوسات في الحِجال مستورات مصونات عن بذل أنفسهنّ لغير أزواجهنّ ، فليس لأحد فيهنّ نصيب سوى أزواجهنّ .

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ . (الآية ٧٤) . مرّ معناه أخيراً .

مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ . (الآية ٧٦)

الرفرف قماش أخضر يُستعمل للفُرش . و**العبقريّ** و**العباقريّ** نوع من الفرش النفيسة . **حسان** جمع **حسن** وهو مذكّر ؛ ولذلك فإنّ **حسان** هي جمع مذكّر وجمع مؤنّث أيضاً .

تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ . (الآية ٧٨)

وينبغي العلم بأنّ الآية الشريفة **فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** قد تكرّرت في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرّة ، ومن الموارد التي تكرّرت فيها هذه الآية ، بين هذه الآيات في وصف الجنّة التي أوردناها في هذا المجال .

أمّا السورة الثانية التي تكرّر فيها ذكر الجنّة ، فهي سورة **الواقعة** حيث قسّمت السورة الناس إلى ثلاث طوائف : السابقون ، أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة .

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُولَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ . (الآيات ١٠ إلى ١٤)

وجنّة النعيم ـ كما سيأتي ـ هي جنّة الولاية . ويقصد بالأوّلين : الأُمم السابقة ، وبالآخرين : أُمّة خاتم الأنبياء . وبالتأكيد فإنّ المقرّبين في هذه الأُمّة أقلّ عدداً منهم في الأُمم السابقة ، على الرغم من تفوّقهم عليهم كمالاً .

أمّا أصحاب اليمين في هذه الأُمّة فعددهم مماثل في كثرته لعددهم في الأُمم السالفة ، وسيأتي ذكر ذلك لاحقاً .

والثُلّة ـ بضمّ الثاء ـ هي الجماعة الكثيرة العدد . أمّا الثَلة ـ بفتح الثاء ـ فهي القطيع من الأغنام . وفي المَثَل : **فُلانٌ لا يفرّق بين الثَّلّة والثُّلّة** .

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ . (الآيتان ١٥ و١٦)

السرير بمعنى الأريكة والعرش ، ويستعمل غالباً لعرش الملك ، وجمعه سُرُر وأَسِرَّة . **وَضَنَ يَضِنُ وَضْناً** بمعنى نَسَج ، **وموضونة** أي منسوجة من الألياف ، وهي استعارة تعبّر عن إحكامها ومتانتها .

وتقابُل أصحاب الجنّة في الجلوس كناية عن كمال الأُنس وحسن المعاشرة وصفاء البواطن ، فهم لا ينظرون في أقفية بعضهم ، ولا يلوّثون بواطنهم ـ فتخالف ظواهرهم ـ بالغِيبة والانتقاص لبعضهم .

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ . (الآيات ١٧ إلى ١٩)

ولدان جمع ولد ، وهو الغلام . **مُخلّد** إمّا من **الخُلود والخَلْد والخُلْد** بمعنى البقاء ؛ أو من **الخُلد والخَلَدة** ـ بفتحتين ـ بمعنى القُرط .

أكواب جمع كوب ، وهو الكوز الذي لا عروة له ولا خرطوم . أمّا **أباريق** فجمع **إبريق** وهو الإناء الذي له خرطوم . **وكأس** مفرد لا جمع ، وهو الإناء الواسع الرأس الذي لا عروة له ولا خرطوم ، خلافاً للكوز .

والعلّة في المجيء بالكأس مفرداً ، هي أنّ الكأس يطلق على الإناء مادام فيها شراب ؛ فالكأس من غير شراب هي ـ إذاً ـ في حكم الأباريق والأكواب .

لَا يُصَدَّعُونَ عَنهَا أي لا يأخذهم من خمر الجنّة صداع . **وأنزف** من باب **إفعال** ، هو فعل لازم بمعنى السكر وذهاب العقل . فيكون معنى

ولا ينزفون لا تذهب عقولهم بالسكر وشرب الخمر .

وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ * جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ . (الآيات ٢٠ إلى ٢٤)

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا . (الآيتان ٢٥ و٢٦)

اللغو ما لا فائدة فيه من الكلام . **والإثم** : الذنب ؛ **وتأثيم** : الكلام الذي يؤثم المرء فيه . **قيل** مصدر ، شأنه شأن **قَوْل** **وسلـٰمًا** مصدر أيضاً ، وقد مرّ معناه .

وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ * فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ. (الآيات ٢٧ إلى ٣٣)

السِّدر شجرة معروفة ذات أشواك . **وخَضَدَ يَخْضِدُ خَضْداً** فعل متعدّ بمعنى نزع أشواك الشجرة وقطعها . **وسدرة مخضودة** هي السدرة التي نُزعت أشواكها .

وجاء في تفسير الدر المنثور : أخرج الحاكم وصحّحه ، والبيهقيّ في «البعث» عن أبي أمامة ، قال :كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقولون : إنّ الله ينفعنا بالأعراب ومسائلهم .

أقبل أعرابيّ يوماً ، فقال : يا رسول الله ! لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية ، وماكنتُ أرى أنّ في الجنّة شجرة تؤذي صاحبها .

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : وما هي ؟

قال : السدر ، فإنّ لها شوكاً .

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : أليس يقول الله : **فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ** ، يخضده الله من شوكه فيجعل مكان كلّ شوكة ثمرة ، إنّها

تنبت ثمراً تفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام ، ما فيها لون يشبه الآخر .

وفي «المجمع» : وروت العامّة عن عليّ عليه السلام أنّه قرأ رجل عنده : **وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ** ؛ فقال : ما شأن الطلح ؟! إنّما هو **وَطَلْعٍ** ،كقوله : **وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ** .

فقيل له : ألا تغيّره ؟

قال : إنّ **القُرْآنَ لَا يُهَاجُ اليَوْمَ وَلَا يُحَرَّكُ** .

رواه عنه ابنه الحسن عليه السلام وقيس بن سعد .[1]

وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا. (الآيات ٣٤إلى ٣٧)

فُرُش جمع فراش وهو البساط يُفرش فيجلس عليه ، إلّا أنّ من الممكن أنّ المراد بـ**فُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ** في هذه الآية : النساء المرتفعات القدر في عقولهنّ وحسنهنّ وكمالهنّ. والشاهد على ذلك أنّ المرأة تدعى فراشاً . وممّا يُناسب هذا المعنى قوله بلا فصل : **إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً**.

وعُرُب جمع عروب ، وهي المرأة التي تتحبّب إلى زوجها ، أو المرأة اللعوب مع زوجها . **وأتراب** جمع تِرْب ـ بالكسرة ثمّ السكون ـ بمعنى المثيل والشبيه .

لِّأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ. (الآيات ٣٨إلى ٤)

وينبغي العلم أنّ ما جاء في قوله تعالى : **فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ** إلى قوله **فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا** متعلّق بأجمعه

---

١ ـ «الميزان» ج ١٩ ، ص ١٤٥ .

بأصحاب اليمين .

أمّا ما ذُكر من قوله تعالى : **فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ** ، إلى قوله تعالى **إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا** ، فمتعلّق بالسابقين والمقرّبين .

ويتبيّن من خلال التأمّل في خصوصيات تلك المزايا وهذه المزايا المذكورة لأصحاب اليمين ، أفضليّة السابقين وتقدّمهم شرفاً على أصحاب اليمين .كما ينبغي العلم بأنّ الله تعالى قد ذكر في سورة الدهر أيضاً آياتٍ في جزاء **الأبرار** وثوابهم حاكية عن عظمتهم ومقامهم ، إلّا أنّ تفسير تلك الآيات يندرج ضمن ما أوردناه في هذا المجال ، لذا أعرضنا عن إيرادها .

وقد نزلت سورة الدهر في شأن أهل بيت رسول الله ، وهم أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والإمامين الحسن والحسين عليهم السلام وخادمتهم فضّة .

لقد جاء في الآيتين ٥٤ و٥٥ ، من السورة ٥٤ : القمر أنّ مقام المتّقين لدى المالك المطلق والحاكم المقتدر يتمثّل في **مَقْعَدِ صِدْقٍ** :

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ .

كما جاء في الآيتين ٧ و٨ ، من السورة ٩٨ : البيّنة أنّ ذلك الجزاء الذي يشتمل على رضا الطرفين قد أُرسي على أساس من خشية الخالق عزّ وجلّ وإجلال مقامه تعالى .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُولَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ * جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ .

وجاء في الآيات ٣١ إلى ٣٦ ، من السورة ٧٨ : النبأ : **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا * جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا** .

دَهَقَ يَدْهَقُ دَهْقاً : ملأ الكأس ، ودهاقاً كأساً ممتلئة طافحة . أمّا كِذّابًا فمن مصادر كَذَبَ يَكْذِبُ .

ويستفاد من هذه الآيات أنّ الجنّة هي مقام الصدق والأمانة والتقوى وزوال الشكوى من آثار ومظاهر عالم الخلقة (وهو مخلوق للّه تعالى) ، وحفظ مقام جلال وعظمة وأُبّهة الربّ ذي الجلال . وهو مقام لا يتسرّب إليه اللغو والباطل والكذب والذنوب ، ولا يعتريه نقص ولا فتور ولا عيب . مقامٌ شرابه يُسكر بجمال الله وصفاته وأفعاله ، لكنّه لا يسبّب الصداع للشاربين ولا يذهب بعقولهم . وهو بذاته الشراب الطهور المذكور في سورة الدهر .

كما أنّ طعام الجنّة طعام لا يُثقل المرء ولا يستدعي فتوره ؛ ولا يعقب نكاح الجنّة أيّ فتور وارتخاء . كلّ ما في الجنّة عشق ولذّة وسرور وحبور . وعلّة ذلك في عدم وجود سبيل للعدم والنقصان والفناء في الجنّة . وحين نلاحظ أنّ النكاح أو تناول الأطعمة والأشربة اللذيذة في هذا العالم يبعث على لذّة ضعيفة وله تأثير ضعيف آنيّ ، فإنّما يكون ذلك بسبب نقصان هذا العالم .

ولو فرضنا أنّ انعدام جهات النقص في هذا العالم فسوف لن يتبدّل كلٌّ من البهجة والسرور إلى انقباض وسوء في الحال ، ولاتّسمت كلّ لذّة حاصلة بالبقاء والخلود ، فلا يشوبها والحال هذه أيّ شيء من الفتور أو القصور أو النقصان .

وبعبارة أوضح ، فإنّ النقصان والعيب والمرض والموت والفتور هي أُمور معلولة لثقل المادّة . أمّا في عالم القيامة فليس للمادة ثقل ، وهو عالم تحلّق فيه الحور العين فيطوين في طرفة عين واحدة جنّةً سعتها سعة السماوات والأرض ، وعالم لا ثقل لطعامه ، وعالمٌ يعرق ساكنوه فيفوح

منهم العطر . وهو في النهاية عالمٌ تتواجد فيه جميع جوانب النعمة واللذة مجتمعة ، وتنعدم فيه آثار المادّة وخواصّها وثقلها وكثافتها .

ذلك العالَم جنّة حقيقيّة واقعيّة بدون جهات عدميّة أو نقصان . ومن هنا ، فإنّ لذّة تلك الجنّة ستكون لذّة دائميّة لا يعتريها انقلاب ولا فساد ولا كدر .

وفي الحديث : أنّ جميع أصحاب الجنّة **جُرْد ومُرْد** . **والجرد** جمع **الأجرد** ، **والمرد** جمع **الأمرد** ، وكلاهما بمعنى الغلام الذي لم ينبت عارضاه .

أي سيكون أصحاب الجنّة في هيئة غلمان وفتيان لم ينبت الشعر على عوارضهم وإن فارق بعضهم الدنيا وهو شيخ هرم قد انحنت قامته واحدودب ظهره وثقلت آذانه وعمشت عينه .

كما جاء في الرواية : أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يتحدّث يوماً عن الجنّة وأوصافها ، فمازح عجوزاً مؤمنة كانت قريبه منه ، فقال : إنّ الجنّة لا يدخلها العجز ! فبكت المرأة ، فضحك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وقال : أما سمعتِ قول الله تعالى :

إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَـارًا ؟

وجاء في «تفسير مجمع البيان» في ذيل الآية ٢٥ ، من السورة ٢ : البقرة : **وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ** ؛ وقيل : هُنَّ من نساء الدنيا . قال الحسن : **هُنَّ عَجَائِزُكُمُ الغُمْصُ الرُّمْصُ العُمْشُ طَهُرْنَ مِنْ قَذَرَاتِ الدُّنْيَا** .

مُطَهَّرَةٌ ؛ قيل : في الأبدان والأخلاق والأعمال ، فلا يحضن . ولا يلدن ولا يتغوّطن ولا يبلْن ، قد طهرنَ من الأقذار والآثام . **وَهُمْ فِيهَا** ؛ أي في الجنّة . **خَـٰلِدُونَ** ؛ يعني دائمون يبقون ببقاء الله فلا انقطاع لذلك ولا نفاد ،

لأنّ النعمة تتمّ بالخلود والبقاء، كما تنتقص بالزوال والفناء.[1]

وعلى هذا الأساس فقد عدّت الآية ٣٥، من السورة ١٣: الرعد تناول طعام الجنّة دائمياً، وعدّت ظلالها دائمة مستمرّة:

مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ.

وجاء تفسيرها في «مجمع البيان» على النحو التالي: **أُكُلُهَا دَآئِمٌ**؛ يعني أنّ ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا، وظلّها لا يزول ولا تنسخه الشمس... وقيل: معناه نعيمها لا ينقطع بموتٍ ولا آفة.[2]

ونقل مؤلّف «مجمع البيان» في تفسير الآية ١٨، من السورة ٧٦: الدهر، **وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا**، عن ابن عبّاس، قال:

كلّ ما ذكره الله في القرآن ممّا في الجنّة وسمّاه ليس له مثيل في الدنيا، ولكن سمّاه الله بالاسم الذي يُعرف؛ والزنجبيل ممّا كانت العرب تستطيبه، وكذلك ذكره في القرآن ووعدهم أنّهم يُسقَون في الجنّة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنّة.[3]

ونقل مؤلّف «جامع الأخبار» عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ في الجنّة سوقاً ما فيها شرى ولا بيع إلّا الصور من الرجال والنساء، من اشتهى صورة دخل فيها، وإنّ فيها مجمع حور العين يرفعن أصواتهنّ بصوت لم يسمع الخلائق بمثله:

نَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ أَبَداً؛ وَنَحْنُ الطَّاعِمَاتُ فَلَا نَجُوعُ أَبَداً؛

١ـ «مجمع البيان» ج ١، ص ٦٥، طبعة صيدا.

٢ـ «مجمع البيان» ج ٣، ص ٢٩٦.

٣ـ «مجمع البيان» ج ٥، ص ٤١١.

وَنَحْنُ الكَاسِيَاتُ فَلَا نَعْرَى أَبَداً ؛ وَنَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ أَبَداً ؛ وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ أَبَداً ؛ وَنَحْنُ المُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنُ أَبَداً ؛ فَطُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَانَ لَنَا ؛ نَحْنُ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ؛ أَزْوَاجُنَا أَقْوَامٌ كِرَامٌ.[1]

ونقل في «مجمع البيان» في ذيل آية : **فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ** ، عن رسول الله في ليلة المعراج أنّ الحوريّات استأذنّ ربّهنّ عزّ وجلّ في السلام على النبيّ ، فأذن لهنّ فقلنَ : **نَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ ، أَزْوَاجُ رِجَالٍ كِرَامٍ.**[2]

وقال في تفسير هذه الآية : قيل إنّهنّ نساء الدنيا ، ترد عليهم في الجنّة وهنّ أجلّ من الحور العين ، وقيل : خيرات مختارات ؛ وقيل : **لَسْنَ بِذَرِبات ، وَلَا زَفِرَاتٍ ، وَلَا نَخِرَاتٍ ، وَلَا مُتَطَلِّعاتٍ ، وَلَا مُتَسَوِّفاتٍ ، وَلَا مُتَسَلِّطَاتٍ ، وَلَا طَمَّاحَاتٍ ، ولَا طَوَّافَاتٍ فِي الطُّرُقِ ، وَلَا يَغِرْنَ ، وَلَا يُؤْذِينَ.**

قَالَ عقَبَةُ بْنُ عَبْدِ الغَفَّارِ : نِسَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ يَأْخُذُ بَعْضُهُنَّ بِأَيْدِي بَعْضٍ وَيَتَغَنَّيْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ يَسْمَعِ الخَلَائِقُ مِثْلَهَا :

نَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ ، وَنَحْنُ المُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنُ ، وَنَحْنُ خَيْرَاتٌ حِسانٌ ، حَبِيبَاتٌ لِأَزْوَاجٍ كِرَامٍ.[3]

وعموماً فليس هناك من عقل أو شرع قد شكّ في خلود لذائذ الجنّة ودوامها . ومع افتراض أنّ ذلك العالم ليس موضعاً لتزاحم المادّة وفعلها وانفعالها ، وليس موضعاً لوجود المادّة وفسادها ؛ فليس ثمّة من معنى للتناقضات المادّيّة التي تسبب تنغيص العيش وتقليل اللذّة ،كما ليس ثمّة

١ـ «جامع الأخبار» ص ٢٠٢ ، الفصل ١٣٧ ، الطبعة الحجريّة .

٢ و٣ـ «مجمع البيان» ج ٥ ، ص ٢١١ .

من موت أو مرض أو ما شاكل ذلك ليعكّر صفو تلك اللذّة .

وما أكثر الآيات القرآنيّة الواردة في خلود أصحاب الجنّة الحاكية عن معنى : **لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ**.[1]

والنُّزُل كما في «مجمع البيان» هو ما يُعدّ للضيف من الكرامة والبرّ والطعام والشراب .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ.[2]

وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا.[3]

وقد نقل الكشّيّ في رجاله في ترجمة **هشام بن الحكم** مناظرة شيّقة له مع **النظام** في أمر الخلود ، يقول :

عليّ بن محمّد بن قتيبة النيسابوريّ ، قال : حدّثني أبو زكريّا يحيى ابن أبي بكر ، قال : قال النظام لهشام بن الحكم : إنّ أهل الجنّة لا يبقون في الجنّة بقاء الأبد فيكون بقاؤهم كبقاء الله ، ومحال أن يبقوا كذلك .

فقال هشام : إنّ أهل الجنّة يبقوا بمبقٍ لهم والله يبقى بلا مُبْقٍ أَوَ ليس هو كذلك؟

١ـ الآية ١٩٨ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٢ـ الآيات ٢٠ تا ٢٢ ، من السورة ٩ : التوبة .

٣ـ الآية ١١ ، من السورة ٦٥ : الطلاق .

فقال : محال أن يبقوا للأبد .

قال : قال : ما يصيرون ؟

قال : يدركهم الخمود .

قال (هشام) : فبلغك أنّ في الجنّة ما تشتهي الأنفس ؟[١]

قال : نعم .

قال : فإن اشتهوا وسألوا ربّهم بقاء الأبد ؟

قال : إنّ الله تعالى لا يُلهمهم ذلك .

قال : فلو أنّ رجلاً من أهل الجنّة نظر إلى ثمرة على شجرة ، فمدّ يده ليأخذها فتدلّت إليه الشجرة والثمار ،[٢] ثمّ كانت منه لفتة فنظر إلى ثمرة أُخرى أحسن منها ، فمدّ يده اليسرى ليأخذها فأدركه الخمود ويداه متعلّقة بشجرتين ، فارتفعت الأشجار وبقي هو مصلوباً ، فبلغك أنّ في الجنّة مصلوبين ؟

قال : هذا محال .

قال : فالذي أتيت به أمحل منه ، أن يكون قوم قد خلقوا وعاشوا فأُدخلوا الجنان تموّتهم فيها يا جاهل .[٣]

وربّما لهذا السبب دُعيت الجنّة ـ بجميع أنواعها ـ بجنّة الخُلد ،

١ـ فقد ورد في القرآن الكريم : وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنْفُسُكُمْ (الآية ٣١ ، من السورة ٤١ : فصّلت) .

٢ـ إذ ورد في الروايات أنّ قطف ثمار الجنّة لا يستدعي صعود أشجارها ، وحبّ المشتهي قطف ثمرة أن يمدّ يده إليها فيقطفها . والآيات القرآنيّة صريحة في هذا المعنى : قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ .

٣ـ «رجال الكشّيّ» ص ١٧٧ و١٧٨ ، طبعة بمبي ؛ وج ٢ ، ص ٥٥٢ ، من طبعة موسّسة آل البيت عليهم السلام .

ولإضافة **الجنّة** إلى **الخُلد** : **جنّة الخلد** الدالّة على الدوام والتأبيد ، دلالة على أنّ الجنّة لا تمتلك في حدّ ذاتها بقاءً ودواماً ، حيث تأتي الجملة اللاحقة : **خَـٰلِدِينَ فِيهَا** ، لتدلّ على خلود أصحاب الجنّة وبقائهم .

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر أربع جنان : **جنّة عدن** ، **جنّة الفردوس** ، **جنّة النعيم وجنّة المأوى** .

وجاء في الرواية : قال أبو جعفر عليه السلام : **أَمَّا الجِنَانُ المَذْكُورَةُ فِي الكِتَابِ فَإنَّهُنَّ جَنَّةُ عَدْنٍ ، وَجَنَّةُ الفِرْدَوْسِ ، وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ، وَجَنَّةُ المَأْوَى .**

وَإنَّ لِلَّهِ تَعَالَى جِنَانًا مَحْفُوفَةً بِهَذِهِ الجِنَانِ .[1]

أمّا جنّة النعيم فقد ورد ذكرها في ايات قرآنية كثيرة ، كالآيات ١٠ إلى ١٢ ، من السورة ٥٦ : الواقعة : **وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ * أُولَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ .**

وكالآيتين ٣٨ و ٣٩ ، من السورة ٧٠ : المعارج : **أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا .**

وأمّا **جنّة عدن** فقد ورد ذكرها في آيات كثيرة أيضاً ، كالآية ١٢ ، من السورة ٦١ : الصفّ : **وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ .**

وأمّا **جنّة الفردوس** ، فقد ذُكرت في موضعين من القرآن الكريم ، أوّلهما : الآيتان ١٠٧ و ١٠٨ من السورة ١٨ : الكهف : **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا .**

وثانيهما : الآيتان ١٠ و ١١ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون : **أُولَـٰٓئِكَ**

---

١ ـ «علم اليقين» للفيض الكاشانيّ ، ص ٢٢٤ ، الطبعة الحجريّة بالقطع الوزيريّ .

(والحديث عن المؤمنين المتصفين بصفات معيّنة) هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ.

وأمّا جنّة المأوى فقد وردت أيضاً في موضعين من القرآن الكريم :

الأوّل : الآية ١٩، من السورة ٣٢ : السجدة : أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

والثاني : الآيتان ١٤ و١٥، من السورة ٥٣ : النجم : عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ.

وخلاصة القول أنّ جنّة الخُلد ليست جنّة سوى الجنان المعهودة لتكون قسيماً لها، بل هي مقسم تلك الجنان. وكما مرّت الإشارة سابقاً، فإنّ إضافة الجنّة إلى الخُلد قد حقّق معنى الخلود في تلك الجنّة.

أمّا جنّة النعيم فهي جنّة الولاية. وحيثما ورد ذكر للنعمة في القرآن الكريم، كانت الولاية هي المراد بتلك النعمة. وقد برهنّا على هذه الحقيقة في المجلس الثامن والخمسين من الجزء الثامن من هذا الكتاب.

وكما نعلم فإنّ الحقّ تعالى قد وعد المؤمنين بلقائه وزيارته في أكثر من عشرين موضعاً من قرآنه الكريم، فإنّ جنّة اللقاء ستكون إحدى تلك الجنان ... وأيّ جنّة هي !

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.[1]

فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا.[2]

ويمكن استفادة اسم جنّة اللقاء من خلال نسبة هذه الجنّة إلى الله

١ـ الآيتان ٢٢ و٢٣، من السورة ٧٥ : القيامة.

٢ـ الآية ١١٠، من السورة ١٨ : الكهف.

تعالى في قوله عزّ وجلّ :

يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى.[1]

ويلاحظ في هذا المجال أنه ذكر تلك الجنّة بلفظ جَنَّتِى ، وأنّه جعلها خاصّة بعباد معيّنين من عباده ،كما يُلاحظ أنّه لم يعبّر عن بعض الجنان بعنوان جنّة ، بل أشار إليها بعنوان دار ،كجنّة السلام التي وردت في قوله تعالى : لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ.[2]

وجاء في التفسير : قيل إنّ السلام هو الله تعالى وداره الجنّة .[3]

ومن جملة مقامات السالك إلى الله تعالى ، **مقام الفناء في الله** من جميع الجهات ، وينبغي لذلك أن تكون **جنّة الذات** بالتأكيد هي إحدى الجنان التي وعدها الحقّ تعالى للمؤمنين .

بـه زيـورها بيارايـند وقـتى خـوبرويان را

توسيمين‌تن چنان خوبى كه زيور را بيارائى[4]

ويتصوّر البعض أنه لمّاكانت أبواب الجنّة ثمانية ، وفقاً للروايات الواردة ، فلابدّ لعدد الجنان من أن يكون ثمان أيضاً ، إذ إنّ دخول كلّ جنّة يستلزم الورود من بابها الخاصّ بها ، ولا يمكن دخولها إلّا من ذلك الباب الخاصّ .

١ـ الآيات ٢٧ إلى ٣٠ ، من السورة ٨٩ : الفجر .

٢ـ الآية ١٢٧ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٣ـ «مجمع البيان» ج ٢ ، ص ٣٦٤ .

٤ـ «كلّيّات سعدي الشيرازي» الغزليّات ، ص ٢٧٨ ، طبعة فروغي .

يقول : «الحسناوات يتجمّلنَ بأسباب الزينة ، لكنّك ـ يا ذات البدن النُحاسيّ ـ جميلة تُضفين على وسائل الزينة حُسناً» .

والآية الكريمة :

وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ،[1] دالّة على هذا المعنى .

لكنّ هذا الاستدلال يبقى ناقصاً ، إذ يمكن أوّلاً أن تكون هناك جنّة واحدة ذات بابين أو أكثر ، فيكون دخولها ممكناً عن طريقين وسبيلين . ويمكن ثانياً أن تكون جميع أبواب الجنّة الثمانية لجنّة واحدة ، وأن يكون الله تعالى قد أعرض عن ذكر أبواب الجنان الباقية على لسان المعصومين . ويستفاد من بعض الروايات أنّ للجنّة أكثر من سبعين باباً . فقد روى ابن شهرآشوب في «المناقب» عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال :

إنَّ لِلْجَنَّةِ إحْدَى وَسَبْعِينَ بَاباً ، يَدْخُلُ مِنْ سَبْعِينَ مِنْهَا شِيعَتِي وَأَهْلُ بَيْتِي ، وَمِنْ بَابٍ وَاحِدٍ سَائِرُ النَّاسِ.[2]

وروى الكلينيّ في «الكافي» عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عُمير ، عن منصور بن يونس ، عن إسحاق بن عمّار ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :

إنَّ لِلْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ المَعْرُوفُ ، لَا يَدْخُلُهُ إلَّا أَهْلُ المَعْرُوفِ ، وَأَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ.[3]

وروى الصدوق في «الأمالي» عن وهب بن وهب القرشيّ ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

١ـ الآية ١٨٩ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٣٩ ، الطبعة الحروفيّة .

٣ـ «الكافي» ج ٤ ، ص ٣٠ .

لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ بَابُ المُجَاهِدِينَ ، يَمْضُونَ إلَيْهِ فَإذَا هُوَ مَفْتُوحٌ وَهُمْ مُتَقَلِّدُونَ سُيُوفَهُمْ ، وَالجَمْعُ فِي المَوْقِفِ ، وَالمَلَائِكَةُ تُرَحِّبُ بِهِمْ.

فَمَنْ تَرَكَ الجِهَادَ ، أَلْبَسَهُ اللَهُ ذُلّاً فِي نَفْسِهِ وَفَقْراً فِي مَعِيشَتِهِ ، وَمَحْقاً فِي دِينِهِ. إنَّ اللَهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعَزَّ أُمَّتِي بِسَنَابِكِ الخَيْلِ وَمَرَاكِزِ رِمَاحِهَا.[1]

وبطبيعة الحال فإنّ للجنّة درجات ومقامات يفضّل بعضها على بعض ، وأنّ أبواب الجنّة مختلفة ومتفاوتة شأنها شأن الجنان الثمانية ، وبذلك يمكننا أن نعتبر أنّ الجنّة ذات أبواب ودرجات كثيرة .

قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا ، وَلَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا ، وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا.[2]

وجاء في الآيات القرآنيّة الكريمة أنّ الأنبياء يفضّل بعضهم على البعض الآخر ؛ قال تعالى :

تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.[3]

وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ.[4]

وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ.[5]

وعلى هذا الأساس فإنّ الأنبياء والأئمّة وأولياء الله ، مع كلّ خلوصهم وتقرّبهم ، ومع امتلاكهم مقام التوحيد والعرفان الإلهيّ ، فلكلّ واحد منهم منزلةٌ خاصّة ومقاماً خاصّاً . وما أحلى وأروع مقولة الحكماء حين قالوا :

١ـ «الأمالي» للصدوق ، ص ٣٤٤ ، الطبعة الحجريّة .

٢ـ «نهج البلاغة» ص ١٤٩ ، الخطبة ٨٣ ، طبعة عبده ، مصر .

٣ـ الآية ٢٥٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

٤ـ الآية ٥٥ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٥ـ الآية ١٦٤ ، من السورة ٣٧ : الصافّات .

الطُّرُقَ إِلَى اللهِ بِعَدَدِ أَنْفَاسِ الخَلَائِقِ. أي أنّ كلّ فرد يسير إلى الله تعالى في طريق نفسانيّ خاصّ به .

لذا ، فإنّ منازل الجنّة ستكون مختلفة أيضاً ، وسيحتلّ كلّ امرئٍ منزلاً ومقاماً خاصّاً به .

وبناءً على هذا الأساس فقد جاء في الرواية أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، قال : نحن في جنّة عدن ، وهي في وسط الجنان ، وسائر الأنبياء حولنا في الجنان .[1]

روى الصدوق في «العيون» بإسناده عن التميميّ ، عن أبي الحسن (الرضا) عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : **وَسَطُ الجَنَّةِ لِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي**.[2]

وأورد عليّ بن إبراهيم في تفسيره لذيل الآية ١٠٧ ، من السورة ١٨ : الكهف : **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا** ؛ قال : نزلت في أبي ذرّ والمقداد وسلمان الفارسيّ وعمّار بن ياسر ؛ جعل الله لهم جنّات الفردوس نزلاً ، أي مأوى ومنزلاً .[3]

وروى الصدوق في «الخصال» بسنده عن ابن عبّاس ، قال **خَطَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ خِطَطٍ فِي الأَرْضِ. قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَا ؟**

قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

فَقَالَ : أَفْضَلُ نِسَاءِ الجَنَّةِ أَرْبَعٌ : خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ

١ـ لم أعثر على هذه الرواية بهذا اللفظ ، فاكتفيتُ بترجمتها من المتن . (م)

٢ـ «عيون أخبار الرضا» ص ٢٥٧ ، الطبعة الحجريّة .

٣ـ «تفسير القمّيّ» ص ٤٠٧ ، الطبعة الحجريّة .

مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ.[1]

وروى المفيد في «المجالس» عن ابن قولويه ، عن أبيه ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن سعيد بن جناح ، عن عبد الله بن محمّد ، عن جابر بن يزيد ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، قال :

الجَنَّةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخُلَهَا ، وَمُحَرَّمَةٌ عَلَى الأُمَمِ كُلِّهَا حَتَّى يَدْخُلَهَا شِيعَتُنَا أَهْلَ البَيْتِ.[2]

وروى الصدوق في «الخصال» بإسناده عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، قال :

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ فِي الجَنَّةِ عَمُوداً مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ قَصْرٍ ، فِي كُلِّ قَصْرٍ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ ، خَلَقَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُتَحَابِّينَ وَالمُتَزَاوِرِينَ فِي اللَّهِ.[3]

ولمّا علمنا بأنّ كلّ صفة من الصفات الحسنة ، وكلّ فعل من الأفعال الحميدة هو سبيل إلى الجنّة فسنصل إلى أنّ الطرق إلى الجنّة لا تعدّ ولا تحصى .

وبهذه القرينة ، فلمّا كانت الصفات السيّئة والأفعال الذميمة طرقاً إلى النار ، فإنّ طرق النار ستكون كثيرة أيضاً .

ومن هنا ، فأبواب الجنّة الثمانية هي عنوان عامّ وجامع للجنّة ،كما أنّ

١ـ «الخصال» ج ١ ، ص ٩٦ ، باب الأربعة ، الطبعة الحجريّة .

٢ـ «الأمالي» للمفيد ، ص ٤٥ ، المجلس الثامن .

٣ـ «الخصال» ج ٢ ، ص ١٧١ ؛ باب «ما فوق الألف» ، الطبعة الحجريّة .

الأبواب الإحدى والسبعين هي عبارة عن الطرق الجامعة التي تقود الناس إلى الجنّة ، وإلّا فإنّ أفراد الناس يمتلكون سبلاً كثيرة خارجة عن العدّ والحصر .

يروي الشيخ الطوسيّ في «الأمالي» عن عدّة من الأصحاب ، عن أبي المفضّل ، عن جعفر بن محمّد بن جعفر ، عن أيّوب بن محمّد ، عن سعد بن مسلمة ، عن الإمام جعفر بن محمّد ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إنَّ السَّخَاءَ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ الجَنَّةِ ، لَهَا أَغْصَانٌ مُتَدَلِّيَةٌ فِي الدُّنْيَا ، فَمَنْ كَانَ سَخِيّاً تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا ، فَسَاقَهُ ذَلِكَ الغُصْنُ إلَى الجَنَّةِ .

وَالبُخْلُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ النَّارِ ، لَهَا أَغْصَانٌ مُتَدَلِّيَةٌ فِي الدُّنْيَا ، فَمَنْ كَانَ بَخِيلاً تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا ، فَسَاقَهُ ذَلِكَ الغُصْنُ إلَى النَّارِ.[1]

ويروي الصدوق في «الأمالي» عن ابن ماجيلويه ، عن عمّه ، عن البرقيّ ، عن أبيه ، عن محمّد بن سنان ، عن المفضّل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : (ثمّ يذكر الحديث إلى أن يصل إلى قوله :)

وَعَلَيْكُمْ بِتِلَاوَةِ القُرْآنِ ! فَإنَّ دَرَجَاتِ الجَنَّةِ عَلَى عَدَدِ آيَاتِ القُرْآنِ ، فَإذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ ، يُقَالُ لِقَارِئِ القُرْآنِ :

اقْرَأْ وَارْقَ ، فَكُلَّمَا قَرَأَ آيَةً رَقَى دَرَجَةً ـ الحديث .[2]

كما يروي الصدوق في «الأمالي» عن أبيه ، عن سعد ، عن سلمة بن الخطّاب ، عن محمّد بن ليث ، عن جابر بن إسماعيل ، عن أبي عبد الله عليه

١ـ «الأمالي» للطوسيّ ، ص ٣٠٢ ، الطبعة الحجريّة .

٢ـ «الأمالي» للصدوق ، ص ٢١٦ ، الطبعة الحجريّة .

السلام ، عن أبيه عليه السلام ، قال : إنّ رجلاً سأل عليّ بن أبي طالب عن قيام الليل بالقرآن ، فقال له (ثمّ يذكر الصدوق كلام الإمام إلى أن يصل إلى قوله عليه السلام :)

وَمَنْ صَلَّى لَيْلَةً تَامَّةً تَالِياً لِكِتَابِ اللَهِ رَاكِعاً وَسَاجِداً وَذَاكِراً ، أُعْطِيَ مِنَ الثَّوَابِ مَا أَدْنَاهُ يَخْرُجُ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَيُكْتَبُ لَهُ عَدَدَ مَا خَلَقَ اللَهُ مِنَ الحَسَنَاتِ وَمِثْلَهَا دَرَجَاتٌ ، وَيَثْبُتُ النُّورُ فِي قَبْرِهِ ، وَيُنْزَعُ الإثْمُ وَالحَسَدُ مِنْ قَلْبِهِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَيُعْطَى بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ ، وَيُبْعَثُ مِنَ الآمِنِينَ .

وَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ : مَلَائِكَتِي ! انْظُرُوا إلَى عَبْدِي ، أَحْيَى لَيْلَةً ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ! أَسْكِنُوهُ الفِرْدَوْسَ ، وَلَهُ فِيهَا مِائَةُ أَلْفِ مَدِينَةٍ ، فِي كُلِّ مَدِينَةٍ جَمِيعُ مَا تَشْتَهِي الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأعْيُنُ وَمَا لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ ، سِوَى مَا أَعْدَدْتُ لَهُ مِنَ الكَرَامَةِ وَالمَزِيدِ وَالقُرْبَةِ.[1]

كما يروي في «الأمالي» عن عليّ بن الحسين بن شاذويه المؤدّب ، عن محمّد بن عبد الله بن جعفر بن جامع ، عن أبيه ، عن يعقوب بن يزيد ، عن محمّد بن أبي عمير ، عن أبان بن عثمان ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي جعفر (الباقر) ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليّ سيّد الشهداء ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب سيّد الأوصياء ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى آلِي لَمْ يَجِدْ رِيحَ الجَنَّةِ ؛ فَإنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ.[2]

١ـ «الأمالي» للصدوق ، ص ١٧٦ .

٢ـ «الأمالي» للصدوق ، ص ١٢٠ .

ويلزم هنا أن نذكّر بأنّ جنّة القيامة هي جنّة صوريّة ذات حور وغلمان وأشجار وأثمار، وأنّ ما ذكرناه من أنّ جنّة القيامة هي طلوع عالم النفس من العوالم الثلاثة: الطبع والمثال والنفس، وأنّ الإنسان يصل إلى مقام الفناء في الله فلا يبقى غير الفناء شيء إلّا ذات الحقّ سبحانه وتعالى، هي أُمور صحيحة ومحفوظة في مواضعها؛ إلّا أنّ موقف الجنّة هو موقف البقاء بعد الفناء، حيث لا تتنافى التجلّيات النفسانيّة هناك مع الاستيلاء والغلبة والسيطرة على عالمَي الصورة والطبع.

ونذكّر توضيحاً، بأنّ نفس الإنسان تعبر ـ بلا شكّ ـ من عالم الطبع وعالمَي الصورة والمثال من خلال حركتها إلى الله تعالى وتحقّق معنى **إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**؛ ثمّ إنّها تندكّ وتفنى في ذات الحضرة الأحديّة، فيكون **لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ** لا سواه. هناك عالم الفناء الذي تفنى فيه جميع الموجودات، وعالم لا اسم له ولا رسم ولا صورة ولا شكل ولا عذاب فيه ولا ثواب؛ ولا إنسان فيه ولا حيوان ولا جانّ ولا نبيّ ولا مَلَك، حتّى أنّ ملك الموت ستُقبض روحه بأمرالله تعالى. ثمّ إنّ الموجودات تحصل على البقاء ببقاء الحقّ جلّ وعلا، فتعود النفوس في عالم البقاء من جديد، وتحصل على آثار وخواصّ وميزات، ويصل الدور إلى الثواب والعقاب، وإلى السؤال والحساب والكتاب والعرض والجزاء والصراط والميزان وتطاير الكتب، وإلى المنبر والوسيلة والحمد، وإلى الجنّة والنار في خاتمة المطاف. هناك، حيث تبقى الموجودات ببقاء الحقّ وتخلّد، وحيث طلوع عالم النفس في آثاره وخصوصيّاته.

فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ.[1]

١ـ الآية ٧، من السورة ٤٢: الشورى.

وقد بحثنا مفصّلاً في مبحث المعاد الجسمانيّ (في المجلس التاسع والثلاثين ، الجزء السادس) عن كيفيّة حصول الفناء في الله ، ثمّ البقاء بالله تعالى ؛ **وَلِلَّهِ الحَمْدُ وَلَهُ المِنَّةُ.**

ومن المناسب في هذا المجال أن نختتم بحث الجنّة بخُطبة من خطب أمير المؤمنين عليه السلام في أوصاف الجنّة أوردها في ذيل خُطبة له في عجائب خلقة الطاووس ، قال فيها :

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا ، لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا ، وَلَذَهِلَتْ بِالفِكْرِ فِي اصْطِفَافِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ المِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ[1] اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا ، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا ، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالأَعْسَالِ المُصَفَّقَةِ ، وَالخُمُورِ المُرَوَّقَةِ ؛ قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ القَرَارِ ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الأَسْفَارِ.

فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا المُسْتَمِعُ بِالوُصُولِ إلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ المَنَاظِرِ المُونِقَةِ ، لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إلَيْهَا ، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ القُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا.

جَعَلَنَا اللهُ وَإيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إلَى مَنَازِلِ الأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.[2]

١ـ كبائس جمع كِباسة ، وهو العذق التامّ بشماريخه ورُطبه. (م)

٢ـ «نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٣١٠ و٣١١ ، الخطبة ١٦٣ ، طبعة عبده ، مصر.

المجلس الحادي والسبعون

في جهنم وبداية نشأتها



بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم
الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ * قِيلَ ٱدْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ .[1]

يقول سيّد العارفين وسيّد الساجدين عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام في دعائه في نافلة الليل مناجياً ساحة الربّ ذي الجلال :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارٍ تَغَلَّظْتَ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ ، وَتَوَعَّدْتَ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ . وَمِنْ نَارٍ نُورُهَا ظُلْمَةٌ ، وَهَيِّنُهَا أَلِيمٌ ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ ؛ وَمِنْ نَارٍ يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ؛ وَمِنْ نَارٍ تَذَرُ العِظَامَ رَمِيماً ، وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيماً .

وَمِنْ نَارٍ لَا تُبْقِي عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ إِلَيْهَا ، وَلَا تَرْحَمُ مَنِ اسْتَعْطَفَهَا ،

١ـ الآيتان ٧١ و٧٢ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

وَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَهَا وَاسْتَسْلَمَ إلَيْهَا؛ تَلْقَى سُكَّانَهَا بِأَحَرِّ مَا لَدَيْهَا مِنْ أَلِيمِ النَّكَالِ وَشَدِيدِ الوَبَالِ.

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَقَارِبِهَا الفَاغِرَةِ أَفْوَاهَهَا، وَحَيَّاتِهَا الصَّالِقَةِ بِأَنْيَابِهَا، وَشَرَابِهَا الَّذِي يُقَطِّعُ أَمْعَاءَ وَأَفْئِدَةَ سُكَّانِهَا، وَيَنْزِعُ قُلُوبَهُمْ.

وَأَسْتَهْدِيكَ لِمَا بَاعَدَ مِنْهَا وَأَخَّرَ عَنْهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَجِرْنِي مِنْهَا بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ، وَأَقِلْنِي عَثَرَاتِي بِحُسْنِ إقَالَتِكَ، وَلَا تَخْذُلْنِي يَا خَيْرَ المُجِيرِينَ، إنَّكَ تَقِي الكَرِيهَةَ، وَتُعْطِي الحَسَنَةَ، وَتَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ـ الدعاء.[1]

إنّ الآيات القرآنيّة الشريفة التي تتحدّث عن جهنّم وشؤونها تزيد ـ كما يقول آية الله العلّامة الطباطبائيّ مدّ ظلّه ـ على الآيات التي تتحدّث عن الجنّة؛ فقد ورد في القرآن الكريم ما يقرب من أربعمائة آية تتحدّث عن جهنّم، يُضاف إلى ذلك أنّه ليس مِن سورة من سور القرآن إلّا وفيها ذِكر من جهنّم، إمّا تصريحاً أو تلويحاً، عدا اثنتى عشر سورة من السور القصار.[2]

وإجمالاً، يفيد مجموع هذه الآيات بأنّ أصحاب النار محرومون من الحياة الأبديّة الحقيقيّة لعالم الآخرة. وينبغي أن نرى الآن، لِمَ صار الحرمان نصيب أصحاب النار؟ وما هي جهنّم عموماً؟ ومن أين نشأت؟ وما هي بداية نشأتها؟ ولِمَ صار ظهورها في عالم الباطن والحقيقة في هيئة النار؟

نجد أنفسنا مضطرين في بياننا لهذا الأمر على إيراد مقدّمة؛ وهي أنّ

١ـ الدعاء الثاني والثلاثون من «الصحيفة الكاملة السجّاديّة».

٢ـ «رسالة الإنسان بعد الدنيا» ص ٧١ من النسخة الخطّيّة.

جميع عالم الوجود بأرجائه وسعته ، من المُلك والملكوت وعالم الأرواح والعقول والطبيعة إنّما يمثّل تجلّيات الحقّ سبحانه وتعالى وظهوراته التي أوجدها من كَتم العدم والفناء المحض ، وخلع عليها رداء الوجود ، فصار لكلّ واحد من هذه المخلوقات ـ في حال كونه عين ظهور الحقّ وتجلّيه ـ مرتبة خاصّة ودرجة وماهيّة يمتاز بها عمّن سواه .

فللإنسان ـ مثلاً ـ حدود معيّنة أهّلته لأن يكون إنساناً ، فهو يختصّ بالعقل والشعور والنفس الناطقة وغرائزه المميّزة التي امتاز بها عن غيره من سائر الموجودات من الحيوان والجماد والنبات والعقول المفارقة والأرواح المجرّدة القدسيّة ، ولولا هذه الخصوصيّة لما كان الإنسان إنساناً .

وكذا الأمر بالنسبة إلى سائر الموجودات التي لولا خصائصها الوجوديّة ، لما كان لها من وجود معيّن ، ولطبّق الكون وجودٌ واحد بحت بسيط ، لا تشخّص فيه ولا تميّز .

وهذه الماهيّات المختلفة التي تحدّد المراتب الوجوديّة للموجودات هي سبب امتياز الموجودات عن بعضها وظهور تجلّي الحقّ تعالى ؛ وكلٌّ من هذه الماهيّات مطيع ومنقاد في مقامه ومرتبته ، وساكن ضمن الحدّ المعيّن لوجوده وفقاً للأمر التكوينيّ للحقّ سبحانه وتعالى ؛ وهي بأسرها ثابتة في ذواتها ووجوداتها وفي حجب ماهيّاتها .

بَيدَ أنّ أفراد البشر والجانّ من بين جميع المخلوقات يمتلكون ـ بالإضافة إلى ماهيّتهم وامتيازهم الوجوديّ ـ خصوصيّة تميّزهم عن باقي المخلوقات ، وهي حسّ النزعة الاستقلاليّة والاستكبار ونزعة الـ «أنا» التي توجد لدى أفراد البشر بدرجة أكبر ، ولدى أفراد الجانّ بدرجة أضعف . وهذا الحسّ يجعل الإنسان يرى نفسه أعلى وأفضل وأكرم ممّا هي عليه ، ويجعله ينسب إلى نفسه أفضل الصفات وأعلاها ، كالعلم والقدرة والحياة

وما يتفرّع منها ، ويجعله يعتبر نفسه مركزاً لتلك الكمالات ومصدرها ، ناسياً الحقّ تعالى نسياناً تامّاً .

وهذا الحسّ هو حجاب عظيم ، لأنّه خلاف متن الواقع والحقيقة ، فهو حجاب خياليّ موهوم وليس أصيلاً كسائر الموجودات . هو ذلك الحجاب الذي حاول سلب صفات الحق ، الواحد تلو الآخر ، لينسبها كذباً وزوراً إلى نفسه وعدّها من صفاته .

لقد خلق اللهُ الشيطان وأودعه خصّيصةالكبر والاستكبار ، أمّا النفوس البشريّة ، فقد امتلكت هذه الخاصّيّة من خلال انقيادها للشيطان واتّباعها له اختياراً ، فَخُيّل إليها ـ من ثمّ ـ أنّها عظيمة . فصارت هذه النظرة منشأً لجميع الخيالات الفاسدة والأفكار الباطلة والأعمال الذميمة ، وأضحت منشأً للعقائد السيّئة والملكات الخبيثة ، وغدت باعثاً على ابتعاد تلك النفوس ونأيها عن الحقّ تعالى. وهذا السير التشريعيّ المنحرف مخالف للسنّة التكوينيّة ولمتن الواقع :

لقد كان خلق الشيطان قائماً على أساس المصلحة ، ولولا ذلك لما خلقه الله تعالى . فالشيطان هو مأمور للّه سبحانه في حكم المفتّش الدقيق الذي يحجز مَن تدنّس بغشّ عالم الطبيعة ولوث النفس الأمّارة ويصدّه عن أن يخطو في حرم الله عزّ وجلّ .

أمّا المنزّهون المطهّرون ، فليس للشيطان عليهم من سبيل وفقاً للآية الكريمة : **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ**.[1]

وأمّا من استكبر ممّن يسبقون ربّهم بالقول ، ومن الذين سرقوا صفات الله العليا وأسماءه الحسنى فنسبوها إلى أنفسهم ، فسيعترضهم

١ـ الآيتان ٨٢ و٨٣، من السورة ٣٨ : ص .

الشيطان ويصدّهم عن الورود في حرم الله الذي هو محلّ الخلوص .

ولولا الشيطان ، لما وُجد عالم النزول والطبع ، ولما وُجد كلّ هذا الاختلاف ؛ فقد كان الشيطان سبب نزول آدم إلى هذا العالم ، وكان من قبل في الجنّة ، وهي جنّة عالم الذرّ وجنّة القابليّة ، وكان الإنسان في تلك الجنّة غير قابل للتكامل والرقيّ ، شأنه في ذلك شأن الملائكة . ثمّ إنّ الشيطان تسبب في هبوط آدم إلى هذا العالم ، وفي حركته ومجاهدته ونشدانه للحقّ ، وسعيه لتدارك ما فات ، حتّى ارتقى في نهاية المطاف بقدم المجاهدة من **أَسْفَلِ السَّافِلِينَ** ، فوصل بإرادة الحيّ القيّوم إلى **أَعْلَى عِلِيِّينَ** ، وأضحى أشرف من الملائكة ، واكتسب جميع هذه الفضائل والدرجات .

وجميع هذه الأُمور هي من فوائد خلق الشيطان ، وقد تحقّقت إثر ذلك الخلق ، على الرغم من أنّ الشيطان ملعون رجيم باعتبار كونه حجاباً ؛ لأنّ من مستلزمات مثل هذا الحجاب الذي يحجب ويبعد ، أن يكون منفوراً ملعوناً .

بَيدَ أنّ علينا أن لا ننسى المصلحة في خلق الشيطان ، وأن لا نعدّه مخلوقاً مستقلّاً عن حكومة الحقّ تعالى ، ولا نتوهّم أنّه فعّالٌ لما يشاء في أعماله ، لأنّ هذا التصوّر هو عين الشرك ، وهو تصوّر لضعف سلطان الحضرة الربوبيّة .

لقد خلق الله تعالى الإنسان مريداً مختاراً ؛ ومن لوازم هذا الاختيار أن يتمكّن من اختيار الأعمال الحسنة أو السيّئة ؛ أمّا تسلّط الشيطان وإغواؤه فيحصلان بالدعوة إلى القبائح والترغيب فيها ، وذلك من أجل أن يمتاز الإنسان المجاهد الذي لا يتزلزل ، فيصل إلى مقام الكمال والفعليّة ؛ فيمتاز ـ في المقابل ـ الإنسان المنقاد خلف الهوى والهوس ؛ **لِيَهْلِكَ مَنْ**

هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ .[١]

ولولا ذلك ما امتاز الحسن عن السيّئ ، ولا الجميل عن القبيح ، ولطلب الجميع إقحام أنفسهم في مقام أولياء الله وهيئتهم . ولحاولوا التربّع على أريكة القُرب .

وتتّضح بهذا البيان الإجابة على جميع الإشكالات الإبليسيّة السبعة ويتجلّى أمر بطلانها .[٢]

أجل ، فالاستكبار والعُجب هما اللذان يبعثان على انحراف الإنسان عن علّة التكوين ويصرفانه عن جادّة الاستقامة ، حيث يجعلانه يرى نفسه أعلى ممّا هي عليه في أصالة الحقيقة ؛ وينبغي على مثل هكذا شخص أن يُلقى في جهنّم ليصلاها ويحترق بلظاها . ومَن ـ يا ترى ـ يجد في نفسه القدرة ، غير الحقّ وآثار الحقّ وصفاته ، ليحسب أنّه يمتلك بذاته شيئاً بصورة مستقلّة ؟!

وقد ورد في الآية التي ذكرناها في مطلع البحث عبارة : **فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ** ؛ وجهنّم هي مثوى المتكبّرين ومقرّهم .

لقد عصى الشيطان أمر ربّه في السجود لآدم والتواضع أمامه ، وطغى واستكبر وكفر ، بينما امتثلت الملائكة لذلك الأمر بأجمعها ؛ تقول

١ـ الآية ٤٢ ، من السورة ٨ : الأنفال .

٢ـ أجاب العلاّمة الطباطبائيّ مدّ ظلّه العالي في تفسير «الميزان» ج ٨ ، ص ٤٣ إلى ٥٨ ، أوائل سورة الأعراف ، على ستّة من هذه الإشكالات بصورة كافية . وهذه الإشكالات هي التي وردت في «روح المعاني» عن شارح الأناجيل الأربعة ، ضمن مناظرة دارت بين إبليس والملائكة بعد قضيّة آدم . وقال الآلوسيّ بعدها : قال الفخر الرازيّ : إنّه لو اجتمع الأوّلون والآخرون من الخلائق فحكموا بتحسين العقل وتقبيحه فإنّهم لم يجدوا من هذه الإشكالات مخلصاً ، وكان الكلّ لازماً .

الآية ٣٤، من السورة ٢ : البقرة : **إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ.**

وتقول الآية ٧٤، من السورة ٣٨: ص : **إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ.**

وتقول الآية ٧٥، من السورة ٣٨: ص : **أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ.**

لقد ملأ العُجب والغرور إبليس في مقابل حضرة الحقّ تعالى، فنسب الوجود إلى نفسه، وقال: **أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ**؛[1] خلقتني من نار وخلقته من طين. وبما أنّ النار ترتفع إلى الأعلى وتستكبر، فقد رأى إبليس نفسه خيراً من الطين. وهذا الاستكبار هو الذي سبّب نزول الخطاب إلى إبليس.

قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ.[2]

ولقد تسبّب الاستكبار في هبوط الشيطان من الجنّة وصيّره جهنّمياً ملعوناً طريداً منفوراً، لأنّه قد اعتبر نفسه ذا أثر في قبال الحقّ عزّ وجلّ، وهو ذنب عظيم لا يُغتفر.

كما أنّ هذا الكبر والتكبّر والاستكبار يستدعي ابتعاد الإنسان المستمرّ عن الجنّة واقترابه من جهنّم ومن عالم البُعد، إذ ينزع بنفسه على الدوام إلى الباطل، ويمنّيها بالأوهام والأُمور الاعتباريّة، ويهجر الحقائق ويبتعد عنها، فيغرق في عالم الوهم والخيال ويعيش فيه حتّى كأنه يحسب أن ليس في عالم الخارج والوجود المطلق وذات حضرة الحيّ

١ـ الآية ١١، من السورة ٧: الأعراف.

٢ـ الآية ١٣، من السورة ٧: الأعراف.

القيّوم ذي الجلال والإكرام من أحد سوى وجوده هو ، بل ويصل به الأمر إلى إنكار الحقّ وجحوده والاستهزاء برسله ، وإذا ما طرق سمعه قول الحقّ أعرض واستكبر ونأى بجانبه ؛ يقول تعالى في مواخذة اليهود الذين كانوا يتمرّدون على أوامر الأنبياء :

أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.[١]

وقد ورد أنّ الكفّار يُخاطَبون يوم القيامة : وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ.[٢]

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ.[٣]

فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ.[٤]

وَقَالَ مُوسَىٰٓ (حين أراد فرعون قتله) إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ.[٥]

كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ * ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ.[٦]

١ـ الآية ٨٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ الآية ٣١ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

٣ـ الآية ٣٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٤ـ الآية ١٥ ، من السورة ٤١ : فصّلت .

٥ـ الآية ٢٧ ، من السورة ٤٠ : غافر .

٦ـ الآية ٣٤ والآية ٣٥ ، من السورة ٤٠ : غافر . وقد وردت هاتان الآيتان بعد قوله ⇦

هذا من جهة ؛ ومن جهة أُخرى فإنّ الله تعالى يمدح في كثير من آيات القرآن الكريم مَن لا يستكبرون ولا يتمرّدون عن طاعته وعبادته عزّ وجلّ ولا يبغون علوّاً في الأرض ؛كقوله تعالى :

ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ.[1]

وكآية : **إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ**.[2]

وآية : **إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**.[3]

وحاصل المطلب هو أنّ حسّ الاستكبار والتمرّد والعجب والغرور وحبّ الذات ممّا لا يستند على أصالة الواقع ، وإنّما ينشأ من النفس الأمّارة بالسوء ، ومن الحجاب الغليظ الذي يحجب العبد عن الله تعالى إثر غواية

⇐ تعالى (في النصف الأوّل من الآية ٣٤) : **وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا**.

وينبغي الالتفات إلى أنّ لفظ «كلّ» في الآية الشريفة مقدّم على لفظ «قلب» وليس مؤخّراً عنه ، وأنّ لفظ الآية قد كان «على كلّ قلب متكبّر» وليس «على قلب كلّ متكبّر». ولو تأخّر لفظ «كلّ» ، لصار معناه أنّ الله تعالى يختم على قلب جميع الأفراد المتكبّرين ، لكنّ الآية ستبقى مبهمة ، إذ لن يكون معلوماً مدى شمول هذا الختم لجميع أقسام قلب كلّ متكبّر، فقد يشمل الختم بعض أقسام القلب دون بعضها الآخر. أمّا الآية ـ وقد ورد لفظ «كلّ» مقدّم على لفظ «قلب» ـ فتُبيّن ما لا يتبيّن بتأخير ذلك اللفظ . ولهذه النكتة الدقيقة قُدّم لفظ «كلّ» ، حيث ستكون الآية أشمل وأعمّ بلحاظ أجزاء الموضوع .

١ـ الآية ٨٢ ، من السورة ٥ : المائدة . والآية في معرض الخطاب للنبيّ صلّى الله عليه وآله ، وقد سبقها قوله تعالى : **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَـٰرَىٰ**.

٢ـ الآية ٢٠٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٣ـ الآية ١٥ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

الشيطان .

ولمّا كان إبليس مخلوقاً من النار ، فسيكون هذا الحجاب من نار ، وسيكون المحجوب بهذا الحجاب قد سار مسار إبليس واشترك معه ؛ كما سيكون المحجوب نارياً إثر اتّحاده وانسجامه مع هذا الكيان الناريّ . وحين يتجلّى هذا الحجاب يوم القيامة في هيئة النار ، فإنّ العبد سيعذّب في تلك النار ويخلّد فيها .

وممّا يثير العجب أنّ الله تعالى يسأل في هيئة استفهامٍ تقريريّ :

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ .[1]

كما يجزم بأنّ من يستكبر عن عبادته سيدخل جهنّم ذليلاً صاغراً :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ .[2]

إنّ كلّ ذنب واعتداء على الحقوق ، وتجاوز على النواميس والأعراض والأموال ، وقتلٍ للنفوس البريئة ، ناشئ من الاستكبار .

وبصورة عامّة ، فإنّ الفساد في الأرض ينشأ من حسّ الغرور الذي يصدّ الإنسان عن التسليم والانقياد مقابل الحقّ ، ويجعل بصره وبصيرته ينزعان إلى الباطل ، ويقضي على حسّ الاتّعاظ وقبول النصح في وجوده ؛ فإن نصحه أحد شمخ بأنفه واخذته العزّة بالإثم الناشئة من العجب والغرور ، ونسجَ حول نفسه آلاف الخيوط العنكبوتيّة وقبع في شرنقة من الأنفة والكبر مدفوعاً بالعزّة بالإثم والتعلّق بالمجاز والباطل . أفليس هذا من جهنّم وممّا يليق بجهنّم ؟!

وَمِنَ ٱلنَّاسِ (كالأَخْنَسِ بْنِ شُرَيق أحد المنافقين) **مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ**

١ـ الآية ٦٠ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٢ـ الآية ٦٠ ، من السورة ٤٠ : غافر .

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ.
وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ.
وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ.[1]

بلى ، فجهنّم نار مسجّرة للمتكبّرين والعصاة المتمرّدين على الحقّ ؛ وهي قرينةُ هذا الكبر والعجب في أيّ لباسٍ ظهرا . والشرك بالله تعالى هو من أوضح مصاديق الاستكبار ، وهو اعتبار شيءٍ ما مؤثّراً في قباله عزّ وجلّ ، والنظر لذلك الشيء بتأثير مستقلّ في عالم الوجود .

وأيّ ذنبٍ أعظم من أن يقف امرؤ أمام هذه الشمس التي قد ملأت العالم بنورها ، ومنحت جميع عالم الوجود رداء وجوده ودوامه ، والتي تفيض هذا الوجود والثبات على الكون في كلّ لحظة من لحظاته ، وتمنحه قدرة وحياة وعلماً ، والتي منّت على المخلوقات ـ برحمتها العامّة ـ بالسمع والبصر وآلاف أُخرى من الإحساسات التي لا تنقطع ؛ نعم ، يقف أمامها فيعتبر أنّ له أو لموجودٍ آخر غيره استقلالاً وأثراً ، فيُنزّل اللهَ تعالى عن إطلاق وجوده وعدم تناهي صفاته وأسمائه ، ويحطّ من شأنه في عالم تخيّله ، وينسب إليه ما لا يليق به !

ونرى أنّه حيثما وُجد فرعٌ من الاستكبار ، وُجد معه الشرك بالله عزّ وجلّ ، لكنّ درجات ذلك الشرك تتفاوت فيما بينها ، فبينما يُبتلى بعض الناس بالشرك الجليّ ، نرى الغالبية قد ابتليت بالشرك الخفيّ .

إنّ الله تعالى عظيم ، والعظمة رداؤه ، لأنّ كلّ عظمةٍ متصوّرة إنّما هي

١ـ الآيات ٢٠٤ إلى ٢٠٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

لمحة من عظمته ، ولأنّ ما نسبت ذاته القدسيّة إلى نفسها من عظمة ، حقيق بها .

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ .[1]

وما أسمى نداء «الله أكبر» وما أعظم معناه حين يجعل جميع مراتب الكبر والكبرياء مختصّة بذات الله القدسيّة ، وحين يصرّح ـ إضافة إلى ذلك ـ بأنّه تعالى أكبر وأعلى من كلّ ما يوصَف .

وعلى هذا الأساس فقد ورد في سورة المدثّر التي نزلت أوائل بعثة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ .[2]

ولا تقلّ عنها روعة وغنى المعنى الآية الأخيرة من السورة ١٧ : الإسراء : وَقُلِ (والخطاب للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا .

إنّ روح الاستكبار موجودة في المشرك بمقدار شركه ؛ ولابدّ لهذا الشرك من الاحتراق في نار جهنّم .

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ .[3]

وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ .[4]

١ـ الآية ٢٣ ، من السورة ٥٩ : الحشر .

٢ـ الآيات ١ إلى ٣ ، من السورة ٧٤ : المدّثّر .

٣ـ الآية ٤٨ ، من السورة ٤ : النساء .

٤ـ الآية ١٣ ، من السورة ٣١ : لقمان .

وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا .[١]

وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ (فكأنّما سقط من الإنسانيّة فأضحى في دار البوار) فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ .[٢]

أي إنّما يقاس وجود الإنسان وقيمته بالتوحيد وأصالة الواقع وواقع الأصالة ؛ وإذا عميت بصيرة الإنسان أو أصابها الحول فلم يعد الإنسان يرى عالم الوجود بالعين الموحّدة ، فإنّه لن يكون حينذاك إنساناً . ومن الجليّ أنّه سيُعدم السبيل إلى الرشد والرقيّ ، وأنّ سيره سيصبح سير البُعد والنأي ، وأنّه سيصل في خاتمة المطاف إلى مظاهر البُعد المتمثّلة في جهنّم المستعرة .

ومعلومٌ أنّ هذا الشخص بإفساده إنسانيّته وخنق نطفة تكامله وبصيرته ، سيكون من أسوأ الخلائق وأكثرهم شرّاً .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا (كاليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بنبيّ الإسلام) مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أُولَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ .[٣]

وسيكون الكفّار من أصحاب النار بنفس الأساس الذي صار به المشركون من أصحابها ، لأنّ عدم انقياد الكفّار أمام سطوع نور التوحيد من ملامح رسالة نبيّ الإسلام ذي الشأن العظيم ، وأمام الدعوة إلى توحيد الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ليس له من عنوان إلّا عنوان الاستكبار والتجبّر ؛ اللهمّ إلّا الكفّار الذين كانوا يرومون

١ـ الآية ٤٨ ، من السورة ٤ : النساء .

٢ـ الآية ٣١ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

٣ـ الآية ٦ ، من السورة ٩٨ : البيّنة .

الحقّ ، لكنّ سبيل وصولهم إلى الحقيقة وإلى الإسلام والإيمان بمحمّدٍ المصطفى حبيب الله كان مسدوداً في وجوههم باستضعافهم من قبل الحكّام ، فسيُعدّ أمثال هؤلاء من المستضعفين ، وسيُعاملون وفقاً للآية الواردة بهذا الصدد .

أمّا الذين لم يخضعوا لظلم واستضعاف ، ثمّ اختاروا بمشيئتهم ديناً غير الإسلام ، دون أن يكونوا في صدد البحث عن الحقّ ، أو أن يبحثوا عنه بالقدر الكافي ، فبقوا في نهاية المطاف محرومين من نور الإسلام ، فسيُحرم هؤلاء من النور في عقبات عالم الآخرة ، وسيُبتلون بأنواع الانحراف والضياع والتيه ، فلا يجدون أمامهم من سبيل يسلكونه غير سبيل جهنّم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا.[١]

أجل ، إنّ جهنّم مثوى الكفّار والمعاندين الذين يسترون الحقّ عناداً .

أَلْقِيَا (والخطاب للملَكين اللذين يشهد أحدهما يوم القيامة على الأعمال ، ويسوق الآخر النفس إلى المحشر) **فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ * ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ.**[٢]

ووفقاً لهذا الميزان ، فإنّ المنافقين أيضاً سيُحشرون إلى جهنّم ، لأنّ المنافقين يُبطنون الكفر ويظهرون الإسلام من أجل حفظ مصالحهم ، بالانتفاع من بيت المال والغنائم ، والاستفادة من الأحكام الاجتماعيّة الإسلاميّة .

١ـ الآيتان ١٦٨ و١٦٩ ، من السورة ٤ : النساء .

٢ـ الآيات ٢٤ إلى ٢٦ ، من السورة ٥٠ : ق .

ولذلك فقد تساوق ذكر المنافقين الذين يظهرون الإسلام في كثير من الآيات القرآنيّة مع ذكر الكفّار، فعُدّوا بأسرهم من أصحاب النار، كما في الآية ١٤٠، من السورة ٤: النساء: **إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا**.

والآية ٦٨، من السورة ٩: التوبة: **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا**.

والآية ٧٣، من نفس السورة: **جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ**.

ويمكن الاستنتاج ممّا قيل بأنّ كلّ استهزاءٍ بآيات الله عزّ وجلّ وإهانةٍ واستصغارٍ لأنبيائه وأئمّته ونواميسه ومقرّبي ساحة قدسه سيوجب دخول النار. **فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ**.[1]

وتبعاً لنفس الأساس فقد أُوعد صاحب كلّ ظلم وتجاوز على الحقوق، وكلّ طغيان وتمرّد بالنار:

هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ * هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ * هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا ٱلنَّارِ.[2]

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا.[3]

١ـ الآيات ١٠ إلى ١٣، من السورة ٥٢: الطور.

٢ـ الآيات ٥٥ إلى ٥٩، من السورة ٣٨: ص.

٣ـ الآية ١١٥، من السورة ٤: النساء.

كما توعّد الله تعالى في قرآنه الكريم بجهنّم على كثير من الاعتداءات على الحقوق وعلى كثير من الذنوب، كقتل المؤمن عن عمد:

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا.[1]

وتوعّد بجهنّم وبغضبٍ من الله على الفرار من الزحف خلال الجهاد مع الكفّار: **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ.**[2]

كما توعّد بجهنّم على بعض المعاصي والذنوب الأُخرى. روى الصدوق في كتاب «الأمالي» عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن ابن بُكير، عن زرارة، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام، قال:

لمّا أُسري برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، لم يمرّ بخلقٍ من خلق الله إلّا ورأى منه ما يحبّ من البشر واللطف والسرور به، حتّى مرّ بخلقٍ من خلق الله فلم يلتفت إليه ولم يقل له شيئاً فوجده قاطباً عابساً، فقال: يا جبرائيل! ما مررتُ بخلق من خلق الله إلّا رأيتُ البِشر واللطف والسرور منه إلّا هذا، فمن هٰذا؟ قال: هذا مالك خازن النار، هكذا خلقه ربّه. قال: فإنّي أُحبّ أن تطلب إليه أن يُريني النار؛ فقال له جبرائيل عليه السلام: إنّ هذا محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد سألني أن أطلب إليك أن تريه النار. قال: فَأَخْرَجَ لَه عُنقاً منها فرآها، فلمّا أبصرها

١ـ الآية ٩٣، من السورة ٤: النساء.

٢ـ الآيتان ١٥ و١٦، من السورة ٨: الأنفال.

لم يكن ضاحكاً حتى قبضه الله عزّ وجلّ.[1]

وجاء في «أمالي الشيخ» أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كتب في رسالته لأهل مصر في وصف نار يوم القيامة يقول:

قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، وَمَقَامِعُهَا حَدِيدٌ، لَا يَفْتُرُ عَذَابُهَا، وَلَا يَمُوتُ سَاكِنُهَا. دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ لِأَهْلِهَا دَعْوَةٌ ـ الخبر.[2]

١ـ «الأمالي» للصدوق، ص ٣٥٧ و٣٥٨، الطبعة الحجريّة.

٢ـ «الأمالي» للطوسيّ، ص ١٨، الطبعة الحجريّة.



المجلس الثاني والسبعون

في أصحاب جهنم ودركاتها



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ * رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ * قَالَ ٱخْسَـُٔوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ * فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ .[1]

نشاهد في هذه الآيات الكريمة أنّ أصحاب جهنّم يجعلون علّة تكذيبهم بآيات الله تعالى في شقاوتهم وغلبة الضلال الذي جعلهم يختارون السيّئ دون الحسن .كما نشاهد في كثير من الآيات القرآنيّة أنّها تعتبر علّة دخول أصحاب النار فيها هو تحقّق وثبوت الكلمة الإلهيّة في شأنهم .كما في الآية ٩٦ ، من السورة ١٠ : يونس :

١ـ الآيات ١٠٣ إلى ١١١ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ.

والآية ٣٣، من السورة ١٠: يونس: كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

والآية ٦، من السورة ٤٠: غافر: وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ.

والآية ٧١، من السورة ٣٩: الزمر: قَالُوا (والضمير عائد لأصحاب النار الذين يجيبون على سؤال خازن النار عن علّة سوقهم إلى جهنّم، وسؤاله إيّاهم: ألم يأتكم رسلٌ يحذّرونكم لقاء يومكم هذا؟) بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ.

والآية ١٩، من السورة ٣٩: الزمر: أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ.

وهكذا الأمر في كثير من الآيات القرآنيّة الكريمة الأُخرى التي تحدّثت عن مخالفة الأُمم السالفة لأنبيائها وتمرّدها وتجرّؤها عليهم، وعن العذاب الذي أصاب تلك الأُمم في الدنيا فأهلكها، وعن العذاب الأُخرويّ من خلال نصيبهم في دخول جهنّم في خاتمة المطاف، وعن أن كلمة العذاب قد حقّت على تلكم الأُمم؛ كما في سور فصّلت والأحقاف ويس.

وأكثر منها صراحة ووضوح، الآية ١٣، من السورة ٣٢: التنزيل: وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وهي آية ذات مضمون رفيع يمكن أن يُستخلص منه ألف كتاب في الحكمة، لما فيها من تبيان لكيفيّة الخلق، والإرادة والمشيئة، وربط الحادث بالقديم، وهو نفس ظهور نور التوحيد وإشراقه على عالم الإمكان.

وقد روى المرحوم الشيخ الصدوق في هذا الشأن في كتاب «ثواب

الأعمال» عن محمّد بن الحسن ، عن محمّد بن الحسن الصفّار ، عن محمّد ابن يحيى ، عن أحمد بن معروف ، عن محمّد بن حمزة ، قال :

قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام : **مَنِ اشْتَاقَ إِلَى الجَنَّةِ وَإِلَى صِفَتِهَا فَلْيَقْرَأ الوَاقِعَة ؛ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى صِفَةِ النَّارِ ، فَلْيَقْرَأْ سَجْدَةَ لُقْمَانَ .**[1]

وكما نعلم أنّ سورة السجدة لا تمتلك خصوصيّة معيّنة بلحاظ تفصيل العذاب ، اللهمّ إلّا هذه الآية الكريمة التي ذكرناها ؛ أمّا فيما عدا ذلك ، فإنّ كثيراً من السور القرآنيّة تشتمل على تفاصيل أكثر لجهنّم وخصائصها .

أجل ، فهذه الآية تبيّن بوضوح أنّ الله تعالى إذا أراد أن يهدي كلّ فرد من أفراد البشريّة بالهداية التكوينيّة أو الهداية التشريعيّة ، وبإرادة الصلاح والسعادة ، لهداه إلى السعادة وإلى كمال فعليّة الجمال . لكنّه عزّ وجلّ لم يشأ ذلك ، لأنّه قد أراد أن يكون الناس مختارين ؛ وذلك الاختيار هو عين اختيار الله وضمن اختياره عزّ وجلّ ؛ فهو الذي شاء أن يدخل الناس الجنّة أو جهنّم بهذه الكيفيّة المعهودة .

فإرادة الله ومشيئته إذاً تتمثلان في سير الناس بقدم المجاهدة ، وفي كونهم مكلّفين ؛ فمن طوى سبيل السعادة والتقرّب بحُسن اختياره ، فإنّه سيدخل الجنّة وينال لقاء الله ورضوانه . ومن طوى سبيل الشقاء والبُعد بسوء اختياره ، ابتلي بجهنّم وتبعاتها .

١ـ «ثواب الأعمال» ص ٦٦ ، الطبعة الحجريّة . والمراد من سجدة لقمان هو سورة «الم تنزيل» (وتدعى بسورة «السجدة») وهي السورة الثانية والثلاثون من القرآن الكريم ، وتقع بعد سورة لقمان ، لذا فقد دُعيت بسجدة لقمان تمييزاً لها عن السور القرآنيّة الثلاث التي تحتوي على سجدة .

ولدينا سلسلة من الآيات الكريمة التي تسند الشقاء وعدم الإيمان وعدم العلم ، والخيانات والجنايات الصادرة من الكفّار والفسّاق والمنافقين والمتمرّدين عن اختيار ، إلى طبع الله على قلوبهم ، أو إلى ختمه عزّ وجلّ على تلك القلوب .

فقد جاء في الآيتين ٦ و٧ ، من السورة ٢ : البقرة : **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .**

ويقول في سورة يس ، في الآيات ٥ إلى ١٠ بعد خطابه للنبيّ بأنّه من المرسلين على صراط مستقيم ، لينذر بهذا القرآن النازل من ربّ عزيز رحيم قوماً قد أُنذر آباؤهم من قبل :

... فَهُمْ غَـٰفِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ .

ويقول في الآية ١٦ ، من السورة ٤٧ : محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم :

أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا أَهْوَآءَهُمْ .

ويتحدّث في الآية ١٥٥ ، من السورة ٤ : النساء عن بني إسرائيل ونقضهم العهود والمواثيق وكفرهم بآيات الله تعالى ، وقتلهم أنبياءه بغير حقّ ، وقولهم بأنّ قلوبهم غلف عن الحقّ والقبول به ، فيقول :

بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا .

ويتحدّث في الآية ٩٣ ، من السورة ٩ : التوبة عن المخالفين والمتمرّدين الذين كانوا يتمرّدون على أوامر النبيّ للمشاركة في الجهاد في

سبيل الله ، مع كونهم قادرين على الجهاد والقتال ؛ فقد أحبّوا أن يكونوا مع مَن تخلّف من المنافقين ، وكانوا يستأذنون رسول الله في القعود عن الجهاد معتذرين بأعذار واهية . فيقول تعالى :

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

وجاء في الآية ٨٧ ، من نفس السورة : **وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ .**

ويتحدّث في الآية ٧٤ ، من السورة ١٠ : يونس عن قصّة النبيّ يونس على نبيّنا وآله وعليه السلام فيذكر أنّ أنبياءً قد أُرسلوا من بعد يونس ، فجاءوا لأُممهم بالبيّنات ، فلم تؤمن تلك الأُمم كما كذّبت من قبل ؛ ثمّ يقول : **كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ .**

ويقول في الآية ٣٥ ، من السورة ٤٠ : المؤمن :

كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ .

وقد وردت كذلك آيات أُخرى على هذا السياق .

أمّا عن المنافقين ، فقد جاء في الآية ٣ ، من السورة ٦٣ : المنافقون :

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ .

وأمّا عن الكفّار الذين شرحوا بكفرهم صدراً ، فباءوا بغضب من الله تعالى ، فإنّه يعدّ جميع هذه الجهات مسبّبة عن ترجيحهم للحياة الدنيا على الحياة الخالدة الأُخرى عن اختيار ، ثمّ يعتبر أنّ جميع هذه الأسباب والمسبّبات معلولة للختم الذي خُتم على قلوب هؤلاء الكفّار وأعينهم وآذانهم .

ثمّ ينسب أُولئك الكفّار إلى الغفلة ، فيقول في الآيات ١٠٦ إلى ١٠٩ ، من السورة ١٦ : النحل :

وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ * أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ.

وحاصل القول أنّ هذه الآيات وسواها من الآيات الكثيرة التي وردت في القرآن الكريم في هذا الشأن تتحدّث بكلام واحد وسياق واحد، وتتّفق على أمر واحد هو أنّ كفر الكفّار واعتداء المعتدين مستندان على الطبع على قلوبهم من قبل الله تعالى.

فالاختيار الذي نمتلكه هو اختيار الله عزّ وجلّ ولا ينفكّ عن إرادته ومشيئته تعالى، إذ ليس هناك في العالم من حكومة مستقلّة في قبال حكومة الله سبحانه. ولو أنّنا عددنا أنفسنا مستقلّين في هذا الاختيار قيد شعرة، لكان فرضنا هذا هو محض الظلم والشرك.

وقد تكرّرت الجملة الرائعة: وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ. في موضعين من القرآن الكريم، أوّلهما في الآية ٣٠، من السورة ٧٦: الإنسان، والثاني في الآية ٢٩، من السورة ٨١: التكوير. فيعود السبب في أنّ البعض لا يفقه ولا يعلم ولا يؤمن، إلى أنّ الله تعالى قد طبع على قلبه؛ حيث نشاهد في الآيات التي مرّت، في قوله تعالى: وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ؛ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ؛ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ وأمثال هذه الآيات، أنّ عبارات: فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ؛ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ؛ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا هي جمل تفريعيّة. أي أنّ هذا الأمر متفرّع على مطلب سابق ومسبّب له. ومَن له دراية بالأدب العربيّ يعلم بأنّ هذه الجمل تمثّل تفريعاً على ما سبقها.

ولقد ظنّ بعض مترجمي القرآن بأنّ هذا المعنى يستلزم الجبر، فقاموا بترجمة هذه الآيات على النحو التالي:

«چون خداوند مى‌دانسته است كه آنها اختيار كفر وتجاوز را مى‌كنند، لذا دل آنان را مهر زده است» (= طَبَعَ اللهُ على قلوبهم لعلمه بأنّهم سيختارون الكفر والاعتداء).

وترجموا الآية ١٥٥، من سورة النساء بالكيفيّة التالية:

«بلكه خدا پس از كفر آنها، مُهر بر دلشان زد كه بجز قليلى ايمان نياوردند» (= بل طبع الله على قلوبهم بعد كفرهم، فلا يؤمنون إلّا قليلاً).

بَيدَ أنّ من الأفضل أن نترجم الآية الكريمة بنفس العنوان الذي تحمله دون أن نُقحم فيها آراءنا الخاصّة، على الرغم من أنّ بعض الآيات القرآنيّة تشير إلى أنّ الانحراف كان موجوداً لدى هؤلاء البعض، وأنّ الله تعالى قد أضلّهم بسببه. كما في الآية ١٠، من السورة ٢: البقرة، في قوله تعالى في شأن المنافقين: **فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا**.

والآية ٥، من السورة ٦١: الصفّ، التي تتحدّث عن قوم موسى على نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام وأذاهم له، حيث تقول: **فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ**.

والآية ٢٦، من السورة ٢: البقرة، التي تتحدّث عن الأمثلة التي يضربها الله تعالى في القرآن واعتراض الكافرين عليها وتساؤلهم: ماذا أراد الله بهذا مثلاً؟ فتقول: **يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ**.

لكنّ الكلام هو في منشأ المرض الأوّل والنزوع إلى الباطل والفسق الأوّل؛ فإنّه إن نشأ عن اختيارهم مستقلاً، لكان التفويض بذاته، والتفويض شرك محض. وإن كان ناشئاً عن إرادة الله واختياره: **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن**

يَشَآءَ ٱللَّهُ ، لماكان في مضمون هذه الآيات أيّ اختلاف عن مضامين الآيات الأُخرى .

وخلاصة القول أنّ علينا أن نكون دقيقين في هذا الأمر ، لئلّا نهرب من مذهب الجبريّين فنسقط في مذهب المفوّضة ، لأنّ كلا المذهبين مجانب للصواب. فالجبر مخالف للوجدان والحسّ ؛ والتفويض يبعث على عزل الله عزّوجلّ عن التدخّل في كثير من الشؤون ، وإدخال غيره مكانه .

وينبغي الفحص بدقّة فيما يتعلّق بالمعارف الإلهيّة ، وجعل المطالب برهانيّة حيثما دار البحث في المسائل الفلسفيّة والعقليّة العميقة . وبغير ذلك فإنّ أُصول العقائد ستصبح تقليديّة ، وستكون النتيجة تابعة لأخسّ المقدّمتين . وبذلك سيصبح الإيمان بالله وصفاته وأسمائه الحسنى تقليديّاً بدوره ، وهو محلّ ابتلاء أغلب الناس في هذه الأيّام ، حيث نجد أنّ بعض الخواصّ ـ ناهيك عن العوامّ ـ يواجهون مسألة الجبر والاختيار ، فيلجأون ـ من حيث يشعرون أو لا يشعرون ـ إلى مذهب التفويض ، ويسقطون دون أن يعلموا في شِراك هذا المذهب ، ويخالون أنّهم قد فكّوا مغاليق تلك المسألة ، وأنّهم قد فهموا جيّداً : **أَمْرٌ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ** .

ولا أجمل ولا أبدع من كلام الفقيه النبيه : آية الله المرحوم الحاجّ آقا رضا الهمدانيّ في هذا المقام ، فقد كتب في كتابه الشريف «مصباح الفقيه» في الجزء الأخير من مجلّد الطهارة ، ص ٥٦ ، بعد استدلاله على طهارة الجبريّين ، يقول :

[وأظهر من ذلك (أي من القول بطهارة الجبريّين) القول بطهارة المفوّضة ، بل عن «شرح المفاتيح» أنّ ظاهر الفقهاء طهارتهم ، يعني إسلامهم . فما عن كاشف الغطاء من أنّه عدّ(من إنكار الضروريّ)القول بالجبر والتفويض في غاية الضعف .كيف وعامّة الناس لا يمكنهم تصوّر :

أَمْرٌ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ كما هو المرويّ عن أئـمّتنا حتّى يعتقدوا بـه ، فـإنّه مـن غوامض العلوم ، بل من الأسرار التي لا يصل إلى حقيقتها إلّا الأوحديّ من الناس الذي هداه الله إلى ذلك . ألا ترى أنّك إذا أمعنتَ النظر ، لوجدتَ أكثر من تصدّى من أصحابنا لإبطال المذهبينِ لم يقدر على التخطّي عن مرتبة التفويض وإن أنكره باللسان ، حيث زعم أنّ منشأ عدم استقلال العبد في أفعاله ، كونها صادرة منه بواسطة أنّ اللـه تـعالى أقـدره عـليها وهـيّأ له أسبابها ، مع أنّه لا يظنّ بأحدٍ ممّن يقول بالتفويض إنكار ذلك . والحاصل أنّ هذا المعنى بحسب الظاهر عين القول بالتفويض ، مع أنّ عـامّة النـاس تقصر أفهامهم عن أن يتعقّلوا مرتبة فوق هذه المرتبة لا تنتهي إلى مـرتبة الجبر .

لكنّ هذا في مقام التصوّر التفصيليّ ، وإلّا فلا يبعد أن يكون مـا هـو المغروس في أذهان عامّة أصحابنا خواصّهم وعـوامـهم مـرتبة فـوق هـذه المرتبة ، فإنّهم لم يزالوا يربطون المكوّنات بأسرها من أفعال العباد وغيرها في حدوثها وبقائها بمشيئة الله تعالى وقدرته ، من غير أن يعزلوا عللها عن التأثير حتّى يلزم منه ـ بالنسبة إلى أفعال العباد ـ الجبر ، أو يـلتزموا بكـون المشيئة من أجزاء عللها حتّى يلزمه الإشراك والوهن في سلطان الله تعالى .

وهذا المعنى وإن صعب تصوّره والإذعان به لدى الالتفات التفصيليّ لما فيه من المناقضة الظاهرة لدى العقول القاصرة ، لكنّه إجـمالاً مـغروس في الأذهان ومآله على الظاهر إلى الالتـزام **بالأَمْرِ بَيْنَ الأَمْـرَيْنِ** بـالنسبة إلى معلولات جميع العلل من أفعال العـباد وغـيرها . وكـيف كـان فـلا يـنبغي الارتياب في أنّه ليس شيء من مثل هذه العقائد ـ التي ربّما يعجز الفحول عن إبطالها مع مساعدة بعض ظواهر الكتاب والسـنّة عليها ـ إنكـاراً للـضروريّ والله العالم]. انتهى كلام الفقيه آية الله الهمدانيّ قدّس الله سرّه .

وإذ نمضي كلام هذا الرجل الجليل في قوله بأنّ مسألة الأمر بين الأمرينِ هي من غوامض العلوم ، وإنّ غالب الفحول الأعلام قد ابتلوا بمسألة التفويض ، فإنّ لدينا كلام حول قوله بأنّ ما هو مغروس في الأذهان هو مسألة «لا جبر ولا تفويض» أي : الأمر بين الأمرينِ .

ويتلخّص كلامنا بما يلي :

أيمكن الاكتفاء بما هو مغروس في الأذهان ، أم أنّ على المؤمن الملتزم أن يعمد من خلال البحث والسعي الحثيث إلى كشف الستار عن الحقيقة ، وأن يضع إيمانه على أساس عقيدة التوحيد الخالصة على وجه التفصيل لا الإجمال ؟

وبعبارة أُخرى ، فكما أنّ التوحيد الفطريّ موجود لدى جميع أفراد البشر ، حتّى أنّ اليهود والنصارى والمشركين والمادّيّين يجدون في قرارة أنفسهم أمر التوحيد فطريّاً وجبلّة ، ويحسّون بنزعة إلى الذات الواحدة للحيّ القيّوم العليم الحكيم القدير الأزليّ الأبديّ ، بَيدَ أنّ هذا التوحيد الفطريّ أو التوحيد الذهنيّ المغروس في الخواطر لا يكفي بدون حصول الانكشافات الخارجيّة ، وبدون التعقّل وإعمال الإدراك وشهود الوجدان ، وأنّ على جميع الناس أن يتنزّلوا عن الفطرة إلى العقل والحسّ ، فيجهدوا أنفسهم في أمر التوحيد من أجل أن يدركوا الله الواحد ويحسّونه وجداناً ، ويطهّروا أسرار ذواتهم من خلال إسلامهم واتّباعهم لرسول الله وللقرآن المقدّس ، ومن خلال اتّباع الأحكام العباديّة ، وصولاً إلى مقام التوحيد التفصيليّ ؛ فإنّ الغرس الإجماليّ في الأذهان **لِأَمْرٍ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ** لا يكفي صاحبه شيئاً ، لأنّنا نعلم بأنّ عمل الناس من الخاصّة والعامّة قائم على أساس الشرك القلبيّ الخفيّ ، على الرغم من قولهم بالتوحيد وعدم إذعانهم في الظاهر بهذا الشرك .

وحاصل القول أنّ الإسلام لا يريد منّا نفي الشرك الجليّ وعبادة الأصنام الخارجيّة فحسب ، فهذا هو واجب العوامّ والمستضعفين ؛ بل ينتظر من المسلمين والمؤمنين أن يخطوا إلى الأمام في مسيرة التوحيد خطوة فخطوة ، فينفوا كلّ مؤثّر جزئيّ أو كلّيّ عن مقام ذات الحضرة الأحديّة ، ويعدّوا الله تعالى المنشأ الأوحد للأثر في عالم الوجود ذاتاً وصفة وفعلاً .

أفلا تدعونا كلّ هذه الآيات القرآنيّة إلى الكمال ؟ ألا تدعونا هذه السنّة السنيّة ، وهذا المنهاج ، وهذه الروايات الواضحة المبرهنة من قِبل المعصومين إلى هجر الشرك الخفيّ ، وإلى الدخول في الإسلام الأكبر والإيمان الأكبر ؟ وما الذي يعنيه الجهاد الأكبر والهجرة الكبرى إذاً ؟ أيكفي المرء أن يقول جملة **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَه** ،كما تقول بعض العجائز ، ثمّ ينتهي الأمر ؟

إنّ هذه العبادات ، وهذه المجاهدات ، وهذه الدائرة الطويلة العريضة للتشريع إنّما تستهدف بأسرها كشف نور التوحيد ؛ فلا ينبغي الاكتفاء بما هو مغروس في الأذهان . وسيأتي لاحقاً تفصيل معنى التفويض ، الذي يعتبر ذات المرء واختياره وكذا سائر الأسباب الأخرى مؤثّرة في الخارج تأثيراً مستقلاً .

أجل ، فربّما لم يكن قصد ذلك العَلَم الجليل إمكان الاكتفاء بما هو مغروس في الأذهان ، وربّما كان في صدد إثبات أنّ هذه العقائد لا تستلزم إنكار الضروريّ ، وأنّه أراد أن يختم المطلب بلحاظ الطهارة التي تمثّل مسألة فقهيّة .

وعموماً ، فإنّ روح المسألة تتمثّل في أنّنا إذا أردنا اعتبار العبد مستقلاً في أعماله ولو قدر ذرّة واحدة ، وإذا عددنا له اختياراً مستقلاً ، فسنكون قد عزلنا الله تعالى عن دائرة فعله ؛ وليس الشرك شيئاً غير هذا .

إنّ الشرك لا يعني نفي الأُلوهيّة وتأثير ذات الله القدسيّة ، بل هو جعل شريك للّه يشاركه في أفعاله ، واعتبار أنّ تلك الأفعال تحصل بيده تعالى وبِيَدِ غيره ، ولذا فهو مخالف للصواب ، سيّان في الأمر أن يُجعل للّه شريك فيعتبر مستقلّاً في تأثيره في الأُمور المهمّة وغير المهمّة ، أو أن يكون ذلك الشريك هو اختيار الإنسان ، أم مَلَكاً سماويّاً أم شيطاناً أرضيّاً .

وإذا اعتُبر اختيار الإنسان غير مستقلّ في التأثير ، وعُدّ خاضعاً لاختيار الله تعالى ومشيئته ، لجسّد ذلك عين التوحيد ولا شيء سوى التوحيد . بل إنّ اختيار العباد هو عين اختيار الحقّ سبحانه وتعالى . وينبغي ألّا نعدّ هذا المعنى مستلزماً للجبر ، ثمّ نقول ـ فراراً من الجبر ـ بأنّنا نمتلك اختياراً مستقلّاً ، وإنّ الله تعالى لمّا كان يعلم بعلم الغيب عند خلقه للعبد أنّه سيعتبر اختياره مستقلّاً ، فقد عاقبه على هذا الاختيار الاستقلاليّ بالطبع على قلبه ؛ لأنّ مثل هذه المقولة ليست إلّا كلاماً معكوساً .

إنّ الله تعالى ليس ضعيفاً بائساً ، لنضع أنفسنا محامين دفاع له ، ولنحاول ـ من خلال المعارف الإلهيّة التي أسأنا فهمها ـ أن نتكلّم في صالحه بمثل هذه التأويلات الواهية والتعبيرات الركيكة التي لا أساس لها ، ونحسب أنّنا ندافع بذلك عن الدين ؛ ولنحاول والعياذ بالله تزويق الفساد الذي طرأ على المعارف المتينة المبرهنة نتيجة سوء فهمنا ، إرضاءً لأفكار العامّة وجهّال الناس ، فنكون قد خطونا في مسيرة الشرك بتناغمنا مع هذه الأفكار وفق رغبة العوام الذين يبحثون عن صنم ينحتونه ليعبدوه ، كقوم موسى الذين اشتهوا في غيبته عجلاً يعكفون على عبادته .

إنّ الله عزّ وجلّ عزيز ، والمعارف الإلهيّة متينة وراسخة . وتوحيد ذات الله تعالى يسطع على الدوام كالشمس الوهّاجة المنيرة . ونورد في هذا المجال عدّة روايات من «أُصول الكافي» ثمّ نشرع في بيان بحث مختصر

إيضاحاً للمطلب .

يروي الكلينيّ رحمه الله عن عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن حفص بن قُرط ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، قال :

قَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَهَ يَأْمُرُ بِالسُّوءِ وَالفَحْشَاءِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَهِ . وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ بِغَيْرِ مَشِيَّةِ اللَهِ ، فَقَدْ أَخْرَجَ اللَهَ مِنْ سُلْطَانِهِ . وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ المَعَاصِي بِغَيْرِ قُوَّةِ اللَهِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَهِ ؛ وَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَهِ أَدْخَلَهُ اللَهُ النَّارَ .[1]

كما يروي عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن مرار ، عن يونس بن عبد الرحمن ، قال :

قَالَ لِي أَبُو الحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا يُونُسُ ! لَا تَقُلْ بِقَوْلِ القَدَرِيَّةِ ، فَإنَّ القَدَرِيَّةَ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَلَا بِقَوْلِ أَهْلِ النَّارِ ، وَلَا بِقَوْلِ إبْلِيسَ ؛ فَإنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ قَالُوا : «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَانَا ٱللَّهُ» . وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ : «رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ» .

وَقَالَ إبْلِيسُ : «رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى» .

فَقُلْتُ : وَاللَهِ مَا أَقُولُ بِقَوْلِهِمْ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ : لَا يَكُونُ إلَّا بِمَا شَاءَ اللَهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى .

فَقَالَ : يَا يُونُسُ ! لَيْسَ هَكَذَا ؛ لَا يَكُونُ إلَّا مَا شَاءَ اللَهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى ـ الخبر .[2]

---

١ ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ١٥٨ .

٢ ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ١٥٧ و ١٥٨ .

ويروي عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن الحسن الزعلان ، عن أبي طالب القمّيّ ، عن رجل ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، قَالَ :

قُلْتُ : أَجْبَرَ اللَهُ العِبَادَ عَلَى المَعَاصِي ؟

قَالَ : لَا .

قُلْتُ : فَفَوَّضَ إلَيْهِمُ الأَمْرَ ؟

قَالَ ، قَالَ : لَا .

قَالَ ، قُلْتُ : فَمَاذَا ؟!

قَالَ : لُطْفٌ مِنْ رَبِّكَ بَيْنَ ذَلِكَ.[1]

ويروي عن الحسين بن محمّد ، عن المعلّى بن محمّد ، عن الحسن ابن عليّ الوشّاء ، عن أبي الحسن (الرضا) عليه السلام ، قال :

سَأَلْتُهُ فَقُلْتُ : اللَهُ فَوَّضَ الأَمْرَ إلَى العِبَادِ ؟

قَالَ : اللَهُ أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ .

قُلْتُ : فَجَبَرَهُمْ عَلَى المَعَاصِي ؟

قَالَ : اللَهُ أَعْدَلُ وَأَحْكَمُ مِنْ ذَلِكَ .

قَالَ : ثُمَّ قَالَ : قَالَ اللَهُ : يَابْنَ آدَمَ ! أَنَا أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي . عَمِلْتَ المَعَاصِي بِقُوَّتِي الَّتِي جَعَلْتُهَا فِيكَ.[2]

ويروي عن عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ابن عبد الرحمن ، عن جماعة كثيرة من الرواة ، عن أبي جعفر (الباقر) وأبي عبد الله (الصادق) عليهما السلام ، قَالَا :

١ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ١٥٩ .

٢ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ١٥٧ .

إنَّ اللهَ أَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنْ أَنْ يُجْبِرَ خَلْقَهُ عَلَى الذُّنُوبِ ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ عَلَيْهَا ؛ وَاللهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُرِيدَ أَمْراً فَلَا يَكُونُ.

قَالَ : فَسُئِلَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : هَلْ بَيْنَ الجَبْرِ وَالقَدَرِ مَنْزِلَةٌ ثَالِثَةٌ ؟!

قَالَا : نَعَمْ ، أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.[1]

والخلاصة فقد أوردنا هذه الروايات كأمثلة في هذا المجال ، حيث إنّها اشتملت على أُسس مطالب هذا البحث . وقد وردت رواية الكلينيّ عن محمّد بن أبي عبد الله ، عن الحسين بن محمّد ، عن محمّد بن يحيى ، عن راوٍ آخر ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام بلفظ : **لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ وَلَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ.**[2]

هذا وقد نقل الحرّانيّ في «تحف العقول» رسالة مفصّلة عن الإمام أبي الحسن الثالث : عليّ بن محمّد الهاديّ عليه السلام في ردّ الجبر والتفويض ، وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين ، كان عليه السلام قد أرسلها إلى جماعة من أهل الأهواز ردّاً على رسالة أرسلوها إليه ، وقد ضمّت رسالة الإمام مطالب نفيسة واستشهادات ببيان الإمام الصادق عليه السلام .[3] وقد أورد المجلسيّ رضوان الله عليه هذه الرسالة بتمامها في «بحار الأنوار» ،[4] وأورد الشيخ الطبرسيّ مختصراً لها في كتاب «الاحتجاج» تحت عنوان «رسالته عليه السلام إلى أهل الأهواز في مسألة الجبر والتفويض» .[5]

١ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ١٥٩ .

٢ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ١٦٠ .

٣ـ «تحف العقول» ص ٤٥٨ إلى ٤٧٥ ، الطبعة الحروفيّة .

٤ـ «بحار الأنوار» العدل والمعاد ، ج ٣ ، ص ٢٠ إلى ٢٥ ، الطبعة القديمة (الكمبانيّ) .

٥ـ «الاحتجاج» للطبرسيّ ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ إلى ٢٥٤ ، طبعة النجف .

وتعدّ مسألة **أَمْرٌ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ** من المسائل المهمّة،ومن أُصول الشيعة ، والحق أنّ بيان هذا الأمر في ذلك الزمان من قِبل الأئمّة الأطهار عليهم السلام له حكم المعجزة ، لأنّه يمكن استخلاص جميع الأُسس الإلهيّة الحقّة منها ، ولأنّه لا يمكن لأحد أن ينشئ نظيرها إلّا أن يكون متمكّناً من منهل المعارف ، وأن يكون قد لمس هذا الأمر وعاينه بعين بصيرته .

ولا يختصّ هذا الأمر بأفعال العباد ، بل إنّ الجبر والتفويض منتفيان في عالم الوجود ، وإنّ جميع الأُمور خاضعة لسنّة واحدة صحيحة هي : **أَمْرٌ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ**.

يقول **الجبريّون** : إنّ إرادة الله الحتميّة قد تعلّقت بأفعال العباد كتعلّقها بسائر الأُمور ، وإنّ الإنسان مُجبر في أعماله غير مختار ، وإنّ جميع الأُمور مخلوقة للّه تعالى ،كسائر أفعال الأسباب التكوينيّة .

أمّا أصحاب مذهب التفويض ـ ويُدعون **بالمفوّضة** ـ فينفون أيّ تعلّق لإرادة الله تعالى بأفعال العباد ، ويعتبرون جميع الأفعال مخلوقة للإنسان على أساس إثبات الاختيار .

ونشاهد في هذه الروايات أنّ أئمّة الدين قد أبطلوا كلا المذهبينِ وأنكروهما أيّما إنكار .

أمّا **مذهب الجبر** ، فلأنّ الله تعالى عادل ، فحاشاه أن يجبر عبده على فعل شيء ثمّ يؤاخذه عليه ويعذّبه على فعله . ونحن نرى وجداناً أنّ الإنسان مختار ، وأنّ هذا الاختيار مركوز في أساس وجوده ، وأنّ أحداً لا يتدخّل في اختياره أو يُجبره على أمرٍ ما ، وأنّ نفي الاختيار ممّا يخالف الوجدان والشهود .

وأمّا **مذهب التفويض** ، فلأنّ قدرة الحضرة الأحديّة وسلطانه ومشيئته لا ينقصها شيء ولا يحدّ منها شيء ، وأنّ الموجودات ـ بلا استثناء ـ

خاضعة في حدوثها وبقائها وجميع جوانبها الوجوديّة إلى قدرة الله تعالى وسلطانه وحكومته. وأنّنا لو قلنا بأنّ الإنسان عموماً فاعل لما يشاء فيما يتعلّق بالأفعال الاختياريّة، وأنّ الله عزّ وجلّ قد أوكل إلى عباده هذه السلسلة من الأفعال؛ ولو أنّنا عزلنا الله تعالى في هذا الجزء من الأفعال، وأخرجناه من دائرة حكومته في هذه الجهة، لَكُنّا قد ظلمناه سبحانه.

إنَّ مَذْهَبَ الجَبْرِ يُمَثِّلُ ظُلْمَ اللَهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ؛ كَمَا أنَّ مَذْهَبَ التَّفْوِيضِ يُجَسِّدُ ظُلْمَ العَبْدِ لِلَّهِ تَعَالَى.

ومن هنا فقد جاء نفي هذين النحوينِ من الظلم، ونشأ مذهب **أَمْرٌ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ** الذي يرتفع عن مذهب التفويض وينخفض عن مذهب الجبر، وهو مذهب بين المذهبينِ، ومنزلة بين المنزلتينِ، وهو مذهب التوحيد المحض، ومذهب التجلّي والظهور. وذلك أنّ العبد مختار، فإن عددنا هذا الاختيار مُغايراً لاختيار الله تعالى، للزم من ذلك التفويض؛ وإن نفينا هذا الاختيار، للزم من ذلك الجبر. أمّا **أَمْرٌ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ** فيقول بأنّ هذا الاختيار موجود، وهو لا ينفي هذا الاختيار من جهة ولا يجعله غير اختيار الله تعالى من جهة أُخرى، بل يعتبره اختياراً هو عين اختياره سبحانه: **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّا أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ**. فليس ثمّة بينونة وانفصال للعبد عن ربّه، بل العبد نفس ظهور الله وتجلّيه. ولذلك فليس ثمّة شيء في عالم التوحيد وعلى أساس التوحيد سوى الذات القدسيّة للحيّ القيّوم وأسمائه وصفاته وأفعاله.

العبد مختار، واختياره خاضع لاختيار الله سبحانه، وهو عين اختياره تعالى. وقد ضرب أُستاذنا العلّامة الطباطبائيّ مدّ ظلّه مثالاً شيّقاً في هذا المجال في تعليقاته على كتاب «الكافي» قال فيه:

فلنفرض إنساناً أُوتي سعة من المال والمنال والضياع والدار والعبيد والإماء، ثمّ اختار واحداً من عبيده وزوّجه إحدى جواريه وأعطاه من الدار

والأثاث ما يرفع حوائجه المنزليّة . ومن المال والضياع ما يسترزق به في حياته بالكسب والتعمير .

فإن قلنا : إنّ هذا الإعطاء لا يؤثّر في تملّك العبد شيئاً ، والمولى هو المالك وملكه بجميع ما أعطاه قبل الإعطاء وبعده على السواء ، كان ذلك قول المجبّرة . وإن قلنا : إنّ العبد صار مالكاً وحيداً بعد الإعطاء ، وبطل به ملك المولى ، وإنّما الأمر إلى العبد **يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فِي مِلْكِهِ** ، كان ذلك قول المفوّضة . وإن قُلنا ـ كما هو الحقّ ـ إنّ العبد يتملّك ما وهبه له المولى في ظرف ملك المولى وفي طوله لا في عرضه ، فالمولى هو المالك الأصليّ ، والذي للعبد ملك في ملك ، كما أنّ الكتابة فعل اختياريّ منسوب إلى يد الإنسان وإلى نفس الإنسان ، بحيث لا يبطل إحدى النسبتينِ الأُخرى .[1]

وينبغي العلم بأنّه قد جيء بهذا المثال تقريباً للمطلب ، وأنّه يختلف مع مسألتنا في أنّ ملكيّة المولى للعبد وإعطاءه إيّاه جميع أمواله هي أُمور اعتباريّة ، أمّا ملكيّة العبد وأفعاله لذات الحقّ المقدّسة فهي ملكيّة حقيقيّة . ولذلك فإنّ هذا العالم بكلّ جماله البديع وطراوته هو أفعال الله تعالى وتجلّيات حضرته ، وأنّ العالم بأرجائه يفيض بالجمال والحسن والروعة ، ويختصّ كلّ ذلك بذات الله تعالى .

سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ .[2]

ليس في عالم خلق الحقّ سبحانه من عيب ولا نقص ولا فتور ولا فطور .

أمّا أفعال العبد ، فخاضعة بأجمعها لنفوذ الحقّ ومشيئته ؛ وكما ورد

١ـ التعليقة على «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ١٥٦ .

٢ـ الآيتان ١٥٩ و ١٦٠ ، من السورة ٣٧ : الصافّات .

في رواية يونس ، أنّ الرضا عليه السلام أمره أن يقول : **مَا شَاءَ اللَّهُ** . ولا يقول : **بِمَا شَاءَ اللَّهُ** . أي أنّ نفس ما يشاء الله يكون ، لا بواسطة ما شاء سبحانه ؛ أي أنّ الإمام أمره بنفي الواسطة ، لأنّ الواسطة شرك ، ولأنّ رائحة الاستقلال أينما شُمّت كانت شركاً ، والشرك مخالف للصواب .

وقد شاهدنا في رواية أبي طالب القمّيّ أنّ الإمام عليه السلام قال : **لُطْفٌ مِنْ رَبِّكَ بَيْنَ ذَلِكَ** (أي بين الجبر وبين التفويض) . واللطف عبارة عن النفوذ الدقيق . كما في قول : **إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** ،[1] أي أنّ الله تعالى نافذ خبير .

ويعبّر الإمام هنا عن تأثير الله تعالى في أفعال العباد باللطف ، أي بالاستيلاء الملكيّ الحقيقيّ المتناهي في الدقّة وعدم الشهود ؛ وهو **أمْرٌ بَيْنَ الأمْرَيْنِ** أوسع ممّا بين السماء والأرض ؛ وهو أوسع حقيقة ممّا بين السماء والأرض ، لأنّ **أَمْرٌ بَيْنَ الأمْرَيْنِ** ـ كما مرّ ـ يشمل جميع الموجودات ، ولأنّ الجميع خاضع لحكومة الله عزّ وجلّ ، وأنّه تعالى خبير لطيف بهم جميعاً ، وأنّ اللطف والدقّة والنفوذ غير المرئيّ قد طبّقت أرجاء عالم الإمكان من المُلك والملكوت ، وحيثما وُجد ممكن من العقول المجرّدة والنفوس الكلّيّة ، وصولاً إلى عالم الطبع وأظلم العوالم ، كان الله موجوداً وذا معيّة مع كلّ شيء وفي كلّ مكان .

وكما هو معلوم فإنّ مثل هذا البناء الشامخ للخلقة هو أوسع ممّا بين السماء والأرض ، على أنّ شرور الأفعال والسيّئات والقبائح والمنكرات ترجع بأسرها إلى ماهيّة العبد لا إلى وجود الله تعالى ، كما رأينا في رواية ابن الوشاء من أنّ الإمام الرضا عليه السلام قد حكى عن الله تعالى قوله :

١ـ الآية ٦٣ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

يَا بْنَ آدَمَ ! أَنَا أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي !

والحقّ أنّ هذه الجملة تمثّل كتاباً في المعرفة ، وكتاباً في الفلسفة والحكمة ، وتشكّل عالماً من الشهود والعرفان نضح من معدن النبوّة . وهذه الكلمات النفيسة نفاسة الدرر هي إحدى المعجزات الباقية لأئمتنا ، وهي كلمات تعدل الجبال وزناً وعظمة وجلالة .

إنّ الشرور والسيّئات هي أُمور عدميّة ، وهي تنشأ عن ماهيّات النفوس لا من أصل وجودها ، لأنّ أصل وجود النفوس خيرٌ محض ، والله سبحانه هو خالق الخير لا خالق الشرّ ، **والشَّرُّ لَيْسَ إلَيْكَ** .

ولو أُزيل عنوان السوء من نظر العصاة القاصرين،لما اقترفوا معصية ولصارت جميع أعمالهم طاعة . لكنّ هذه القبائح والمساوئ تنشأ إثر الفكر الفاسد والتجرّي والذنوب ؛ أمّا مآلها فجهنّم التي تحترق فيها وتتّقد في أَتُونها ، حيث تحترق جميع هذه التهم في جهنّم بما فيها من نفاق واثنينيّة وشكّ وشرك وإسناد الظلم إلى ذات الحقّ القدسيّة .

الجنّة مثوى المطهّرين ؛ والنار مثوى الأرجاس ، وسوف يزاح ستار الأوهام عن بصر من يواجه ابتلاءات الدنيا واختباراتها بالإقرار بتوحيد الحقّ تعالى ، ومن يضع قدمه على مضمار عبوديّة الحقّ بالمجاهدة والصبر والاستقامة ، فيصل إلى مقام معرفة الحقّ عزّ وجلّ معرفة شهوديّة ووجدانيّة . ولن يصبح مثل هذا الشخص مذنباً بعد ذلك ، إذ لن يكون للذنب والمعصية في شأنه من معنى .

أمّا من لم يقرّ وجداناً بوحدانيّة الحقّ تعالى ، فإنّه سيقرّ بذلك عند سكرات الموت ، أو في القبر وفي عالم البرزخ ، أو في الحشر عند الصراط أو عند الميزان أو عند العرض أو في سائر المواطن الأُخرى ، على الرغم من أنّه سيهوي في جهنّم فيحترق بلظاها ، لأنّ جهنّم تجتذب هذا

الرجس والدنس. **نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الجَحِيمِ وَحَرِّهَا وَشَهِيقِهَا وَزَفِيرِهَا.**

كلا المؤمن والكافر مظهر للّه تعالى. المؤمن مظهر للرحمة، والكافر مظهر للغضب. كما أنّ الجنّة وجهنّم كلاهما ظهور للّه عزّ وجلّ: ظهور للرحمة وظهور للغضب.

ولو نُظر إلى الأُمور بعينٍ مبصرة للحق، لشوهد كلّ منها في موضعه الصحيح؛ أمّا لو نُظر إليها بعين مريضة كليلة، فلشوهد أنّ هناك إشكالاً في جميع أرجاء العالم. لكنّ هذا الإشكال ـ في حقيقة الأمر ـ ليس في العالم، بل في النظر والإبصار، وهو إشكال يتلاءم مع جهنّم ويتجانس معها.

إنّ جهنّم هي ظهور الحجاب؛ والحجاب توغّل في الكثرات وغفلة عن ذات الأحد تبارك وتعالى:

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ.[1]

كما أنّ جهنّم هي ظهور للغفلة والجهل والشرك والشكّ في التوحيد ولجميع الذنوب الفكريّة والعمليّة التي تتفرّع منها. والمبعدون عن جهنّم هم أصحاب التوحيد الذين يعترفون بالحضرة الأحديّة، أمّا سواهم فهم جميعاً واردو جهنّم حتماً.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ.[2]

١ـ الآيتان ١٤ و١٥، من السورة ٨٣: المطفّفين.

٢ـ الآيات ٩٨ إلى ١٠٢، من السورة ٢١: الأنبياء.

وفي هذه الآيات شاهد واضح على أنّ جهنّم تمثّل في عالم الآخرة مظهر الشكّ والشرك، وأنّه ينبغي لمن عبد غير الله وعاش في كثرات عالم الطبع غافلاً عن حضرة ذي الجلال أن يحترق في أتُونَ جهنّم.

وآيات سورة التكاثر أكثر وضوحاً في بيان هذه الحقيقة، في قوله تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * (أنّ هذه الكثرات لا حقيقة لها، وأنّها لا تحكي عن أصالةٍ ما) **ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ *** (أن الكثرات سراب كاذب) **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ.**

تُظهِر هذه الآيات بوضوح أنّ الجحيم والنار المشتعلة المتأجّجة إنّما هي مشاهدة كثرات العالم، والغفلة عن نور التوحيد، لكنّ هذا المعنى لا ينكشف للمرء مادام بصر الباطن لديه مطبقاً؛ أمّا حين يُزاح الستار ويتحقّق عالم اليقين، فسيتّضح ما الذي فعله حجاب الكثرة، وأيّ جحيم متّقدة ونار محرقة قد أعقبَ!

فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ.[١]

لقد ورد الناس بأجمعهم إلى عالم الكثرة، فصار عليهم أن يردوا جهنّم بأجمعهم، ثمّ يخرج منها مَن سافر من الكثرة إلى التوحيد:

وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا.[٢]

١ـ الآية ٢٢، من السورة ٥٠: ق.

٢ـ الآيتان ٧١ و٧٢، من السورة ١٩: مريم.

وقد نقل في «تفسير النعمانيّ» بسنده المتّصل عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : نَسَخَ قَوْلَهُ تَعَالَى «وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» قَولُهُ «إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ».[1]

بَيدَ أنّه ينبغي العلم بأنّ فطرة بني آدم لمّا كانت قائمة على أساس التوحيد ، فإنّ الجنّة ينبغي أن تكون قد خُلقت قبل جهنّم ، وأنّ جميع مراتب الشكّ والشرك والتكاثر هي عارض يغطّي سيماء التوحيد الجميلة المشرقة .

يروي الكلينيّ في «روضة الكافي» عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد ابن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن أبي جعفر الأحول ، عن سلام بن المستنير ، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام ، قال :

إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ النَّارَ ، وَخَلَقَ الطَّاعَةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ المَعْصِيَةَ ، وَخَلَقَ الرَّحْمَةَ قَبْلَ الغَضَبِ ، وَخَلَقَ الخَيْرَ قَبْلَ الشَّرِّ ، وَخَلَقَ الأَرْضَ قَبْلَ السَّمَاءِ ، وَخَلَقَ الحَيَاةَ قَبْلَ المَوْتِ ، وَخَلَقَ الشَّمْسَ قَبْلَ القَمَرِ ، وَخَلَقَ النُّورَ قَبْلَ الظُّلْمَةَ .[2]

وربّما كانت أبواب جهنّم السبعة التي يقود كلّ منها الوارد فيه إلى درك خاصّ ، قد وضعت على أساس اختلاف حجب الواردين واختلاف درجات توغّلهم في الكثرات . فكلّما زاد الاهتمام بالأُمور الاعتباريّة الدنيويّة الفانية ، والتعلّق بالكثرات الوهميّة ، تسافلت منزلة جهنّم التي تدعى دركاً ؛ والعكس صحيح .

يقول الطبرسيّ في تفسير «مجمع البيان» (في تفسير قوله تعالى «في

١ـ «تفسير النعمانيّ» ص ١٥ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣٠٦ ، الطبعة الحروفيّة .

٢ـ «روضة الكافي» ص ١٤٥ .

الدرك الأسفل من النار» : أي في الطبق الأسفل من النار ، فإنّ للنار طبقات ودركات ،كما أنّ للجنّة درجات .[١]

ويقول في تفسير الآية الكريمة : **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ**:[٢]

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ جهنّم لها سبعة أبواب أطباق بعضها فوق بعض ـ ووضع إحدى يديه على الأُخرى فقال ـ هكذا ؛ وأنّ الله وضع الجنان على العرض ، ووضع النيران بعضها فوق بعض ، فأسفلها **جَهَنَّم** وفوقها **لَظَى**[٣] وفوقها **الحُطَمَة** ، وفوقها **سَقَر** ، وفوقها **الجَحِيم** ، وفوقها **السَّعِير** ، وفوقها **الهَاوِيَة** .[٤]

وقال عليّ بن إبراهيم القمّيّ في تفسيره ، في تفسير هذه الآية الشريفة : يدخل في كلّ باب أهلُ ملّة ؛ وللجنّة ثمانية أبواب .

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : **إنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ** : فبلغني ـ والله أعلم ـ أنّ الله جعلها سبع درجات ، أعلاها : **الجحيم** ، يقوم أهلها على الصفا منها ، تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها .

والثانية : **لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ * وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ**[٥] (ولم يُعطِ المالَ مستحقّيه) .

١ـ تفسير «مجمع البيان» ج ٢ ، ص ١٣٠ ، طبعة صيدا .

٢ـ الآيتان ٤٣ و ٤٤ ، من السورة ١٥ : الحجر .

٣ـ **لظى** معرفة ، وهي بمعنى جهنّم . وهي ممنوعة من الصرف باعتبارها علماً مؤنّثاً . أمّا **اللظى** فمصدر ، ويعني نفس النار أو لهب النار .

٤ـ «مجمع البيان» ج ٣ ، ص ٣٣٨ ، طبعة صيدا .

٥ـ الآيات ١٤ إلى ١٦ ، من السورة ٧٠ : المعارج .

والثالثة : **سَقَرَ * لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**.[2] [1]

والرابعة : **الحُطَمَة** ترمي بشرر كالقصر كأ نّه جمالات صفر ،[3] تدقّ كلّ من صار إليها مثل الكحل ، فلا تموت الروح ،كلّما صاروا مثل الكحل عادوا .

والخامسة : **الهاوية** ، فيها مَلَك ، يدعون : **يَا مَالِكُ ! أَغِثْنَا** ، فإذا أغاثهم جعل لهم آنيةً من صفر من نار فيها صديد ماء يسيل من جلودهم كأ نّه مُهل ، فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدّة حرّها ، وهو قول الله : **وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا**.[4]

ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النار ،كلّما احترق جلده بُدّل جلد [اً] غيره .

والسادسة : **السَّعِيرُ** ، فيها ثلاثمائة سرادق من نار ؛ في كلّ سرادق ثلاثمائة قصر من نار ؛ في كلّ قصر ثلاثمائة بيت من نار ؛ وفي كلّ بيت ثلاثمائة لون من عذاب النار ؛ فيها حيّات من نار وعقارب من نار وجوامع من نار وسلاسل وأغلال [5] من نار ، وهو الذي يقول الله : **إِنَّآ أَعْتَدْنَا**

١ـ سَقَر معرفة ، بمعنى جهنّم . وهي عَلَم لا ينصرف . وأمّا سَقَر ـ بفتحتين ـ كمصدر أو اسم مصدر أو وصف فغير موجودة في اللغة . أمّا سَقْر ـ بفتح السين وسكون القاف ـ فتعني وهج الشمس والنار الذي يحرق الوجوه والدماغ بحرارته .

٢ـ الآيات ٢٦ إلى ٢٩ ، من السورة ٧٤ : المدثّر (عدا الآية ٢٧ : «وما أدرٰك ما سقر») .

٣ـ هاتان الفقرتان منتزعتان من الآيتين ٣٢ و٣٣ ، من السورة ٧٧ : المرسلات .

٤ـ الآية ٢٩ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٥ـ الغُلّ : جامعة توضع في العنق واليد فتجمعهما .

لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا.[1]

والسابعة : **جهنّم** ، وفيها**الفَلَق** وهو جُبّ في جهنّم ، إذا فُتح أسعر النار سعراً ، وهو أشدّ النار . وأمّا صعود فجبلٌ من صفر من نار وسط جهنّم ؛ وأمّا أثاما فهو وادٍ من صفر مُذاب يجري حول الجبل ، فهو أشدّ النـار عـذاباً .[2]

يروي الصدوق في «الخصال» عن أحمد بن الحسن القطّان ، عن أحمد بـن يحيى بن زكريّا القطّان ، عن بكر بن عبد الله بن حبيب ، عـن مـحمّد بـن عبد الله ، عن عليّ بن الحكم ، عن أبان بن عثمان ، عن محمّد بن الفضيل الزرقيّ ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام ، قال :

للنار سبعة أبواب : باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون ؛ وبـاب يدخل منه المشركون والكفّار ممّن لم يؤمن بالله طرفة عين ؛ وباب يدخل منه بنو أُميّة هو لهم خاصّة ، لا يزاحمهم فيه أحد ، وهو بـاب لظـى ، وهـو باب سقر ، وهو باب الهاوية تهوي بهم سبعين خريفاً ، وكـلّما هـوى بـهم سبعين خريفاً ، فار بهم فورة قذف بهم في أعلاها سبعين خريفاً ، ثمّ تهوي بهم كذلك سبعين خريفاً ، فلا يزالون هكذا أبداً خالدين مـخلّدين ، وبـاب يدخل منه مُبغضونا ومحاربونا وخاذلونا ، وإنّـه لأعـظم الأبـواب وأشـدّها حرّاً .[3]

ويروي في «الخصال» أيضاً عـن مـحمّد بـن عـليّ مـاجيلويه ، عـن محمّد بن يحيى العطّار ، عن محمّد بـن أحـمد ، عـن الحسـين بـن مـوسى

١ـ الآية ٤ ، من السورة ٧٦ : الإنسان .

٢ـ «تفسير القمّيّ» ص ٣٥١ و٣٥٢ .

٣ـ «الخصال» ج ٢ ، ص ١٢ ، الطبعة الحجريّة ؛ وص ٣٦١ ، الطبعة الحروفيّة .

الخشّاب ، عن إسماعيل بن مهران وعليّ بن أسباط فيما أعلم ، عن بعض رجالهما ، قال : قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام :

إنَّ مِنَ العُلَمَاءِ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَخْزِنَ عِلْمَهَ وَلَا يُؤْخَذَ عَنْهُ ، فَذَاكَ فِي الدَّرْكِ الأَوَّلِ مِنَ النَّارِ.

وَمِنَ العُلَمَاءِ مَنْ إذَا وُعِظَ أَنِفَ ، وَإذَا وَعَظَ عَنُفَ ، فَذَاكَ فِي الدَّرْكِ الثَّانِي مِنَ النَّارِ.

وَمِنَ العُلَمَاءِ مَنْ يَرَى أَنْ يَضَعَ العِلْمَ عِنْدَ ذَوِي الثَّرْوَةِ وَالشَّرَفِ ، وَلَا يَرَى لَهُ فِي المَسَاكِينِ وَضْعاً ، فَذَاكَ فِي الدَّرْكِ الثَّالِثِ مِنَ النَّارِ.

وَمِنَ العُلَمَاءِ مَنْ يَذْهَبُ فِي عِلْمِهِ مَذْهَبَ الجَبَابِرَةِ وَالسَّلَاطِينِ ، فَإنْ رُدَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ قُصِّرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ غَضِبَ ؛ فَذَاكَ فِي الدَّرْكِ الرَّابِعِ مِنَ النَّارِ.

وَمِنَ العُلَمَاءِ مَنْ يَطْلُبُ أَحَادِيثَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى لِيُغْزِرَ بِهِ وَيُكَثِّرَ بِهِ حَدِيثَهُ ، فَذَاكَ فِي الدَّرْكِ الخَامِسِ مِنَ النَّارِ.

وَمِنَ العُلَمَاءِ مَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا وَيَقُولُ : سَلُونِي ، وَلَعَلَّهُ لَا يُصِيبُ حَرْفاً وَاحِداً ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ المُتَكَلِّفِينَ ، فَذَاكَ فِي الدَّرْكِ السَّادِسِ مِنَ النَّارِ.

وَمِنَ العُلَمَاءِ مَنْ يَتَّخِذُ عِلْمَهَ مُرُوءَةً وَعَقْلاً ، فَذَاكَ فِي الدَّرْكِ السَّابِعِ مِنَ النَّارِ.[1]

وكما ذكرنا سابقاً ، فإنّ جهنّم ناشئة من الاستكبار ، أي من عدم رؤية المرء للحقّ تعالى ، وعدّه نفسه في مرتبة تفوق درجتها وأصالتها ؛ وهو بلاء يُصيب العلماء والسلاطين والجبابرة ، وينبغي أن نستعيذ بالله منه .

١ـ «الخصال» ج ٢ ، ص ٧ و٨ ، الطبعة الحجريّة ؛ وص ٣٥٢ و٣٥٣ ، الطبعة الحروفيّة .

وقد وردت في القرآن الكريم آية ينبغي حقّاً أن تقصم ظهور علماء السوء ممّن يرغبون في الشهرة وكسب الجاه والسمعة بين عامّة الناس، وأن تنبّههم من غفلتهم؛ وهي قوله تعالى: **لَا تَحْسَبَنَّ** (والخطاب للنبيّ) **ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.**[1]

ولو قُدّر لإمام العصر أن يظهر ويُقيم ألف دليل وبيّنة على ولايته، لما أقرّ له علماء السوء بسبب غرورهم وتكبّرهم وتعاليهم، فتلك أُمور اجتهدوا في كسبها السنين الطوال حتّى صارت لهم مَلَكة؛ ولحاولوا الردّ على الإمام بألف عذر وحجّة وإشكال؛ ولجهدوا في أن يعرضوا عليه علومهم الواهية وأفكارهم البالية في رداء من الأصالة، وهيهات هيهات!

فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ.[2]

١ـ الآية ١٨٨، من السورة ٣: آل عمران.

٢ـ الآية ٨٣، من السورة ٤٠: المؤمن.

المجلس الثالث والسبعون

في خصائص جهنم وآثارها



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَقَالُوا (والقول لليهود) لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ.[1]

تبيّن هذه الآيات أنّ جهنّم لا تُصرف عمّن يستحقّها بالرشوة والفدية وعلاقات الصداقة والواسطة والتأريخ الحافل الاعتباريّ الخياليّ ، وأنّها لا تدور وفق محور الأوهام والأفكار الشخصيّة ، التي يجعلها كلّ شخص وكلّ طائفة ميزانهم . كما تبيّن أنّ الجنّة هي مثوى من اعتقد بالله اعتقاداً صادقاً راسخاً ، ومن كانت علاقته به عزّ وجلّ علاقة حقيقيّة ، ومن اجتنب الذنوب والاعتداء على حقوق الآخرين ، أمّا ما سواه فالنار مثواه .

إنّ توهّم الشرف والمركز الاجتماعيّ والوجاهة لا ينفع المرء شيئاً ، ولا يُبعد عنه نار غضب الله يوم القيامة ؛ لأنّ الأحكام الإلهيّة لم توضع

١ـ الآيتان ٨٠ و٨١ ، من السورة ٢ : البقرة .

عبثاً ، ولأنّ جهنّم ليست عبثاً ،كما أنّ دخولها والخروج منها لايعتمدان على ميزان الأُمور الاعتباريّة والخياليّة ؛ وهي حقّ ، لأنّها موضوعة من قِبل الحقّ تعالى ، وإنّ موضع الرجس والدنس واكتساب السيّئات هو في جهنّم ، مثله مثل أوساخ البيت وقمامته التي تُركم في وعاء خاصّ ، ثمّ تُحمل إلى المزبلة .

أفشاهد امرؤ أنّ أحداً قد وضع وعاء القمامة في غرفة الاستقبال بدل مزهريّة الورود ، وجعله بين أنظار الناس ، وترك روائحه الكريهة تزكم أنُوفهم ؟كلّا ثمّ كلّا .

لقد كان اليهود يقولون : إنّنا لن ندخل النار ، لأنّنا ننحدر من سلالة إسرائيل ـ أي يعقوب النبيّ ـ وإنّ الدنيا لنا ،كما أنّ الآخرة لنا ، وإن الله تعالى لن يعذّبنا إلّا أيّاماً معدودة تقابل الأيام الأربعين التي ذهب فيها موسى عليه السلام إلى طور سيناء لمناجاة ربّه ، فعصى بنو إسرائيل أمر أخيه هارون وعبدوا العجل ؛ ثمّ إنّنا سنخلّد في الجنّة ونتنعّم بلذائذها .

لكنّ هذه الآيات تبيّن خطأ هذه الأقوال واختلاقها ، وأنّها لا تعدل في ميزان الحقّ شروى نقير ، وأنّ مَن كان مطهّراً لم تحط به سيّئاته سيدخل الجنّة ، أمّا من تلخّص عمره في السوء والفسوق والفجور والعصيان وأنواع الاعتداء على الحقوق ، وفي انتهاج سيرة الاستكبار والاستعلاء والعُجب والغرور ، فسيذهب إلى النار ليخلّد فيها بلا شكّ ، لا فرق في ذلك أيّاً كان ، ومِن أيّ عنصر أو مذهب أو محيط قد انحدر !

ولقد خاطبهم القرآن متسائلاً في مقام المؤاخذة : أيّها المعتدون من ذوي الفكر القاصر ! هل اتّخذتم عندالله عهداً أن لا يسوقكم إلى جهنّم ، ليكون الله مُلزماً بالوفاء بما عهد ؟! أم أنّكم قد كذبتم على الله تعالى ، ولفّقتم من عند أنفسكم ما جعلتموه قانوناً تلتزمون به .

أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ !

أيّ انحراف سوّل لكم محاولة إخضاع الله سبحانه لرغباتكم وأهوائكم ؟ كلّا ، بل سيعاقبكم الله عزّ وجلّ ويعاقب أمثالكم بلا استثناء ، فيخلّدكم جميعاً في جهنّم المتقدة المتأجّجة المحرقة جزاءً على هذه الجرائم .

وعلى هذا الأساس ، فقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة جاء فيها عدم جدوى الفدية والرشوة يوم القيامة ، وأنّ المذنب لن يفتدي يومئذٍ نفسه أو عمله بشيء فيُقبل منه ، وأنّ الشفاعة لن تنفع يومذاك شيئاً .

والمقصود بالشفاعة الواسطة التي لا تقوم على أساس أو معيار ؛ وقد شاهدنا في بحث الشفاعة أنّ الشفاعة الحقيقيّة القائمة على أساس علاقة الإيمان بالله وبأوليائه هي التي تنفع يوم القيامة ، وأنّها تعدّ من أهمّ وسائل النجاة وسبله .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ .[1]

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .[2]

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَآ أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ * وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .[3]

١ـ الآية ٩١ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٢ـ الآيتان ٣٦ و٣٧ ، من السورة ٥ : المائدة .

٣ـ الآيتان ٢٠ و٢١ ، من السورة ٣٢ : التنزيل .

ومنشأ جهنّم ومبدؤها هو الإعراض عن الله وعن ذِكر الله تعالى ، والانغمار في عالم الكثرة والدنيا الفانية ، وإهمال الأُمور الباقية وعالم الآخرة وعالم الوحدة وأصالة الحقّ والحقيقة .

إنّ لقاء الله المتعال هو الجهة الوحيدة التي تجذب قلب الإنسان صوب نشأة المعنى والمعرفة ؛ ولذلك فقد عدّت الآيات القرآنيّة الخلود في نار جهنّم أمراً حتميّاً للأفراد الذين ينحصر همّهم في الدنيا ومأكلها ومشربها وإطفاء الشهوات فيها ، فهي تقول مرّة :

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُولَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ .[1]

وتقول أُخرى : إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ * أُولَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ .[2]

وتقول : مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ .[3]

وتقول : أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ .[4]

١ـ الآية ١٧٩ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢ـ الآيتان ٧ و٨ ، من السورة ١٠ : يونس .

٣ـ الآيتان ١٥ و١٦ ، من السورة ١١ : هود .

٤ـ الآية ٨٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

وتقول : أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ.[١]

وتقول : وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ (العزيز القادر المتعال المحيي العليم السميع البصير) إِلَـٰهًا ءَاخَرَ (كبيراً كان أو صغيراً ؛ جاهاً كان أو ثروة ؛ صديقاً حميماً كان أو زوجة أو ولداً) فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا .[٢]

وما دامت النفس الإنسانيّة الأمّارة باقية لم تتبدّل بعد إلى النفس اللوّامة أو النفس المطمئنّة وغيرها ، فإنّ جهنّم ستكون باقية ، لأنّها ظهور وبروز لحقيقة النفس في مراحل الحجاب والبعد .

إنّ النفس الأمّارة لا تنفكّ تأمر الإنسان بالفحشاء والمنكر ؛ وما إن يحاول الإطمئنان قليلاً حتّى تعود إلى أمره من جديد . وقد تفتر وتضعف تارةً ، لتشتدّ بعد ذلك غير نازعة عن القبح والمنكر . فهي لا تلبث ممسكة بتلابيب صاحبها لا تفارقه ، كلّما أراد إخمادها اشتعل أوارها واتّقد من جديد .

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا.[٣]

وَٱسْتَفْتَحُوا (والضمير عائد إلى الأنبياء والمرسلين الذين كانت أُممهم تهزأ بهم وتكذّبهم وتهدّدهم بإخراجهم من ديارهم) وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ

١ـ الآية ١٠٩ ، من السورة ٩ : التوبة .

٢ـ الآية ٣٩ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٣ـ الآية ٩٧ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ.[١]

إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ.[٢]

وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا.[٣]

وهذه الآيات وما جاء على سياقها من الآيات الأُخرى تدلّ بأجمعها على أنّ النفس الإنسانيّة الناطقة باقية على الدوام. وأنّ النفس تذوق أنواع العذاب طوراً بعد طور، وحالاً بعد حال، كماكانت وهي حيّة في عالم الدنيا بحالات المعصية المختلفة التي كانت تعتريها الواحدة تلو الأُخرى.

وممّا يثير العجب هو أنّ الآية المباركة التالية التي وردت في موضعين من القرآن الكريم: **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَـٰفِرِينَ**؛[٤] تدلّ على أنّ جهنّم موجودة ومخلوقة فعلاً، لا أنّها ستخلق فيما بعد؛ لأنّ «محيطة» اسم فاعل، والعارفون بالعربيّة وآدابها يصرّحون بأجمعهم بأنّ المشتقّ حقيقة في **مَن تَلَبَّسَ بِالمَبْدَأ**؛ فيكون حاصل المعنى أنّ جهنّم محيطة بالكافرين فعلاً، لا أنّها ستخلق يوم القيامة فتحيط بهم. وإلّا لوجب أن يقال: **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَتُحِيطُ بِالكَافِرِينَ**.

وكما قلنا سابقاً، فإنّ جميع العوالم موجودة بالفعل وجوداً طوليّاً

١ـ الآيات ١٥ إلى ١٧، من السورة ١٤: إبراهيم.

٢ـ الآية ٧٤، من السورة ٢٠: طه.

٣ـ الآيتان ٥٥ و٥٦، من السورة ٤: النساء.

٤ـ الآية ٤٩، من السورة ٩: التوبة؛ والآية ٥٤، من السورة ٢٩: العنكبوت.

لا عرضيّاً ؛ أي أنّ تلك العوالم متداخلة وليست متعاقبة كتعاقب حبّات المسبحة .

ومن هنا ، فإنّ هذه الدنيا بكلّ ما فيها من أفعال قبيحة ، ونوايا فاسدة وآراء كاسدة ، وتوغّل في الكثرات ، وانصراف عن الحضرة الأحديّة والذات الأحديّة إنّما تمثّل جهنّماً . كلّ ما هنالك أنّ حقيقتها وحقيقة نارها وسعيرها وشهيقها وزفيرها لا تُرى إلّا برحيل الإنسان عن الدنيا ، أو بإزاحة الستار عن أعينه الحولاء ، لتصبح مقولة : **فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ** جليّة أمامه وجداناً وشهوداً .

ومن بين الآيات الدالّة صراحة على أنّ نار جهنّم موجودة فعلاً ، الآية ٢٥ ، من السورة ٧١ : نوح : **مِمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا** ؛ حيث تقول الآية بأنّ قوم نوح أُغرقوا فأُدخلوا في النار على الفور . ومعلوم أنّ النار ينبغي أن تكون موجودة فعلاً ليدخلها قوم نوح .

ولا أزال أعجب ممّن ينكر تجسيم الأعمال كيف يقول من جهة بوجود جهنّم فعلاً ، ويقول ـ من جهة أُخرى ـ بأنّ جهنّم هذه موجودة على الأرض ؟ لأنّنا لو قلنا بتجسيم الأعمال يوم القيامة ، لاتّضح أنّ تلك النار هي حقيقة نفس هذه الأعمال . وبناء على ذلك فإنّ جهنّم ستكون موجودة في الوقت الحاضر ، لكنّها لا تُرى بالعين المجرّدة ، لأنّها ملكوت الأعمال .

أمّا لو أنكرنا هذا الأمر ، وقلنا بأنّ النار هي غير حقيقة تجسيم الأعمال فأنّى سيمكننا القول بأنّها موجودة فعلاً ، وبأنّ موضعها على هذه الأرض ؟ إذ سيكون كلامنا آنذاك لغزاً بلا حلّ ، وسيكون أشبه بقول القائل بأنّ أنياب الأغوال هي مادّيّة وموجودة فعلاً ، إلّا أنّنا لا نراها !

أمّا في شأن وجود جهنّم على هذه البسيطة ، فقد ورد ذلك في عدّة

روايات :

منها : ما يرويه الصدوق في «الخصال» عن ابن موسى ، عن ابن زكريّا القطّان ، عن ابن حبيب ، عن عبد الرحيم الجبلّيّ الصيدنانيّ ، وعبد الله بن الصلت ، عن الحسن بن نصر الخزّاز ، عن عمرو بن طلحة ، عن أسباط بن نصر ، عن سِماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس ، قال (في حديث طويل جاء فيه أنّ يهوديينِ قدما إلى المدينة فسألا من أمير المؤمنين عليه السلام ، فقالا :) أين تكون الجنّة ، وأين تكون النار ؟ قال : أمّا الجنّة ففي السماء ، وأمّا النار ففي الأرض ـ الخبر .[1]

ومنها : ما جاء في «تفسير عليّ بن إبراهيم» أنّ الدليل على كون جهنّم في هذه الأرض قوله تعالى في سورة مريم :

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَ لَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا * فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا[2] ـ الحديث .[3]

وما جاء في «تفسير عليّ بن إبراهيم» في تفسير آية : **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا** ؛ قال : فقيل لأبي عبد الله (الصادق) عليه السلام : كيف تبدّل جلوداً غيرها ؟ قال : أرأيتَ لو أخذتَ لبنة فكسرتها وصيّرتها تراباً ، ثمّ ضربتَها في القالب ، أهي التي كانت . إنّما هي كذلك ، وحدث تفسيراً آخر والأصل

١ـ «الخصال» للشيخ الصدوق ، ج ٢ ، ص ١٤٧ ، الطبعة الحجريّة ؛ و«بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٢٨ .

٢ـ الآيات ٦٥ إلى ٦٧ ، من السورة ١٩ : مريم .

٣ـ «تفسير القمّيّ» ص ٢١٦ ، الطبعة الحجريّة .

واحد.[١]

كما جاء في نفس التفسير السالف الذكر، في تفسير آية: **مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ**، قال: مقيّدين بعضهم إلى بعض.

وفي قوله تعالى: **سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ**، قال: السرابيل القميص. وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام في قوله: **سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ**: وهو الصفر الحارّ الذائب. يقول: انتهى حرّه. يقول الله: **وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ**: سُربلوا ذلك الصفر فتغشى وجوههم النار.[٢]

وجاء في التفسير المذكور في قوله تعالى: **مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ**، قال: ماء يخرج من فروج الزوانيّ.

وقوله: **يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ**، قال: يقرّب إليه فيكرهه، وإذا أُدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شرب تقطّعت أمعاؤه ومزّقت إلى تحت قدميه. وإنّه ليخرج من أحدهم مثل الوادي صديداً وقيحاً.

ثمّ قال: وإنّهم ليبكون حتّى تسيل من دموعهم فوق وجوههم جداول، ثمّ تنقطع الدموع فتسيل الدماء، حتّى لو أنّ السفن أُجريت فيها لجرت، وهو قوله: **وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ**.[٣]

وجاء في التفسير المذكور في قوله تعالى: **فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ**

١ـ «تفسير القمّيّ» ص ١٢٩.

٢ـ «تفسير القمّيّ» ص ٣٤٨.

٣ـ الآية ١٥، من السورة ٤٧: محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم. وانظر: «تفسير القميّ» ص ٣٤٤ و٣٤٥.

وَٱلْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ.[١] قال: فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يعني بني أُميّة: قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ـ إلى قوله ـ حَدِيدٍ، قال: تغشاه النار فتسترخي شفته السفلى حتّى تبلغ سرّته، وتنقلص شفته العليا حتّى تبلغ وسط رأسه. وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِن حَدِيدٍ، قال: الأعمدة التي يُضربون بها ضرباً بتلك الأعمدة.[٢]

وفي التفسير المذكور في قوله تعالى: وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنهَآ (مِنْ غَمٍّ) أُعِيدُوا فِيهَا، قال: إنّ جهنّم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أسفلها زفرت بهم جهنّم، فإذا بلغوا أعلاها قُمعوا بمقامع الحديد، فهذه حالهم.[٣]

وفي التفسير المذكور، في قوله تعالى: يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ،[٤] قال: هو الاستفهام، لأنّ الله وعد النار أن يملأها، فتمتلئ النار فيقول لها هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟ على حدّ الاستفهام، أي لَيْسَ فِيَّ مَزِيد. قال: فتقول الجنّة: يا ربّ وعدتَ النار أن تملأها ووعدتني أن تملأني، فلِمَ لا تملأني وقد ملأتَ النار؟ قال: فيخلق الله خلقاً يومئذٍ يملأ بهم الجنّة. قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام: طوبى لهم إنّهم لم يروا غموم الدنيا وهمومها.[٥]

وجاء في التفسير المذكور، في قوله تعالى: تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً *

١ـ الآيات ١٩ إلى ٢٢، من السورة ٢٢: الحجّ.

٢ـ «تفسير القمّيّ» ص ٤٣٧.

٣ـ «تفسير القمّيّ» ص ٥١٣.

٤ـ الآية ٣٠، من السورة ٥٠: ق.

٥ـ «تفسير القمّيّ» ص ٦٤٥ و٦٤٦.

تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ، قال : **تَصْلَى** : وجوههم . **نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِن عَيْنٍ ءَانِيَةٍ** ،قال : لها أنين من شدّة حرّها . **لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ** ، قال : عرق أهل النار وما يخرج من فروج الزواني .[1]

وفي التفسير المذكور ، في قوله تعالى : **وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ** ،[2] قال : حدّثنا سعيد بن محمّد ، قال : حدّثنا بكر بن سهل ، عن عبد الغنيّ بن سعيد ، عن موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جُرَيح ، عن عطاء ، عن ابن عبّاس في قوله : **وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ** : يريد أُوقدت للكافرين . والجحيم النار الأعلى من جهنّم . والجحيم في كلام العرب ما عَظُم من النار ،كقوله تعالى : **ٱبْنُوا لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ** ،[3] يريد النار العظيمة .[4]

وروى في نفس التفسير عن أبيه ، عن ابن أبي عُمير ، عن ابن بكير ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، قال :

إنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِياً لِلْمُتَكَبِّرِينَ يُقَالُ لَهُ «سَقَرُ» شَكَا إِلَى اللّهِ شِدَّةِ حَرِّهِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَتَنَفَّسَ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَتَنَفَّسَ فَأَحْرَقَ جَهَنَّمَ .[5]

وروى الكلينيّ هذه الرواية بهذا السند في كتابه «الكافي» ،[6] ورواها الصدوق في «عقاب الأعمال» عن محمّد بن الحسن ، عن محمّد بن الحسن الصفّار ، عن يعقوب بن يزيد ، عن محمّد بن أبي عُمير ، عن ابن بُكير ، عن

١ـ «تفسير القمّيّ» ص ٧٢٢ .
٢ـ الآية ١٢ ، من السورة ٨١ : التكوير .
٣ـ الآية ٩٧ ، من السورة ٣٧ : الصافّات .
٤ـ «تفسير القمّيّ» ص ٧١٣ و٧١٤ .
٥ـ «تفسير القمّيّ» ص ٥٧٩ .
٦ـ «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٣١٠ .

أبي عبد الله الصادق عليه السلام .[1]

وروى القمّيّ في تفسيره عن أبيه ، عن ابن أبي عُمير ، عن منصور بن يونس ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، قال : إنّ في النار لناراً يتعوّذ منها أهل النار ، ما خُلقت إلّا لكلّ متكبّر جبّار عنيد ، ولكلّ شيطان مريد ، ولكلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب ، ولكلّ مَن ناصب العداء لآل محمّد . وقال : إنّ أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجلٌ في ضحضاح من نار ، عليه نعلان من نار وشراكان من نار يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل ، ما يرى أنّ في النار أحداً أشدّ عذاباً منه ، وما في النار أحد أهون عذاباً منه .[2]

بكلّ تأكيد إنّ عذاب جهنّم الشديد الأليم ليختصّ بالمعتدين الذين يغتصبون حقوق الضعفاء ، وبالمتجبّرين والمتكبّرين والمستكبرين الذين يعيثون في الدنيا فساداً ويُشيعون فيها الفتنة ، ويسفكون الدماء ، ويقتلون الأبرياء الضعفاء فتسيل دماؤهم في الصحارى والوديان . ولو أُطيل في عمر هؤلاء الظلمة أضعافاً مضاعفة ، لما نكصوا عن نهجهم وسيرتهم .

وقد شوهد أنّ كثرة اعتداءات السلاطين الجائرين والحكّام المتجبّرين والعلماء الخونة ونظائرهم بما تفوق العدّ والحصر ، وهم لا يتورّعون عن ارتكاب أيّ ظلم وجور وتكبّر وغصب للحقوق .

ولذلك ، فلو شاهدنا ـ كما ورد في الرواية فعلاً ـ أنّ الدموع تسيل فوق وجوه أصحاب النار جداولاً ، ثمّ تنقطع الدموع فتسيل الدماء ؛ أو أنّ الصديد يخرج من المعتدين مثل الوادي من شدّة الحزن ، لما كان ذلك

---

١ ـ «عقاب الأعمال» ص ١٤ ، الطبعة الحجريّة .

٢ ـ «تفسير القمّيّ» ص ٥٨٥ .

مدعاةً للعجب ، لأنّ ذلك ممّا كسبت أيديهم ، **وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** .

وتجسّد جهنّم ظهور هذه النوايا والاعتداءات الدنيوية وبروزها وتجلّيها مثلاً بمثل ؛ ولو قُدّر لتلك النوايا الفاسدة والأعمال القبيحة والعقائد الباطلة أن تُنشر في هذا العالم ، فتظهر في صورها الملكوتيّة ، لكانت نفس جهنّم المتّقدة المسجّرة ونفس الوديان الجهنميّة الطافحة بالصديد والضريع .

روى الصدوق في «عقاب الأعمال» عن ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن محمّد بن الحسين ، عن محمّد بن عبد الله بن هلال ، عن عقبة بن خالد ، عن مَيْسَر ، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام ، قال :

إنَّ فِي جَهَنَّمَ لَجَبَلاً يُقَالُ لَهُ : الصَّعْدَى ؛ وَإنَّ فِي الصَّعْدَى لَوَادِياً يُقَالُ لَهُ سَقَرُ ؛ وَإنَّ فِي سَقَرَ لَجُبّاً يُقَالُ لَهُ هَبْهَبُ ؛ كُلَّمَا كُشِفَ غِطَاءُ ذَلِكَ الجُبِّ ، ضَجَّ أَهْلُ النَّارِ مِنْ حَرِّهِ ؛ وَذَلِكَ مَنَازِلُ الجَبَّارِينَ .[1]

وجاء في «تفسير عليّ بن إبراهيم» في تفسير قوله تعالى : **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ** ، قال : الفلق جُبّ في جهنّم يتعوّذ أهل النار من شدّة حرّه ، فسأل الله أن يأذن له أن يتنفّس ، فأذن له فتنفّس فأحرق جهنّم . قال : وفي ذلك الجبّ صندوق من نار يتعوّذ أهل الجبّ من حرّ ذلك الصندوق ، وهو التابوت . وفي ذلك التابوت ستّة من الأوّلين وستّة من الآخرين ؛ فأمّا الستّة التي من الأوّلين ، فابن آدم الذي قتل أخاه ، ونمرود إبراهيم الذي ألقى إبراهيم في النار ، وفرعون موسى ، والسامريّ الذي اتّخذ العجل ، والذي

١ـ «عقاب الأعمال» ص ٤٣ ، الطبعة الحجريّة ؛ و«بحار الأنوار» ج ٣ ، ص ٣٧٧ ، طبعة الكمبانيّ ، وفي الطبعة الحروفيّة : ج ٨ ، ص ٢٩٧ ؛ لكنّ في «عقاب الأعمال» ص ٤٣ ، الطبعة الحجريّة ، روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام .

هوّد اليهود ، والذي نصّر النصارى ؛ وأمّا الستّة التي من الآخرين فهو الأوّل والثاني والثالث والرابع وصاحب الخوارج وابن ملجم لعنهم الله . **وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** : قال : الذي يُلقى في الجبّ فيه يقب (يغيب فيه ظ) .[1]

أجل ، حين ينشغل قلب الإنسان بغير الله عزّ وجلّ ، فإنّ الخواطر الشيطانيّة سوف لن تبرح تهاجم فكره ، وسيهاجمه الهمّ المستمرّ بشكلٍ أو بآخر . وكلّما زاد الإنسان عن الله تعالى بُعداً ، اشتدت تلك الأفكار ، وظهرت يوم القيامة في شرر شديد التطاير .

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ أَصْبَحَ وَأَكْبَرُ هَمِّهِ الدُّنْيَا ، أَلْزَمَ اللَهُ قَلْبَهُ شُغْلاً لَا فَرَاغَ لَهُ مِنْهُ أَبَداً ، وَهَمّاً لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ أَبَداً ، وَأَمَلاً لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ أَبَداً ، وَفَقْراً لَا يَنَالُ غِنَاهُ أَبَداً ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ اللَهِ فِي شَيْءٍ.[2]

واعلم أنّ كلمة الزقّوم قد وردت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

أولها : الآيات ٦٢ إلى ٦٨ ، من السورة ٣٧ : الصافّات : **أَذَٰلِكَ** (المقام الذي وعده الله أصحاب الجنّة من المخلصين) **خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ * طَلْعُهَا** (في قُبحه وخُبثه) **كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ**.

والثاني : الآيات ٤٣ إلى ٤٩ ، من السورة ٤٤ : الدخان :

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ * كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ *

١ـ «تفسير عليّ بن إبراهيم» ص ٧٤٣ و ٧٤٤ .

٢ـ «أسرار الصلاة» للمرحوم آية الله الحاجّ الميرزا جواد آقا الملكيّ التبريزيّ ، ص ١٩١ ، الطبعة الحروفيّة ، سنة ١٣٨٠ هـ .

كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ (ثمّ يأتي الخطاب الغاضب من الله تعالى للملائكة أن) خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ (ثمّ يُقال له سخريّةً واستهزاءً) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ.

والثالث: الآيات ٤١ إلى ٥٧ من السورة ٥٦: الواقعة:

وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ * فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ * لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ * فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ * فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ * هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ * نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ.

والخلاصة، فإنّ شجرة الزّقوم ـ كما في الرواية الواردة في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام ـ تقابل شجرة طوبى؛ فشجرة طوبى تجسّد الطهر والطهارة والغضارة والقداسة والخير والبركة والرحمة، أمّا منشؤها وأصلها فهو الولاية، كما مرّ.

أمّا شجرة الزقّوم فتجسّد القذارة والرجس والنجاسة والذلّة والنكبة والمشقّة وانعدام الرحمة؛ فيكون أصلها ـ تبعاً لذلك ـ هو البُعد عن الولاية والسعادة، وهي في النتيجة شجرة الشقاء والخسران.

وستخترق فروع شجرة الزقّوم قلب كلّ امرئ بمقدار ما يحتوي من شكّ وشرك ورجس باطنيّ، وبمقدار ما ينطوي عليه من خيانة وجريمة واعتداء وظلم واستكبار. وستمتد جذور هذه الشجرة في سويداء القلب بذلك القدر المذكور.

جاء في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام ضمن حديث طويل عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال فيه :

والذي بعثني بالحقّ نبيّاً ، وإنّ مَن تعاطى باباً من الشرّ والعصيان في هذا اليوم (الأوّل من شعبان) فقد تعلّق بغصنٍ من أغصان الزقّوم فهو مؤدّيه إلى النار .

ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : والذي بعثني بالحق نبيّاً ، فمن قصّر في صلاته المفروضة وضيّعها ، فقد تعلّق بغصنٍ منه . ومن جاءه في هذا اليوم فقير ضعيف يشكو إليه سوء حاله ، وهو يقدر على تغيير حاله من غير ضرر يلحقه وليس هناك من ينوب عنه ويقوم مقامه ، فتركه يضيع ويعطب ولم يأخذ بيده ، فقد تعلّق بغصنٍ منه .

ومَن اعتذر إليه مسيء فلم يعذره ، ثمّ لم يقتصر به على قدر عقوبة إساءته ، بل أربى عليه ، فقد تعلّق بغصنٍ منه .

ومَن أفسد بين المرء وزوجه ، أو الوالد وولده ، أو الأخ وأخيه ، أو القريب وقريبه ، أو بين جارينِ أو خليطين أو أجنبيّينِ ، فقد تعلّق بغصنٍ منه .

ومن شدّد على معسر وهو يعلم إعساره فزاد غيظاً وبلاء ، فقد تعلّق بغصنٍ منه . ومن كان عليه دَين فكسره على صاحبه وتعدّى عليه حتّى أبطل دَينه ، فقد تعلّق بغصنٍ منه .

ومن جفى يتيماً وآذاه وتهضّم ماله ، فقد تعلّق بغصنٍ منه . ومن وقع في عِرض أخيه المؤمن وحَمَلَ الناس على ذلك ، فقد تعلّق بغصنٍ منه . ومن تغنّى بغناء حرام يبعث فيه على المعاصي ، فقد تعلّق بغصن منه . ومن قعد يعدّد قبائح أفعاله في الحروب وأنواعَ ظُلمه لعباد الله فافتخر بها ، فقد تعلّق بغصنٍ منه .

ومن كان جاره مريضاً فترك عيادته استخفافاً بحقه ، فقد تعلّق بغصنٍ منه . ومن مات جاره فترك تشييع جنازته تهاوناً به ، فقد تعلّق بغصن منه . ومن أعرض عن مصاب وجفاه إزراءً عليه واستصغاراً له ، فقد تعلّق بغصن منه . ومن عقّ والديه أو أحدهما ، فقد تعلّق بغصن منه . ومن كان قبل ذلك عاقّاً لهما فلم يُرضِهما في هذا اليوم وهو يقدر على ذلك ، فقد تعلّق بغصنٍ منه . وكذا مَن فَعَلَ شيئاً من سائر أبواب الشرّ ، فقد تعلّق بغصنٍ منه .

والذي بعثني بالحقّ نبيّاً ، إنّ المتعلّقين بأغصان شجرة الزقّوم تخفضهم تلك الأغصان إلى الجحيم .[1]

ويستنتج ممّا سبق أنّ جهنّم هي محلّ صدور القبائح وورودها ، وأنّ كلّ امرئ ينطوي على تلك القبائح بأيّ قدر أو صورة كانت ، سواء في العقائد أم الملكات والأخلاق والصفات ، أم في الأعمال والسلوك ، وحتّى في النوايا والرغبات الباطنيّة المجرّدة ، فإنّه إذا اقترن بذلك القبح والشرك والعناد والانحراف عن الحقّ ، ولم يتطهّر منها في المنازل التي تسبق القيامة ، من مصائب الدنيا ، وسكرات الموت ، وعذاب القبر ، وأهوال يوم القيامة ، أو من خلال التوبة والشفاعة وغيرها ؛ فإنّه سيقترن بالنار ويكون توأماً لها .

ولذلك فقد مَثّل كلّ باب من أبواب جهنّم نوعاً من أنواع الانحراف والاعتداء في أحد هذه المراحل .

يروي المجلسيّ رضوان الله عليه عن كتاب «فضائل ابن شاذان» وعن كتاب «الروضة» بإسناده مرفوعاً عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ضمن حديث المعراج ، قال :

١ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٦٧ و ١٦٨ ، عن «تفسير الإمام العسكريّ» .

... وَرَأَيْتُ عَلَى أَبْوَابِ النَّارِ مَكْتُوباً عَلَى البَابِ الأَوَّلِ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ: مَنْ رَجَا اللهَ سَعِدَ. وَمَنْ خَافَ اللهَ أَمِنَ. وَالهَالِكُ المَغْرُورُ مَنْ رَجَا غَيْرَ اللهِ، وَخَافَ سِوَاهُ.

وَعَلَى البَابِ الثَّانِي: مَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يَكُونَ عُرْيَاناً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلْيَكْسِ الجُلُودَ العَارِيَةَ فِي الدُّنْيَا. مَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يَكُونَ عَطْشَاناً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلْيَسْقِ العِطَاشَ فِي الدُّنْيَا. مَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يَكُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جَائِعاً، فَلْيُطْعِمِ البُطُونَ الجَائِعَةَ فِي الدُّنْيَا.

وَعَلَى البَابِ الثَّالِثِ مَكْتُوبٌ: لَعَنَ اللهُ الكَاذِبِينَ؛ لَعَنَ اللهُ البَاخِلِينَ؛ لَعَنَ اللهُ الظَّالِمِينَ.

وَعَلَى البَابِ الرَّابِعِ مَكْتُوبٌ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ: أَذَلَّ اللهُ مَنْ أَهَانَ الإِسْلَامَ؛ أَذَلَّ اللهُ مَنْ أَهَانَ أَهْلَ البَيْتِ؛ أَذَلَّ اللهُ مَنْ أَعَانَ الظَّالِمِينَ فِي ظُلْمِهِمْ لِلْمَخْلُوقِينَ.

وَعَلَى البَابِ الخَامِسِ مَكْتُوبٌ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ: لَا تَتَّبِعُوا الهَوَى، فَالهَوَى يُخَالِفُ الإِيمَانَ؛ وَلَا تُكْثِرْ مَنْطِقَكَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، فَتَسْقُطَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ؛ وَلَا تَكُنْ عَوْناً لِلظَّالِمِينَ.

وَعَلَى البَابِ السَّادِسِ مَكْتُوبٌ: أَنَا حَرَامٌ عَلَى المُجْتَهِدِينَ؛ أَنَا حَرَامٌ عَلَى المُتَصَدِّقِينَ؛ أَنَا حَرَامٌ عَلَى الصَّائِمِينَ.

وَعَلَى البَابِ السَّابِعِ مَكْتُوبٌ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا؛ وَوَبِّخُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوَبَّخُوا؛ وَادْعُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ تَرِدُوا عَلَيْهِ وَلَا تَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ.[1]

وننهي هذا البحث الشريف برواية عن عذاب قَتَلة الحسين عليه

١ـ «بحار الأنوار» ج ٨، ص ١٤٥ و١٤٦، الطبعة الحروفيّة.

السلام وأبنائهم من بني أُميّة لعنهم الله جميعاً ، فقد روى فرات بن إبراهيم في تفسيره عن ابن عبّاس ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذات يوم على فاطمة وهي حزينة ثمّ ينقل كلاماً مفصّلاً عن رسول الله في أحوال القيامة ، حتّى يصل إلى قوله : **فَتَقُولِينَ : يَارَبِّ ! أَرِنِي الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ ، فَيَأْتِيَانِكِ وَأَوْدَاجُ الحُسَيْنِ تَشْخَبُ دَماً ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا رَبِّ ! خُذْ لِيَ اليَوْمَ حَقِّي مِمَّنْ ظَلَمَنِي !**

فيغضب عند ذلك الجليل ، ويغضب لغضبه جهنّم والملائكة أجمعون ، فتزفر جهنّم عند ذلك زفرة ، ثمّ يخرج فوج من النار ويلتقط قتلة الحسين وأبناءهم وأبناء أبنائهم ، ويقولون : يا ربّ ! إنّا لم نحضر الحسين . فيقول الله لزبانية جهنّم : خذوهم بسيماهم بزرقة الأعين وسواد الوجوه ، خذوا بنواصيهم فألقوهم في الدرك الأسفل من النار ، فإنّهم كانوا أشدّ على أولياء الحسين من آبائهم الذين حاربوا الحسين فقتلوه ، فتسمعين أشهقتهم في جهنّم ـ الحديث .[1]

١ ـ «تفسير فرات» ص ١٧١ و ١٧٢ ؛ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٧٢ ، الطبعة الحروفيّة .



المجلس الرابع والسبعون

حقيقة جهنم حجاب البعد عن رحمة الله



بِسْمِ اللَهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

كَلَّا (ليس هذا القرآن من أساطير الأوّلين) **بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** (فأضحت قلوبهم ظلمانيّة ، وصاروا لا يفقهون آيات الله عزّ وجلّ) **كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** (فقد حاكوا حولهم شرنقة من حجاب الجهل والغفلة) **ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ**[1] * **ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ**.[2]

قال أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة» : **فَبَادِرُوا المَعَادَ** (فهو معادكم إلى ربّ العالمين وخالقهم) **وَسَابِقُوا الآجَالَ ! فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ الأَجَلُ ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ . فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** (أي أنكم

١ـ لَصَالُوا ٱلْجَحِيم مضاف ومضاف إليه ؛ وصَالُوا في الأصل صَالُونَ ، وهي اسم فاعل جمع ، من صَلِيَ يَصْلَى ، صَلىً وصِلىً وصُلِيّاً وصِلِيّاً النَّارَ وَبِهَا : قَاسَى حَرَّهَا وَاحْتَرَقَ بِهَا . وصَالُونَ في الأصل صاليون ، ثمّ سقطت الياء في الإعلال . أمّا في باب : صَلَى يَصلِي صَلْياً اللَّحْمَ : شَوَاهُ فَاللَّحْمُ مَصْلِيٌّ . وفُلَاناً النَّارَ وَفِيهَا وَعَلَيْهَا : أَدْخَلَهُ إيَّاهَا وَأَثْوَاهُ فِيهَا .

٢ـ الآيات ١٤ إلى ١٧ ، من السورة ٨٣ : المطفّفون .

تمتلكون ما سأله الموتى) وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ! وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالارْتِحَالِ ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا.

أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَالعَثْرَةِ تُدْمِيهِ ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ ؟ فَكَيْفَ إذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ[1] مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينَ شَيْطَانٍ ؟ أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ ـ الخطبة .[2]

والخلاصة ، فإنّ ما تفيده الأبحاث السابقة هو أنّ جهنّم تمثّل الحجاب ، وأنّ الحجاب هو الغفلة عن ذكر الله تعالى ، وأنّ آثار ذلك الحجاب تتجلّى في هيئة خاصّة في كلّ واحد من العوالم والنشآت تعذّب ذلك الشخص الغافل المحجوب ، وأنّ أمثال هذا الشخص محرومون من الحياة الحقيقيّة الأُخرويّة .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ.[3]

وَلَا تَاْيْـَٔسُوا (والكلام ليعقوب النبيّ يخاطب به بنيه) مِن رَّوحِ ٱللَّـهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ.[4]

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّـهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُولَـٰٓئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي

١ـ طابق بفتح الباء كـ (هاجَر) ، وبكسرها أيضاً كـ (صاحِب) .

٢ـ «نهج البلاغة» الخطبة ١٨١ ، ص ٣٤٧ و٣٤٨ ، طبعة مصر ، تعليق الشيخ محمّد عبده .

٣ـ الآية ١٣ ، من السورة ٦٠ : الممتحنة .

٤ـ الآية ٨٧ ، من السورة ١٢ : يوسف .

وَأُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.[1]

وتفيد هذه الآيات بأنّ أساس الكفر والشرك يقوم على عدم التوكّل على الله تعالى ، واليأس من رحمته عزّ وجلّ ؛ بحيث لا يرى العبد أنّ له ارتباطاً وثيقاً به سبحانه ، بل إنّه قد لايرى ذلك الارتباط أصلاً ، ولا يشاهد شموله بألطاف الله ورحمته اللامتناهيين ، ولا يعيش على أمل لقائه عزّ وجلّ .

وكما نعلم ـ من جهة أُخرى ـ أنّ دار الآخرة هي عين الرحمة الإلهيّة ومنبع كلّ جمال وكمال ، وأنّها تجسّد الحياة المحضة ، وأنّ رحمة الله تعالى قد شملت جميع العوالم ، بَيدَ أنّ رحمته الخاصّة قد اختصّت بالمؤمنين والمتّقين دون غيرهم .

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ.[2]

وتبيّن هذه الآية أنّ جميع الموجودات ، وجميع ما يمكن أن يُطلق عليه اسم شيء مشمول بالرحمة الإلهيّة العامة وبفيض الله المقدّس ؛ حتّى أنّ تلك الرحمة وذلك الفيض ليعمّان المشركين والمعاندين أيضاً . أمّا رحمة الله الخاصّة ، فلا تشمل غير المؤمنين والمتقين .

وبناء على ذلك ، فإنّ أصحاب النار مشمولون بالرحمة في عين حرمانهم منها . وهذا الحرمان هو الحجاب الذي أُلقي عليهم فحجزهم عن الإقرار بتوحيد الحضرة الأحديّة المقدّسة وعرفانها .

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ.[3]

١ـ الآية ٢٣ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

٢ـ الآية ١٥٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٣ـ الآية ٤٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۞ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ.[١]

ويستفاد من هذه الآية بوضوح أنّ المنافقين محرومون من الرحمة في نفس الوقت الذي تشملهم فيه ؛ لأنّ تلك الرحمة الخاصّة تقع في باطن الحجاب والباب والسور ، وهؤلاء البائسون عاجزون عن تخطّي ظاهر هذا السور وإيصال أنفسهم إلى باطنه ، من أجل نيل تلك الرحمة الخاصّة .

إنّ أصحاب النار يرزحون معذّبين في ظاهر الحجاب والسور ؛ وحجابهم هو الذي يحرمهم من نعيم الباطن . ثمّ إنّ ظاهر ذلك الحجاب هو ذات الشيء الذي يُعذَّبُونَ به . وقد ذكر الله تعالى بأنّ أصحاب النار يعذّبون على أنواع أعمالهم السيّئة القبيحة ، وبما أنّ أعمال أصحاب النار مختلفة ومتفاوتة ، فإنّ عذابهم مختلف ومتفاوت أيضاً . والأصل والأساس الذي تتشعّب منه أنواع العذاب المختلفة هو أساس الحجاب ، وهو الغفلة ونسيان ذكر الله عزّ وجلّ ؛ قال تعالى :

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُولَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ.[٢]

وتبيّن الآية التي أوردنا في مطلع حديثنا : كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ، أنّ أصحاب النار موقوفون في حجاب أعمالهم ومبتلون به . فقد سبقها قوله تعالى : كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ .

ولذلك فإنّ جميع الأعمال التي تُفعل في هذا الحجاب ولا تتعدى

١ـ الآيتان ١٣ و ١٤ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

٢ـ الآية ١٧٩ ، من السورة ٧ : الأعراف .

الظاهر ستكون سراباً بلا حقيقة ولا واقعيّة ، وستكون باطلة لأنّها متعارضة مع أصالة الواقع ومتنه الذي هو أساس التوحيد .

وهي باطلٌ قد تَمثّل لفاعله في صورة حقّ ، بَيد أنّه ليس حقّاً . ومثوى الباطل ومآله جهنّم ، حيث يصبح طعمة للنار التي تتلقّفه لتحرقه وتُحيله هباء منثوراً .

وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنْثُوراً .[١]

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ .[٢]

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ .[٣]

وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ .[٤]

وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا .[٥]

والخلاصة ، فإنّ هذه الآيات وكثير من الآيات الأُخرى المماثلة ، تُفيد في مجموعها بأنّ منزلة أهل الدنيا والكفّار والمشركين والمعاندين والمعتدين وأصحاب النار لا تتعدى سراب الأوهام ، وأنّهم لا يبلغون الحقيقة مطلقاً ، ولا يتعدّون الظاهر لبلوغ الباطن ـ ولو خطوة واحدة ـ وأنّهم

١ـ الآية ٢٣ ، من السورة ٢٥ : الفرقان .
٢ـ الآية ٣٩ ، من السورة ٢٤ : النور .
٣ـ الآيتان ٢٨ و٢٩ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .
٤ـ الآية ١٠ ، من السورة ٣٥ : فاطر .
٥ـ الآية ١٢ ، من السورة ٤٨ : الفتح .

يعيشون في البوار محرومين من الحياة الحقيقيّة . كما تفيد بأنّ محلّ السراب والمجاز والأوهام والخيالات الباطلة والتصوّرات الوهميّة إنّما يرجع إلى الدنيا التي هي عيش الغرور والحياة السرابيّة الاعتباريّة :

وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ.[1]

وعلى هذا الأساس فالحياة الدنيا ـ التي هي الحياة الحيوانية الوضيعة باعتبار قيامها على أساس الخديعة والغرور ـ ترتبط بجهنّم ارتباطاً خاصّاً ؛ وهو ما تفيده الآية الكريمة التالية :

لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ.[2]

ويتّضح ممّا بيّنّا معنى ومضمون كثير من الآيات الأُخرى الدالّة على أنّ وقود جهنّم من الناس ومن المعبودات المصطنعة ؛ كالآية ٢٤ ، من السورة ٢ : البقرة : فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ .

والآية ٦ ، من السورة ٦٦ : التحريم : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ .

والآية ١٠ ، من السورة ٣ : آل عمران : إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُولَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ .

والآية ٩٨ ، من السورة ٢١ : الأنبياء : إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ .

---

[1] ـ الآية ٢٠ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

[2] ـ الآيات ٤ إلى ٦ ، من السورة ٩٥ : التين .

وكما صار معلوماً فإنّ الإنسان يُلقى في النار ويهوي في جحيمها بعصيانه للّه تعالى، وغفلته عن ذكره، ونسيانه إيّاه، حيث إنّ هذا العنوان هو المحجوبيّة التي هي عين النار والجحيم. بَيد أنّ علينا أن نرى: لماذا تُلقى الحجارة في نار جهنّم يا ترى؟

من الجليّ أنّ المراد بالحجارة هو هذه الأصنام والتماثيل التي تُنحت فتُعبد، لأنّ نفس الخشب والطين والحجارة وسائر ما يُستخدم لنحت الأصنام ليس لها من ذنب يستوجب دخولها النار. ولكن بقليل من التأمّل في هذه الآيات سيتبيّن أنّ المُلقى في نار جهنّم والمستحقّ للخلود فيها إنّما هو: **مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ**؛ أي نفس المعبود الذي يُعبد من دون الله تبارك وتعالى. أي أنّ المعبوديّة من دون الله، التي هي وليدة ذهن عابد الأصنام هي الجهة التي تحترق في النار.

ومن هنا، فإنّ نفس الإنسان وما تلذّه نفسه (وهو التخيّل الموهوم لمعبود سوى الله تعالى) سيُلقى في جهنّم فيحترق، وهو حصب جهنّم ووقودها.

وعلى الرغم من أنّ الأصنام ليست مذنبة من تلقاء أنفسها، إلّا أنّ صورتها الخياليّة المعبودة في ذهن العابدين هي التي تمثّل الذنب، وهي التي ينبغي أن تحترق، لأنّها **مَعْبُودٌ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى**.

أمّا لو كانت الآلهة المعبودة ذات نفس ناطقة وإرادة واختيار، وكانت تدعو قومها لعبادتها، كفراعنة مصر، وقياصرة الروم، وخاقانات الصين، وسلاطين إيران وملوكها الذين كانوا يأمرون الناس بعبادتهم، والذين كان أحدهم يعدّ نفسه **فَعَّالاً لِمَا يَشَاءُ وَحَاكِماً لِمَا يُرِيدُ**؛ فمن الجليّ أنّ أُولئكم **مِمَّنْ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**، وممّن ينبغي أن يُلقى في النار فيحترق فيها.

بَيد أنّ بعض المعبودين من ذوي النفس الناطقة والإرادة والاختيار

لم يدعوا الناس إلى عبادتهم قطّ. بل الناس هم الذين تخيّلوهم معبودين عن عمى وجهالة، واعتقدوا أنّ فيهم شيء من الربوبيّة على الرغم من أنّ هؤلاء المعبودين كانوا يُنكرون ذلك ويحاربونه. كالملائكة التي عدّها بعض الناس بنات لله، وكالنبيّ عيسى ابن مريم. وكعزير، اللذين طَهُرتْ أذيالُهما عن دنس دعوة الناس إلى عبادتهما، واللذين كانا في نفور وألم وانزعاج من عبادة بعض الناس لهما، لأنّ من مستلزمات مقام قربهما وخلوصهما، أن لا يعدّا نفسيهما معبودينِ.

وقد ذهب الناس من تلقاء أنفسهم إلى عبادتهما وعدّهما مستقلّينِ في الأُمور، فقالت النصارى بألُوهيّة المسيح وعدّوه ولداً لله سبحانه أو ثالث ثلاثة؛ وقالت اليهود بأنّ عزيراً ابن لله؛ فعبدوهما وعكفوا على عبادتهما.

أفينبغي والحال هذه أن يُحرقا في النار كمصداق **لِلْمَعْبُودِ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى**؟ كلّا وحاشا.

ذلك أنّ المعبوديّة لم تكن من جهتهما، ولأنّ الناس هم الذين عدّوهما معبودينِ دون أن يكون لهما دخلاً في هذا الأمر القبيح الذي فعله القوم. فبأيّ ذنب وجريرة يُلقيان في النار؟!

ولذلك، فقد أعقبت هاتين الآيتينِ من سورة الأنبياء:

لَوْ كَانَ هَـٰؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ؛ آيةٌ أُخرى جاءت لإيضاح هذا المعنى، وهي قوله تعالى: **إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُولَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**.[١]

أي أنّ عزيراً وعيسى والملائكة ونظائرهم من عبادالله الصالحين الذين أقرّ الله تعالى أمر خلوصهم وإخلاصهم وقُربهم وصواب عملهم

١ـ الآية ١٠١، من السورة ٢١: الأنبياء.

وقولهم ، وعدم تدنّسهم بشائبة من ادّعاء للربوبيّة ، أو ادّعاء للـ«أنـا» ، هـم مستثنون من هذه القاعدة ، وأنّهم لن يكونوا حصب جهنّم ووقودها .

ذكر الشيخ الطبرسيّ في تفسيره : لمّا نزلت هذه الآية (أي آية **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ آللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**) أتى عبد الله بن الزبعرى [1] رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال : يـا مـحمّد ! ألستَ

---

[1] ـ أورد المحدّث القمّيّ في «الكنى والألقاب» ج ١ ، ص ٢٨٣ : ابن الزِّبَعْرَى بكسـر الزاي وفتح الموحدّة وسكون العين ؛ اسمه عبد الله وهو أحد شعراء قـريش . كـان يـهجو المسلمين ويحرّض عليهم كفّار قريش في شعره ، وهو الذي يقول في غزوة أُحد :

يَا غُرَابَ البَـيْنِ أَسْـمَعْتَ فَـقُلْ — إِنَّـمَا تَـنْدِبُ شَـيْئاً قَـدْ فُـعِلْ

الأبيات ؛ وهي التي تمثّل بها يزيد لمّا جيء برأس الحسين عليه السلام والأسارى من أهل بيته ، فوضع الرأس بين يديه ودعا بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين عليه السلام متمثلاً :

لَـيْتَ أَشْـيَاخِي بِـبَدْرٍ شَـهِدُوا — جَزَعَ الخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَـلْ

وكان ابن الزبعرى يهجو النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ويعظّم القول فيه ، وقصّته في الفرث والدم تقدّم في «أبوطالب» ؛ فهرب يوم فتح مكّة ، ثمّ رجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واعتذر ، فقبل صلّى الله عليه وآله وسلّم اعتذاره . فقال ابن الزبـعرى فـي أبيات كثيرة يعتذر فيها :

إِنِّـي لَـمُعْتَذِرٌ إِلَـيْكَ مِـنَ الَّـذِي — أَسْدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمُ

فَاغْفِرْ فِدىً لَكَ وَالِدَايَ كِـلَاهُمَا — زَلَـلِي فَـإِنَّكَ رَاحِـمٌ مَـرْحُومُ

وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دِينَكَ صَادِقٌ — حَـقٌّ وَأَنَّكَ فِـي العِـبَادِ جَسِـيمُ

روي أنّه لمّا نزل قوله تعالى «إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم» ؛ قال ابن الزبعرى : أما واللهِ لو وجدتُ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم لَخَصَمْتُهُ ، فاسألوا محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم أكلّ ما يُعبد من دون الله في جهنّم مع مَن عبده ؟ فأُخبر النـبيّ صلّى الله عليه وآله وسـلّم ، فقال : يا ويل أُمّه ! أما علم أنّ «ما» لما لا يعقل و«مَـن» لمـن يعقل ؟! فنزل «إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنىٰ أُولٰئك عنها مبعدون» .

ويقول الزركليّ في «الأعـلام» ج ٤ ، ص ٢١٨ : عبد الله بن الزبـعرى بـن قـيس ⇦

تزعم أن عُزيراً رجل صالح، وأنّ عيسى عليه السلام رجل صالح، وأنّ مريم امرأة صالحة؟ قال: بلى. قال: فإنّ هؤلاء يُعْبَدون من دون الله، فهم في النار. فأنزل الله هذه الآية: **إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُولَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**.

[ثمّ قال] أي أنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى: عيسى وعزير ومريم والملائكة الذين عُبدوا من دون الله وهم كارهون، استثناهم من جملة: **مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ**.[1]

علماً أنّ لفظ الاستثناء لم يرد في الرواية، بل هو من كلام الشيخ الطبرسيّ، وما جاء في الرواية هو أنّهم من مصداق الآية الشريفة: **ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ**. وعليه، فهم بعيدون عن جهنّم.

ويمكن استنتاج موضوع مهمّ في هذا الشأن من خلال التأمّل والتعقّل، وهو أنّ الآية لا تضمّ استثناءً ما. ولبيان هذا المطلب نقول: إنّ الأحكام العقليّة والقوانين والأحكام الشرعيّة القائمة على الأُسس العقليّة، وليس فيها من معنى للاستثناء. وإذا ما شاهدنا أمراً في هيئة استثناء، فما هو إلّا استثناء صوريّ ليس إلّا، أمّا حقيقة فليس ثمّة من استثناء يذكر.

إنّ **المَعْبُودَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ينبغي أن يكون حصب جهنّم، ولا يمكن لهذا الأمر أن يطرأ عليه الاستثناء.

وبناء على أساس هذه القاعدة العامّة، فكلّ من يحمل في نفسه شائبة

⇦ السهميّ القرشيّ، أبو سعد: شاعر قريش في الجاهليّة. كان شديداً على المسلمين إلى أن فُتحت مكّة، فهرب إلى نجران، فقال فيه حسّان أبياتاً، فلمّا بلغته عاد إلى مكّة فأسلم واعتذر ومدح النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأمر له بُحلّة.

١ـ «تفسير مجمع البيان» ج ٤، ص ٦٤ و٦٥، طبعة صيدا.

من «الأنا» ، فإنّ تلك «الأنا» ستكون الحجاب الذي يحجبه ، وستؤدّي به إلى جهنّم .

فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا .[1]

ويبيّن تخاطب أصحاب الجنّة وأصحاب النار أنّ حقيقة جهنّم هي ظهور البُعد عن رحمة الحقّ تعالى ، الذي يستتبع الحسرة والندامة ؛ وأنّها ناشئة من حجاب الاستكبار والأنانيّة والجهل بالحقّ سبحانه وتعالى .

فقد ورد في الآيات ١٦٥ إلى ١٦٧ ، من السورة ٢ : البقرة : وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ .

وجاء في الآيات ٤٦ إلى ٥٠ ، من السورة ٤٠ : المؤمن :

(يخاطب الله تعالى ملائكته قائلاً :) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ * وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ * قَالُوٓا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَٱدْعُوا وَمَا دُعَـٰٓؤُا ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ .

وجاء في الآيات ٦٤ إلى ٦٨ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب :

إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا

---

١ ـ الآية ٦٨ ، من السورة ١٩ : مريم .

لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا * رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا.

وجاء في الآيات ٢٧ إلى ٢٩ ، من السورة ٤١ : حم السجدة :

فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءً بِمَا كَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ.

ومن أجلى الآيات التي تظهر الفرق بين الجنّة والنار ، وتميّز بين أصحابهما ، وتُلقي الضوء على العلاقة بين أعمالهم وجزائهم ، سواء كانت تلك الأعمال حسنةً أم قبيحة ، الآيات ٣٤ إلى ٤١ ، من السورة ٧٩ : النازعات :

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ * (وهي حادثة يوم القيامة) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ * وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ * فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ.

وعلى أساس هذه القاعدة ، فإنّ مَن قلّ التفاته إلى الدنيا ، وأعرض عن زينتها ، وعظم انشغاله بأعمال الخير ، كان أبعد عن النار ، حتّى لو كان ذلك الشخص مشركاً ، لأنّ نفس عمل الخير يستدعي في حدّ ذاته تخفيف العذاب .

روى الراونديّ في كتابه «النوادر» بإسناده عن الإمام موسى بن جعفر ، عن آبائه عليهم السلام ، قال :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً

ابْنُ جَدْعَانَ . فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! وَمَا بَالُ ابْنِ جَدْعَانَ أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً ؟ قَالَ : إنَّهُ كَانَ يُطْعِمُ الطَّعَامَ .[1]

وروى الكلينيّ عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن عبد الله بن مسكان ، عن عبيد الله بن الوليد الوصّافيّ ، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام ، قال :

إنّ مؤمناً كان في مملكة جبّار ، فولع به ، فهرب منه إلى دار الشرك ، فنزل برجلٍ من أهل الشرك فأظلّه وأرفقه وأضافه ، فلمّا حضره الموت أوحى الله عزّ وجلّ إليه : وعزّتي وجلالي لو كان لك في جنّتي مسكن لأسكنتُك فيه ، ولكنّها محرّمة على مَن مات بي مشركاً ، ولكن يا نار هيديه[2] ولا تؤذيه ، ويؤتى برزقه طرفي النهار .

قلت (والكلام لراوي الحديث عبد الله الوصّافيّ) : من الجنّة ؟ قال : من حيث شاء الله .[3]

إنّ سبيل الجنّة هو صراط النفس المستقيم صوب مقام الفعليّة وكمال العرفان الإلهيّ ؛ وسبيل جهنّم هو الانحراف عن هذا السبيل بأيّ شكل ونحوٍ كان . وعلى الناس أن يصلوا في تشخيص هذا السبيل إلى درجة العقل والإدراك والتفقّه في الدين ، أو أن يُتابعوا الوليّ الكامل والفقيه النبيه ، من أجل أن يتخطّوا ذواتهم خارجاً ، وليدخلوا في حرم الله من خلال طيّ هذا السبيل . وليس أمام الناس من سبيل ثالث ، اللهمّ إلّا سبيل النار والانحراف والهلكة .

(لقد اعترف أصحاب النار يوم القيامة فـ) **قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ**

١ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣١٦ ، الطبعة الحروفيّة .

٢ـ هيديه : أزيليه ـ حركيه .

٣ـ «بحار الأنوار» ج٨ ، ص٣١٤ و٣١٥ الطبعة الحروفيّة ، عن «الكافي» .

مَا كُنَّا فِي أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ * فَٱعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ (بأنّه كان ينبغي عليهم إمّا أن يطووا السبيل إلى الله ويرفعوا الحجب الظلمانيّة والنورانيّة بالاعتماد على أنفسهم بصورة مستقلّة ، أو أن يعمدوا إلى الطاعة والمتابعة ، فيتمسّكوا بالتقليد المحض) فَسُحْقًا لِأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ.[1]

لكنّ الحجاب الذي يحجب العبد عن الله تعالى ، والغفلة عن ذكره عزّ وجلّ ، لهما صور وأشكال مختلفة ، ولهما درجات تتراوح بين الشدّة والضعف .كما أنّ لكلّ درجة خاصّة من هذا الحجاب والحرمان عن لقاء الله سبحانه مظاهر ومجالات مختلفة .

ويتّضح من الرواية المعراجيّة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم التي كشفت له صلّى الله عليه وآله وسلّم كثيراً من مسائل الجنّة والنار ، أمر الارتباط بين نوع الذنب ونوع الجزاء .

ونورد في هذا المجال قسماً من هذه الرواية كما جاءت في كتاب «عيون أخبار الرضا» .

يروي الصدوق عن الورّاق ، عن الأسديّ ، عن سَهْل ، عن عبد العظيم الحسنيّ ، عن محمّد بن عليّ ، عن أبيه الرضا ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين ، قال :

دخلتُ أنا وفاطمة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فوجدته يبكي بكاءً شديداً . فقلتُ : بأبي أنتَ وأُمّي يا رسول الله ، ما الذي أبكاك ؟ قال : يا عليّ ؛ ليلة أُسري بي إلى السماء رأيتُ نساءً من أُمّتي في عذابٍ شديد ، فأنكرتُ شأنهنّ فبكيتُ لما رأيتُ من شدّة عذابهن . ورأيتُ امرأةً معلّقةً بشعرها . يغلي دماغ رأسها ؛ ورأيتُ امرأةً معلّقة بلسانها والحميم

١ـ الآيتان ١٠ و ١١ ، من السورة ٦٧ : الملك .

يُصبّ في حلقها ؛ ورأيتُ امرأةً معلّقة بثديها ؛ ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار تُوقد من تحتها ؛ ورأيتُ امرأةً قد شُدّ رجلاها إلى يديها وقد سُلّط عليها الحيّات والعقارب ؛ ورأيتُ امرأةً صمّاء عمياء خرساء في تابوتٍ من نار يخرج دماغ رأسها من منخرها ، وبدنها متقطّع من الجذام والبرص ؛ ورأيتُ امرأةً معلّقة برجليها في تنّور من نار ؛ ورأيت امرأةً تقطّع لحم جسدها من مقدّمها ومؤخّرها بمقاريض من نار ؛ ورأيتُ امرأةً يُحرق وجهها ويداها وهي تأكل أمعاءها ؛ ورأيتُ امرأةً رأسُها رأس خنزير ، وبدنها بدن الحمار ، وعليها ألف ألف لونٍ من العذاب ؛ ورأيتُ امرأةً على صورة الكلب ، والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها ، والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار .

فقالت فاطمة عليها السلام : حبيبي وقُرّة عيني ؟ أخبرني ماكان عملهنّ وسيرتهنّ ، حتّى وضع الله عليهنّ هذا العذاب ؟

فقال : يا بنتي ! أمّا المعلّقة بلسانها ، فإنّها كانت تُؤذي زوجها ؛ وأمّا المعلّقة بثديها ، فإنّها كانت تمتنع من فراش زوجها ؛ وأمّا المعلّقة برجليها ، فإنّها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها ؛ وأمّا التي كانت تأكل لحم جسدها ، فإنّها كانت تزيّن بدنها للناس ؛ وأمّا التي شُدّت يداها إلى رجليها وسُلّط عليها الحيّات والعقارب ، فإنّها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب ، وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظّف ، وكانت تستهين بالصلاة ؛ وأمّا العمياء الصمّاء الخرساء ، فإنّها كانت تلد من الزنا فتعلّقه في عنق زوجها ؛ وأمّا التي تقرض لحمها بالمقاريض ، فإنّها كانت تعرض نفسها على الرجال ؛ وأمّا التي كانت تحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعاءها ، فإنّها كانت قوّادة ؛ وأمّا التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار ، فإنّها كانت نمّامة كذّابة ؛ وأمّا التي كانت على صورة الكلب والنار

تدخل في دبرها وتخرج من فيها ، فإنّها كانت قَيْنة نوّاحة حاسدة .

ثمّ قال عليه السلام : ويلٌ لأمرأة أغضبت زوجها ، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها .[1]

ويروي الصدوق في «الخصال» عن أبيه ، عن الحِميريّ ، عن هارون ابن مسلم ، عن مسعدة بن زياد ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، عن آبائه ، عن عليّ عليهم السلام ، قال :

إنَّ فِي جَهَنَّمَ رَحىً تَطْحَنُ خَمْساً ؛ أَفَلَا تَسْأَلُونِي مَا طِحْنُهَا ؟!

فَقِيلَ لَهُ : وَمَا طِحْنُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟!

قَالَ : الْعُلَمَاءُ الفَجَرَةُ ، وَالقُرَّاءُ الفَسَقَةُ ، وَالجَبَابِرَةُ الظَّلَمَةُ ، وَالوُزَرَاءُ الخَوَنَةُ ، وَالعُرَفَاءُ الكَذَبَةُ .

وَإنَّ فِي النَّارِ لَمَدِينَةً يُقَالُ لَهَا : الحَصِينَةُ ؛ أَفَلَا تَسْأَلُونِي مَا فِيهَا ؟!

فَقِيلَ لَهُ : وَمَا فِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

فَقَالَ : فِيهَا أَيْدِي النَّاكِثِينَ .[2]

كما روى الصدوق في «العيون» بسنده المتصل عن الرضا عليه السلام ، قال : **قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : الوَيْلُ لِظَالِمِي أَهْلِ بَيْتِي ، كَأَنِّي بِهِمْ غَداً مَعَ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .**[3]

وروي في «العيون» بنفس السند ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

إنّ قاتلَ الحسين بن عليّ عليهما السلام في تابوت من نار ، عليه

١ـ «عيون أخبار الرضا» ص ٢١٣ و ٢١٤ ، الطبعة الحجريّة ؛ وج ٢ ، ص ١٠ و ١١ ، الطبعة الحروفيّة .

٢ و ٣ـ «الخصال» للصدوق ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، باب الخمسة ، الطبعة الحجريّة .

نصف عذاب أهل الدنيا ، وقد شدّت رجلاه بسلاسل من نار ، منكّس في النار ، حتّى يقع في قعر جهنّم ، وله ريح يتعوّذ أهل النار إلى ربّهم من شدّة نتنه ، وهو فيها ذائق العذاب الأليم مع جميع من شايع على قتله ، كلّما نضجت جلودهم بدّل الله عزّ وجلّ عليهم الجلود حتّى يذوقوا العذاب الأليم ، لا يفتر عنهم ساعةً ويُسقون من حميم جهنّم ، فالويلُ لهم من عذاب الله تعالى في النار .[1]

وجاء في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام : ألا وإنّ الراضين بقتل الحسين عليه السلام شركاء قتله . ألا وإنّ قتلته وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم براء من دين الله ، وإنّ الله ليأمر ملائكته المقرّبين أن يتلقّوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين إلى الخزّان في الجنان ، فيمزجونها بماء الحَيَوان فتزيد عذوبتها ويلقونها في الهاوية ويمزجونها بحميمها وصديدها وغسّاقها وغِسلينها فتزيد في شدّة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضِعفها ، تشدّد على المنقولين إليها من أعداء آل محمّد وعذابهم .[2]

١ـ «عيون أخبار الرضا» ص ٢٤١ ، ب ٣٠ ، الطبعة الحجريّة ؛ وج ٢ ، ص ٤٧ ، الطبعة الحروفيّة .

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣١١ و٣١٢ ، عن «تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام» .



المجلس الخامس والسبعون

خلود الحياة في الجنة وجهنم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ .[١]

نشاهد في هذه الآيات المباركة أنّ مكث الأشقياء في النار ومكث أصحاب الجنّة فيها سيكونان دائمين ، وأنّ الآيات قد صرّحت في خصوص كلا الموردين بأنّ هذا الخلود منوط بمشيئة الله تعالى ، وأنّه إذا شاء أخرج الطائفة التي يشاء من موضعها .

ومن الجليّ ـ عقلاً وشرعاً ـ أنّ أصحاب الجنّة لا يغادرونها أبداً ، لذا فإنّ استثناء **إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ** في شأن السعداء لا يدلّ على تحقّق خروجهم ووقوعه في الخارج ، بل ينحصر مدلوله في بيان قهّاريّة الحقّ سبحانه وغلبة

١ـ الآيات ١٠٥ إلى ١٠٨ ، من السورة ١١ : هود .

مشـيئته . أي أنّ إرادة اللـه المتعال ومشيئته مقدّمتان علـى كـلّ شـيء وحاكمتان عليه وأنّ أيّ قانون أو قاعدة لا يُحيطان أبداً بمشيئة الحقّ تعالى ولا يُخضعها لحكمهما ، وأنّ إرادة الحقّ واختياره ممّا لا يُـغلب ولا يُـقهر أبداً .

إنّ أصحاب الجنّة ماكثون فـيها أبـداً ، ولكـن بـإرادة اللـه ومشـيئته وأصحاب النار ماكثون فيها أبداً ، إلّا أن يشاء الله سبحانه . أي أنّ إرادة الله ومشيئته في حقّهم أعلى من كلّ قانون ووعد ، وأنّهم ـ في حال خلودهم ـ خاضعون لإرادة الله عزّ وجلّ ، فإن شاء أخرجهم منها دون أن يصدّه مـانع أو يردعه رادع .

وهذا الاستثناء الذي يُعرف فـي تـعبير أصـحاب التـفسير والعـرفان باستثناء المشيئة يفيد هذا المعنى .

وأمثال هذا الاستثناء بقسميه الاصطلاحيّ والحقيقيّ كثير في القرآن الكـريم ،كـما فـي الآيـتين ٦ و٧ ، مـن السـورة ٨٧ : الأعـلى ، سَنُقْرِئُكَ (والخطاب للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم) فَلَا تَنسَىٰٓ * إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ .

وكما في الآية ٤٨ ، من السورة ٥ : المائدة : وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ .

والآية ٣٥ ، من السورة ٦ : الأنـعام : وَلَـوْ شَآءَ ٱللَّـهُ لَـجَمَعَهُمْ عَـلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ .

وعلى أيّة حال ، فقد جاءت نظير الآية مورد البحث آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدّث عن خلود أصحاب الجنّة والنار فيهما ،كـالآيات ٦ إلى ٨ ، مـن السـورة ٩٨ : البيّنة . إِنَّ ٱلَّـذِينَ كَـفَرُوا مِـنْ أَهْـلِ ٱلْكِـتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أُولَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُولَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ * جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ

جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ.

والآية ١١، من السورة ٦٥: الطلاق: وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا.

والآية ٢٣، من السورة ٧٢: الجنّ: وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا.

وآيات الخلود كثيرة في القرآن الكريم كما نوّهنا، وإنّما ذكرنا بعضها من باب المثال لا الحصر. ومضافاً إلى الآيات القرآنيّة فقد دلّت الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام على الخلود من خلال التواتر المعنويّ، كما ادُّعي الإجماع على خلود المحسنين في الجنّة والكافرين في النار. وسنشرع بحول الله وقوّته في إثبات الخلود بالدليل العقليّ، وذلك يستلزم منّا بيان عدّة مقدّمات.

المقدّمة الأُولى: أنّ العالم الذي نعيش فيه هو عالم الحركة والقوّة والقابليّة، الذي يقود النفس الإنسانيّة الناطقة إلى كمال فعليّتها في السعادة أو الشقاء.

وهذه النفس الإنسانيّة ليست جامدة واقفة في مسيرتها التكامليّة، بل هي متحرّكة على الدوام، كما في البدن المتحرّك المتغيّر على الدوام. وهي في حركة جوهريّة دائبة تقوم فيها بإيصال درجات قوّتها وقابليّتها إلى مرحلة الفعليّة؛ بخلاف عالم القيامة الذي هو عالم التجرّد وعالم نشأة الفعليّة المحضة، وعالم الثبات والاستقرار. وباعتبار طلوع حقيقة النفس في عالم القيامة، فإنّها سترى نفسها ثابتة غير متحرّكة، لأنّها أضحت روحاً مجرّدة.

وستشاهد النفس الناطقة في ذلك العالم كلّ ما اكتسبته في هذا العالم ، بَيد أنّها ستجده يوم القيامة ثابتاً ومستقرّاً وحاضراً ، مع أنّها قد اكتسبته في هذا العالم بالتدريج . وهذا الأمر من لوازم اختلاف العالمينِ والنشأتينِ . إذ :

اليَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ ، وَغَداً حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ .

وَمَنْ كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا .[1]

فالدنيا ـ إذاً ـ هي محلّ الكسب والتجارة والزراعة ، أمّا الآخرة فدار جني المنافع والعوائد .

المقدّمة الثانية : أنّ الآخرة هي باطن الدنيا وحقيقتها ، وأنّ الدنيا هي ظاهر عالم الآخرة . وهذان العالمان متداخلان ، إلّا أنّهما ليسا في عرض بعضهما ، بل في طول بعضهما ؛ بل هما في واقع الأمر حقيقة واحدة قد تجلّت في هيئتينِ وصورتين هما الدنيا والعقبى ؛ وهاتان الصورتان متفاوتتان بلحاظ الإدراك والتعقّل .

فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ (أيّها الإنسان) **فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ .**[2]

هذا العالم هو عالم الظاهر المبتلى بالغرور والزينة والخداع ورعاية المظاهر ، وبالحجاب والغفلة عن الله تعالى . أمّا ذلك العالم فهو عالم الباطن والحقيقة ، وعالم إزاحة الستار وظهور نور التوحيد في مظاهر عالم الإمكان .

ومن هنا ، فإنّ ذلك العالم يمثّل تجسّد أعمال هذا العالم في صورتها الحقيقيّة الملكوتيّة بلا زيادة ولا نقصان . فما زرع المرء سيحصده ؛ وما فعل في هذا العالم سيجده هناك في صورته الحقيقيّة . وسيجد الإنسان

١ـ الآية ٧٢ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢ـ الآية ٢٢ ، من السورة ٥٠ : ق .

المختار نفسه واختياره وجميع أعماله التي فعلها بإرادته في هذه الدنيا في هيئة ثابتة مستقرّة .

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ .[1]

المقدّمة الثالثة : أنّ جميع الأفراد في حركةٍ باتّجاه الله تعالى . لا يستثنى من هذا الأمر فقير أو غنيّ ؛ ولا عالِم أو جاهل ؛ ولا مؤمن أو كافر ؛ ولا رجل أو امرأة ؛ ولا شيخ أو شابّ ؛ ولا عادل أو فاسق ، وما إلى ذلك ؛ فسيرشف الجميع شراب الموت من كأس تجلّي جلال الله تعالى وقهّاريّته ، فَهَنِيئاً لَهُمْ ؛ ليحصلوا من ثمّ على مقام الفناء في ذاته عزّ وجلّ ، وهذا الفَنَاءُ فِي اللَهِ تَعَالَى هو فناء لا يبقى معه اسم ولا رسم ؛ ولا دنيا ولا آخرة ؛ ولا مادّة ولا تجرّد ، لأنّ مقام الفناء هو مقام الانعدام المحض . ومن الواضح أنّ كلّ شيء يحتوي على شائبة من التعيّن ، ويُشَمّ منه رائحة من وجود ، فلا سبيل له إلى ذلك المقام :

لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ .[2]

كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ .[3]

هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .[4]

يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ .[5]

وفي هذا المقام ينتفي التعيّن والتشخّص ، إذ ليس من شيء إلّا الله تعالى .

١ـ الآيتان ٧ و٨ ، من السورة ٩٩ : الزلزلة .

٢ـ الآية ١٦ ، من السورة ٤٠ : غافر .

٣ـ الآية ٩٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٤ـ الآية ٥٦ ، من السورة ١٠ : يونس .

٥ـ الآية ٢١ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

المقدّمة الرابعة : ثمّ يعقب عالَم الموت والفناء المحض في ذات الحضرة الأحديّة سبحانه وتعالى عالم الوجود والحياة والبقاء بعد الفناء، وهو عالم يُعبّر عنه بعالم **البَقَاءِ بِاللَّهِ** سبحانه .

وفي هذا العالم تنزل النفس الناطقة من عالم اللاهوت إلى عالم الجبروت ، وتجد بالله تعالى كلّ ما امتلكته سابقاً من عقائد ومَلَكات ونوايا وصفات أعمال ؛ تجده في نفسها وتدركه بالوجدان ، وتحسّ به شهوداً وعياناً ملازماً لها وملاصقاً ، بل إنّها تشاهده بأجمعه من شؤونها وتجلّياتها .

سوف يجد المؤمن إيمانه ، ويقترن المحسن بإحسانه ؛ وكذلك فسوف يجد الكافر كفره ، ويجد المسيء إساءته ممسكة بتلابيبه .

وكلٌّ منهم سيخلّد مع أعماله ، لأنّ تلك الأعمال أضحت جزءاً منه ، ولأن تغيّر الشخصيّة والهويّة والماهيّة محال وغير معقول في هذا المقام .

لقد كانت أعمال المرء عبارة عن آثاره المتولّدة من نفسه وظهوره وتجلّيه ومعلوله وما نشأ منه ، ولذا ستكون قرينه الذي لا ينفكّ عنه أبداً ، وهو ما يدعى بالخلود .

خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ .

فليس الفناء في ذات الله هنا ، وليس هذا العالم عالَم الفناء ، ولأنّ ذات الله سبحانه غير محدودة ولا متعيّنة ببقاء السماوات والأرض ، بل هذا العالم هو عالم البقاء ، المشتمل للسماوات والأرض ، والإيمان والكفر ، والضحك والبكاء ، والإحسان والعدوان ، والخير والشرّ .

وستوجد جميع الكثرات في هذا العالم دون زيادة أو نقصان قيد شعرة ، لأنّها ستوجد **بِاللَّهِ تَعَالَى** ؛ أي لا يمكن للنفس الناطقة أبداً أن تشاهد نفسها في حجاب الغفلة والوهم ، أو أن تلحظ ذاتها محجوبة عن الحقّ عزّ وجلّ ، بل إنّها ثابتة دائماً بجميع جوانب هويّتها الوجوديّة

وشخصيّتها وآثارها وأعمالها مع شهود ولقاء حضرة كبريائه تعالى .

ولو نُقل شخص ما إثر التوبة أو الشفاعة وأمثالهما إلى درجة أعلى ، فإنّ نفس هذه التوبة أو الشفاعة ستكون مشهودة أيضاً في صورتها الملكوتيّة ، وستظهر كستار يغطّي الأفعال القبيحة السابقة أو يمحوها ؛ ولذلك فإنّ **الخُلُودَ** هو حقيقة لايمكن إنكارها أبداً .

ويتبيّن من خلال هذه المقدّمات أنّ الخلود هو أمر قهريّ وتحقّق عينيّ ، وأنّ ما ورد في هذا الشأن في الآيات المباركة والروايات قد كان بياناً لهذه الحقيقة .

ونذكر مثالاً لإيضاح هذا المعنى : افرضوا أنّ هناك عدّة أشخاص يمتهن أحدهم الخطّ ويمتهن الثاني الرسم ، والثالث النجارة ، بينما يمتهن الرابع الحدادة ؛ وهم أحياء ويمتلكون مَلَكات الخطّ والرسم والنجارة والحدادة . وهنا ، فاختلافهم في مَلَكات هذه الصناعات أمر لا شكّ فيه .

وافرضوا الآن أنّ هؤلاء الأشخاص الأربعة قد تعرّضوا إلى حالة إغماء أو تخدير ، سواء عن طريق تناول دواء مخدّر أو عن طريق تعرّض القلب لصدمة ما ، فسقطوا على الأرض فاقدي الوعي .

وحينها ستجدون أنّ ليس في هؤلاء الأشخاص خطّاط ولا رسّام ولا نجّار ولا حدّاد ، وأنّ أيّاً منهم لا يمتلك الملكة التي سبق له امتلاكها ، وأنّهم سيكونون مغمورين في عالم من الفناء والعدم .

وافرضوا ثالثاً أنّ هؤلاء الأشخاص قد أفاقوا من جديد ، فستجدون ملكاتهم قد عادت إليهم ، فيصبح للنجّار مَلَكة النجارة ، وللخطّاط ملكة الخطّ ، وسيعود كلّ منهم إلى حالته السابقة ، فلا يصبح النجّار حداداً ولا الحداد نجّاراً ، وكذا الحال بالنسبة للخطّاط والرسام . نعم سيرجع كلّ منهم إلى موضعه السابق ، ويزاول خصوص نوع الفنّ الذي اختصّ فيه من

قبل . فخطّاط خطّ الثُلث ـ على سبيل المثال ـ لن يصبح خطّاطاً لخطّ النستعليق ،كما أنّ الحدّاد لن يتحوّل إلى لحّام ، وهكذا . وهذه الحال هي حال الوجود والبقاء الحاصل بعد الفناء عموماً .

ويمكنكم ـ على أساس هذا المثال ـ أن تدركوا مثال **الفَنَاءِ فِي اللَهِ والبَقَاءِ بِاللَهِ** ، فتعلموا أنّ عالم الفناء هو عالم ليس فيه من شيء سوى الذات الأحديّة ، وهو عالم لا يمكن لأحدٍ فيه أن يدّعي الوجود وينفخ في بوق الأنا .

أمّا في عالم البقاء ، فإنّ جميع الموجودات تعود إلى مواضعها ، فتخلّد في ملكاتها وصفاتها وسيرتها .

وقد أوردنا هذه المقدّمات بشكل وافٍ في بحث المعاد الجسمانيّ مدعمة ببعض المقدّمات الأُخرى (انظر المجلس ٣٩ ، الجزء السادس) وعلمنا من خلالها أن العدم سوف لن يصيب أيّ موجود ، لأنّ الوجود مغاير في ذاته للعدم والفناء . وأنّ التغيّر في أوصاف الموجود وأطواره لا يستوجب فناء ذلك الموجود في ظرف ذلك الموجود ومع تعيّناته وتشخّصه . ومن هنا ، فما يوجد في عالم الوجود ، ولو بقدر ذرّة واحدة وللحظة واحدة ، سوف يستحيل فناؤه وبطلانه في تلك اللحظة .

نعم ، يمكن أن تفنى تلك الذرّة في لحظة أُخرى ، إلّا أنّ ذلك الفناء سوف لن يكون فناء لحقيقة تلك الذرّة في الزمان الأوّل . ومن ثمّ فإنّ العمل الحسن أو السيّئ الذي يفعله الإنسان سيبقى ثابتاً في عالم الدهر وظرف التكوين ، ممتنعاً عن الفناء والزوال .

ولذلك ، فكلّ عمل يقوم به الإنسان سيخلّد فيه ، لأنّه عمله وقرينه الذي لا يفنى . وكلّ ما في الأمر أنّ ذلك العمل سيختفي عن أنظاره خلال الحركة والتدرّج ، على الرغم من بقائه ثابتاً في ظرف الدهر وبعد فناء

الإنسان في ذات الله تعالى ، ذلك الفناء الذي يمثّل غاية سير الإنسان .

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنْتَهَىٰ .[1]

وحين يحصل البقاء ، ويعود الإنسان من الفناء إلى الوجود ، فإنّه سيشاهد تلك الأعمال في صورها الملكوتيّة الحقيقيّة . وستبقى تلك الأعمال أبداً في تلك الصور الملكوتيّة ، لأنّ عالم البقاء هو عالم لا فناء فيه ، ويبقى الموجود فيه موجوداً إلى الأبد . وستتجلّى الأعمال في صورها الملكوتيّة الخاصّة بالجنّة أو النار ، وستكون قرينة الإنسان ورفيقه الدائميّ ، وستكون ممتنعة على التغيّر والتبدّل ، ممتنعة من أن يطرأ عليها ضعف أو فتور ، أو موت أو فناء ، لأنّ الحياة في ذلك العالم دائميّة أبديّة .

وقد اتّضح بما قيل أنّ جميع الإشكالات التي أوردها البعض على أمر الخلود باطلة بأجمعها بلا استثناء .

وقد مرّ في المجلس السبعين من هذا الجزء كيف أنّ **النظام المعتزليّ** عدّ الخلود منافياً لبقاء الله تعالى في مباحثته مع **هشام بن الحكم** ، إذ قال النظام : إنّ أهل الجنّة لا يبقون في الجنّة بقاء الأبد ، فيكون بقاؤهم كبقاء الله ، ومحال أن يبقوا كذلك .

فردّ عليه هشام قائلاً : إنّ أهل الجنّة يبقون بِمُبْقٍ لهم ، والله يبقى بلا مُبْقٍ ؛[2] أي أنّ بقاء الله تعالى ذاتيّ ، وبقاء الموجودات بالله تعالى . أي أنّ بقاءه تعالى واجب ، وبقاء الممكنات ممكن ، وهذا هو أكبر فرق ، بل الفرق الأساسيّ بين ذات واجب الوجود وسائر الموجودات . وشاهدنا هو

١ـ الآية ٤٢ ، من السورة ٥٣ : النجم .

٢ـ «رجال الكشّيّ» ص ١٧٧ ، طبعة بمبي ؛ وج ٢ ، ص ٥٥٢ ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام .

كيفيّة ردّ هشام على النظام بمثال بديع فأبطل إشكاله وبرهن له على أمر الخلود .

ومن جملة الإشكالات التي وردت على أمر الخلود : أنّ الإنسان يعمّر عادة فيعيش مائة سنة أو أكثر بقليل ؛ ولو فُرض أنّ شخصاً قضى جميع عمره في الكفر والشرك والظلم والفسق والفجور ، ثمّ مات ، فبأيّ علّة سيُعذّب إلى الأبد ؟ وهذا المقدار من الزمان الذي يُدعى عمراً إذا قيس مع طول الدهر ، فسيكون كالذّرة مقابل الشمس ، أو كالقطرة مقابل البحار والمحيطات . لذا ، فسيكون من الظلم إنزال هذا العقاب العظيم على جناية وخيانة استغرقت عمراً واحداً ، فضلاً عن الجناية التي لا تستغرق العمر كلّه ، أو عن الكفر أو الشرك أو الزندقة أو الظلم التي قد تبدر من المرء في أواخر عمره ، ثمّ يموت ويرتحل عن الدنيا وهو على شركه وظلمه .

والإجابة على ذلك : أوّلاً : على الرغم من كون مدّة عمر الإنسان قصيرة ، إلّا أنّ الله تعالى سيُطلع الإنسان في عالم البقاء على الحقيقة الملكوتيّة لأعماله بذات قدر عمر الإنسان .

وليست الأبديّة هنا بمعنى امتداد الزمان الموجود في عرض هذا العالم ، بل هي في طول هذا العالم وفي باطن النشأة . وهي عوالم متداخلة وليست في عرض بعضها ، كحبّات المسبحة المنتظمة في سلسلة واحدة . ولذلك ، فسيجد الإنسان أمامه نفس الأعمال التي فعلها خلال مدّة عمره محضرة ، وكلّ ما في الأمر أنّ تلك الأعمال تبدو في هذه العالم بلباس الفناء والانقراض من خلال دوران الزمان وحركته ، أمّا في ذلك العالم سيواجه الإنسان هذا المقدار على نحو الثبات والاستقرار أبداً . أي أنّ ذلك العالم هو فوق الزمان والزمانيّات ، وهو عالم الثابتات .

وعلى هذا فإنّ الله سبحانه عدل حكيم لا يظلم مثقال ذرّة ، ولا يجزي

الإنسان على أكثر من أعماله وصفاته وأخلاقه. وهذا هو العدل بعينه ؛ لأنّه عين التحقّق الخارجيّ بدون التصرّفات الخارجيّة.

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ (يا من تذوقون عذاب الحريق) وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ.[1]

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ (أيّها المجادل في الله) وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ.[2]

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ (أيّها النبيّ) بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ.[3]

وثانياً : أنّ عالم الآخرة هو عالم الحقيقة ؛ ويُحاسَب العباد على أساس عقائدهم ونواياهم. فمن ترسّخت نيّته على السوء والشرّ، لأحبّ أن يقضي عمره في الاعتداء والظلم والشرك والغفلة وإن خُلِّد في الدنيا. وسيُجزى مثل هذا الشخص جزاء أبديّاً على أساس هذه السريرة والطويّة الخبيثة. وسيكون جزاؤه مماثلاً لرغبته الباطنيّة وشاكلته وسريرته.

علماً أنّ كثيراً من الإشكالات الواردة على أمر الخلود راجعة إلى أمر الخلود في النار لا غير، لا إلى الخلود في الجنّة. ولذا، لابدّ من ذكر بحث أمر الخلود في الجنّة منفصلاً عن بحث أمر الخلود في النار. على الرغم من كون إجاباتنا على هذه الإشكالات عامّة وشاملة لكلا الخلودين.

ومن جملة الإشكالات على أمر الخلود : أنّ جهنّم قد وُجدت لتطهير العصاة وتزكيتهم. لذا، ينبغي أن يخرج أولئك العصاة منها بعد انتهاء

١ـ الآية ١٨٢، من السورة ٣ : آل عمران ؛ والآية ٥١، من السورة ٨ : الأنفال.

٢ـ الآية ١٠، من السورة ٢٢ : الحجّ.

٣ـ الآية ٤٦، من السورة ٤١ : فصّلت.

مرحلة تطهيرهم ، لأنّ الله تبارك وتعالى لا يعذّب عباده انتقاماً ، بل يعذّبهم على أساس مجرّد تكميل نفوسهم ورفع الغلّ والغش من بواطنهم ، وهو ممّا يتحقّق بالعقوبات الحاصلة يوم القيامة .

والإجابة على ذلك : أنّ كثيراً من الابتلاءات التي يتعرّض لها المؤمنون في الدنيا إنّما تحصل لتطهيرهم وتزكيتهم . وهو ما تدلّ عليه بعض الآيات القرآنية .[١] أمّا عذاب القيامة ، فبأيّ دليل يمكننا أن نقول بأنّه قد وجد للتطهير والتزكية ؟

أجل ، إنّ بعض المشاقّ والصعوبات التي تعترض الإنسان في عالم البرزخ ، وعند قيامه ومثوله أمام ساحة الله تعالى عند الحشر ، وطول مدّة زمن الحساب ، إنّما تكون لتخطّي هذه المراحل وصولاً إلى الجنّة . أمّا نفس ورود جهنّم والخلود فيها ، فلا يمكن عدّه ـ بأيّ دليل كان ـ علّة للتطهير والتزكية .

كما أنّ جهنّم ـ كما سبق أن ذكرنا ـ هي طلوع حقيقة أعمال الإنسان وتجلّيها في صورها الملكوتيّة ، بحيث يتلازم كلّ امرئ مع أعماله تلازم الأثر مع المؤثّر ، لأن سيرة الإنسان هي أثره الذي يخلّفه .

ومن جملة الإشكالات على أمر الخلود : أنّ الجنّة والنار هما معبران إلى المنزل والمقرّ . فالجنّة معبر المطيع السائر في الصراط المستقيم ، والمخلّد فيها في مرحلة تعيّن مَلَكات الخير . أمّا جهنّم فهي معبر العاصي في الصراط المعوج للإفراط أو التفريط ، والمخلّد فيها في مرحلة تعيّن

١ـ كالآية ٢١٤ ، من السورة ٢ : البقرة : أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ .

مَلَكات الشرّ . والخلود في الجنّة والنار محدود ببقاء السماوات والأرض ، إلّا أن يخرج المرء من مقتضيات تلك الآثار . والمقرّ والمقصد منحصر **فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**.[١]

ولو تقرّر أن تكون جهنّم منزلاً ، لكان عالم الخلق الذي يمثل الخالق ذي الجلال والعظمة القادر العالِم العادل الحكيم ، عالماً في أدنى درجات الضعة والحقارة ، وعالماً ضئيل الفائدة ، تسوده الفوضى ، لأنّنا ندرك بافتقار أغلب الناس إلى العلم والبصيرة ، وأنّ بعضهم ممّن يعلمون بعض العلم يفعلون ما لا ينبغي فعله ، ويتركون ما لا ينبغي تركه ، إلّا القليل منهم ، كما في قوله تعالى : **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ**.[٢]

فتقرّر أن يكون أكثر سكّان العالم مخلّدين في عذاب جهنّم . وقد شاهدنا قبل قليل أنّ كلّ مصنوع هو ممثّل لآثار صانعه . فيحصل أنّ هذا المصنوع الفاسد المخلَّد في جهنّم إلى الأبد بالمعنى الذي يقال : مادام الله حاكماً مريداً ؛ بحيث يتعذّر إصلاح العبد ونجاته وخلاصه ، سيكون والعياذ بالله ممثلاً لظلم الصانع أو عجزه أو جهله أو عبثه : **وَقَدْ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً**.

فيكون الخلود في النار ـ كما قلنا ـ هو الخلود في مرحلة المَلَكات ، وموافقاً لآثار تلك التعيّنات .[٣]

١ـ الآية ٥٥ ، من السورة ٥٤ : القمر .

٢ـ الآية ١٣ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

٣ـ «نهج البصيرة يا نامه‌هاى حائرى» (= نهج البصيرة أو رسائل الحائريّ) المقالة الرابعة ، ص ٢٦ و٢٧ . وهي أربع مقالات ورسائل ألّفها العالم الفقيد الشيخ عبد الرحيم صاحب «الفصول» . وقد جمعت هذه المقالات والرسائل وطبعت من قبل أبو تراب هدائي . ومؤلّف الكتاب المحترم : المرحوم الشيخ عبد الرحيم الطهرانيّ هو نجل المرحوم الشيخ ⇐

وترد عدّة إشكالات على هذا المقولة التي اختلط فيها على قائلها بعض الأُمور :

أوّلاً : أنّ أعمال المؤمنين الحسنة هي صراط ومعبر يعبرونه للوصول إلى مقام جمال الحضرة الأحديّة ولقائه ، وصراط مستقيم يوصلهم لمقام الفناء في ذاته الأزليّة ؛ وأنّ أعمال الكافرين القبيحة هي صراط ومعبر ينتهي بهم إلى مقام جلال كبريائه ، وصراط معوج للإفراط والتفريط ينتهي إلى مقام الفناء في كبريائيّة الحقّ سبحانه وتعالى وقهّاريته . ثمّ يصل الأمر ـ بعد حصول الفناء المحض بواسطة الأعمال الصالحة أو الطالحة ـ إلى الجنّة والنار اللتين تحصل فيهما حياة ما بعد الموت وحياة عالم البقاء . ولذا ، فلن تكون الجنّة معبراً للمطيعين أبداً ، كما أنّ النار لن تكون معبراً للعاصين أبداً .

كما أنّ الجنّة والنار هما تجسّم الأعمال الحسنة والقبيحة ، تلك الأعمال التي كانت معبراً في عالم الدنيا . إلّا أنّ ذلك التجسّم الملكوتيّ لمّا حصل في عالم البقاء بعد مرحلة الفناء والوصول ، فإنّه لن يُدعى معبراً حينذاك ، لأنّ المعبر يعني المرحلة الواقعة في طريق الوصول ، ولا يعني مرحلة ما بعد الوصول . وينبغي لذلك أن يكون كلّاً من الجنّة والنار منزلاً ومقرّاً أساسيّاً .

وثانياً : أنّ قول القرآن الكريم **فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** متعلّق بمقرّ المتّقين ومقصدهم دون غيرهم . فقد سبق هذه الآية قوله تعالى : **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ** .

⇐ عبد الحسين نجل المرحوم الشيخ محمّد حسين صاحب «الفصول» . وقد دُعي بصاحب «الفصول» باعتباره نجلاً لذلك المرحوم .

فهذا المقرّ والمقصد لا يشمل جميع الفرق والطوائف على هذا النحو ؛ إذ يستقرّ البعض **كالنفس المطمئنة** في عباد الله وفي جنّته الخاصّة ، ويستقرّ بعض آخر **كالمقرّبين** في جنّات النعيم ، ويستقرّ آخرون **عند رؤوف رحيم** . وتستقرّ طائفة رابعة **عند سلام مؤمن** . وخلاصة الأمر هي أنّ كلّ طائفة من أصحاب الجنّة ستكون مشمولة باسم معيّن .

أمّا أصحاب النار ، فيُقحمون تحت أسماء : **القهّار والجبّار وذو الكبرياء وشديد العقاب وخير الماكرين والمنتقم وشديد البطش** وغيرها ،كلّ طائفة منهم تحت اسم معيّن .

وثالثاً : أنّ موجودات هذا العالم الضعيفة الحقيرة من المذنبين والأشرار قد خُلقت بأجمعها عن حكمة بالغة ومصلحة تامّة ؛ وإلّا كان أساس خلقهم خطأً ! وكما نعلم فإنّ دائرة التكوين وعالم الخلق لا يعتريهما خطأ ولا سهو ، ولهذا فما يبدو في نظرنا سيّئاً ،إنّما هو سيّئ في نظرنا نحن ، لا في أساس التكوين والمصلحة العامّة لعالم الخلقة .

پير ما گفت خطا بر قلم صُنع نرفت
آفرين بر نظر پاک خطا پوشش باد[1]

إنّ جميع هؤلاء العصاة والجهلة وضَعَفة العقول مظهراً لجلال الحقّ سبحانه وتعالى وظهوره وتجلّيه : وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ،[2] لا فرق في هذا المقام بين الشمس الساطعة على العالم وبين ذرّة بلا قَدْر ؛ ولا فرق فيه بين المحيطات اللامتناهية وبين قطرة واحدة ؛ ولا بين العالم والجاهل ؛

١ـ «ديوان حافظ» ص ٧٥ ، حرف الدال ، طبعة پژمان .
يقول : «قال مرشدنا إنّ قلم الصنع لم يخطئ ؛ فمرحى للنظر النزيه الذي ينكر العيوب» .
٢ـ الآية ١٨٠ ، من السورة ٧ : الأعراف .

ولا بين السعيد والشقيّ ؛ ولا بين مَن في الجنّة ومَن في النار : فهم جميعاً مخلوقاته وتحت إرادته القاهرة . فأنّى يعاب على دائرة الخلقة من هذه الجهة ؟

لكلّ فرد من الأفراد سلوك في طريقه الخاصّ ، وله سير يسيره وصولاً إلى فنائه تحت اسم خاصّ من الأسماء الجمالية أو الجلالية للحقّ سبحانه وتعالى ، وإلى بقائه ـ من ثمّ ـ في كينونة هويته . حيث إنّ هذا العالم المليء بالعظمة والجلال بما فيها من أصحاب الجنّة وأصحاب النار ، ومن الجنّة والنار ، قائم على أُبهة عجيبة وثبات متين . ثمّ إنّ الجنّة والنار ، وأصحاب الجنّة وأصحاب النار ، يمثلون قَبَسَيْن من ذات الحقّ تعالى : قبسي الجمال والجلال .

أنوار جمال تست در ديدهٔ هر مؤمن

آثار جلال تست در سينهٔ هر كافر[1]

بَيد أنّ قبس الجمال هو الأصل والأساس ، أمّا قبس الجلال ، فباطل . ليس ذلك فحسب ، بل إنّ الله تعالى له أسماء أُخرى غير اسمَي المليك والمقتدر ، وقد ملأت العالم من جانب الرحمة والرحمانيّة والرحيميّة ، ومن جانب الجبروتيّة والقهّاريّة ؛ وكلّها أسماء حسنى .

فلماذا ـ إذاً ـ نعدُّ جهنّم نقص هذا العالم ؟

وبأيّ علّةٍ نعدُّ أصحاب النار نقصاناً في بناء الوجود الشامخ ؟

وبأيّ سبب نحصر سير الموجودات تحت اسم الرحمة والرحيميّة ؟

ألا يمثّل هذا الحصر بذاته نسبة للعيب والنقصان ؟

---

١ ـ «ديوان مغربي» ص ٧١ .
يقول : «أنوار جمالك في أعين كلّ مؤمن ، وآثار جلالك في صدر كلّ كافر» .

وإضافة إلى ذلك ، إن كان المصنوع (وهو ممثّل الصانع وأنموذجه) فاسداً ناقصاً ، فلا فرق حينئذٍ بين خلوده وعدم خلوده .

لا يمكن للموجود الفاسد الناقص أن يكون أثراً ليد الصانع الحكيم ولو للحظة واحدة . فكيف يمكن القبول بإمكان وجود مصنوع فاسد في هذا العالم بعنوان فساد ونقص ، وبإمكان وجود ذلك المصنوع الفاسد في الآخرة أيضاً أيّاماً معدودات ، ثمّ نقول بأنّ خلوده ودوامه غير معقولين ؟!

ورابعاً : أنّ عنوان قولهم «مادام الله حاكماً» هو قول منتزع من الأبديّة ، لأنّ الأبديّة من صفاته سبحانه وتعالى . وبلحاظ ورود عنوان الخلود المؤبّد في القرآن الكريم بلفظ : **خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ، فيمكن استفادة أبديّة الخلود بهذا المعنى ؛ كلّ ما في الأمر أنّ أبديّة الله قائمة بذاته ، وأبديّة خلود أصحاب الجنّة وأصحاب النار قائمة بأبديّته عزّ وجلّ .[1]

أجل ، فأفضل دليل عقليّ على خلود أصحاب الجنّة والنار هو ما أورده هشام بن الحكم ، ومحصّله أنّه لمّا كانت الآخرة دار التجرّد ومحلّ الفعليّة التامّة ، فهي إذاً دار الخلود والدوام ، لأنّ أيّ ثابت ومستقرّ فهو خالد دائم ، ولأنّ التغيّر ينافي الثبوت والاستقرار ؛ وبما أنّ عدم الخلود يستلزم التغيّر والتبدّل ، فهو ممّا يتنافى في الآخرة مع فرض التجرّد والعقليّة التامّة .

وإذا لم يكن أصحاب الجنّة مخلّدين فيها ، فما الذي سيصيبهم إذاً ؟

١ـ ومن هنا يمكن الردّ على أهل الظاهر الذين ملأوا الدنيا صخباً بقولهم بقِدَم هذا العالم ، وعدّهم ذلك منافياً لقدم الله عزّ وجلّ . فيقال لهم : كيف قلتم بأبديّة الزمان وخلود أصحاب الجنّة وأصحاب النار ، ثمّ أثرتم الصخبَ حول قِدم الزمان ؟! أوَليست الأزليّة والأبديّة كلاهما صفة لذات الحقّ المتعال ؟ فكيف تجيزون الأبديّة لغيره وتعدّون الأزليّة له محالة ؟!

ينبغي إذاً أن يُبتلوا بالضعف والفتور والنقصان ، وذلك مخالف للتجرّد ، لأنّ النشأة الآخرة ليست عالم الطبع والطبيعة والكون والفساد ولأنّها عالم لا يعتريه النقصان . أو ينبغي أن يُبتلوا بالموت فيفنون في ذات الله تعالى ويطوون مراحل الفناء . وهذا بدوره خطأ بالفرض ، لأنّهم قد فنوا من قبل واكتنفتهم الجذبات الجلاليّة ، ثمّ إنّهم بلغوا مرحلة البقاء بعد الفناء ، فانشغلوا بالجذبات الجماليّة وبالسير في آثار النشآت والتفرّج عليها .

ولو لم يكن أصحاب النار مخلّدين فيها ، فماذا سيصيبهم إذاً ؟ فلابد لهم أن يحصلوا على قدرة وقوّة يخرجون بهما من النار ، وهذا خلاف التجرّد وخلاف فرض بقائهم في تعيّنات آثارهم . أو ينبغي أن يموتوا ويفنوا ، وهذا أيضاً خلاف الفرض ، لأنهم سبق أن ماتوا وفنوا في الله وفي الجذبات القهّاريّة والكبريائيّة للحقّ تعالى ، ثمّ عادوا فاكتسبوا حياة وتعيّناً وابتلوا بآثارهم وصفاتهم وأخلاقهم في صورها الملكوتيّة الناريّة الجهنّميّة .

أجل ، هناك طائفة تخرج من نار جهنّم ، وهي طائفة الذين لم يترسّخ الكفر والشرك في أعماقهم ، بل تلوّثت به ظواهرهم فقط . وهذه الظواهر ستحترق بالنار ، فتبقى البواطن الطاهرة المتعلّقة بالجنّة . ثمّ تخرج هذه الطائفة إلى الجنّة عن طريق الشفاعة وغيرها .

وينبغي العلم بأنّ ذلك الخروج هو نوع من التجلّي الملكوتيّ والنوعيّ لأعمالهم وصفاتهم ونواياهم .

وعلى هذا المنوال فمضافاً على الآيات القرآنيّة التي جاءت بألفاظ **الخلود والأبديّة** التي تبيّن خلود أصحاب النار من المشركين والكافرين المكذّبين والمنكرين الجاحدين والطغاة الباغين والمعتدين والظالمين المتجبّرين ؛ فإنّ هناك آيات أُخرى تبيّن أمر هذا الخلود بألفاظ وعناوين أُخرى . ونذكر في هذا المجال بعضاً من هذه الآيات :

وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ .[١]

ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ .[٢]

أُولَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا .[٣]

أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ .[٤]

ونشاهد في هذه الآيات ونظائرها أنّها قد جعلت جهنّمَ مثوى ومنزلاً ومهاداً لأصحاب النار والظالمين ، بل عدّتها محلّ إقامتهم الذي لا يتجاوزونه إلى غيره ولا يجدون عنه محيصاً ؛ وهذا بذاته هو معنى الخلود .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا .[٥]

وتقول هذه الآية على نحو التعميم بأنّنا كلّما احترقت جلود أصحاب النار إثر طغيان النار وشدّتها ، بدّلناها على الفور بجلود أُخرى ؛ دون أن تقيّد الآية ذلك بوقت معيّن ، ولا أن تحدّه بزمان خاصّ . بل هي تصرّح بهذا المعنى على نحو الإطلاق ؛ وهذا هو معنى الخلود .

مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ .[٦]

وتوضح هذه الآية أنّ الموت يحيط بالجهنّميّ باستمرار ، وأنّه يُبتلى

١ـ الآية ١٥١ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٢ـ الآية ١٩٧ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٣ـ الآية ١٢١ ، من السورة ٤ : النساء .

٤ـ الآية ٦٠ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٥ـ الآية ٥٦ ، من السورة ٤ : النساء .

٦ـ الآيتان ١٦ و١٧ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

بهذا العذاب دون أن يموت .

وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا.[1]

وتذكر هذه الآية على نحو بيان قاعدة كلّيّة عامّة أنّ ورود الجميع إلى جهنّم هو أمر حتميّ ، وأنّ المتّقين فقط هم الذين يخرجون منها ؛ أمّا الظالمون فسوف يُتركون فيها . وهذه هي أصالة تحقّق جهنّم وحتميّتها ؛ أمّا الخروج من جهنّم فيحتاج إلى دليل ، وهو استثناء المتّقين ؛ ثمّ يبقى الظالمون بأجمعهم فيتحتّم عليهم البقاء فيها ؛ وهذا هو الخلود بعينه .

كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ.[2]

وتبيّن هذه الآية بوضوح أنّه ينبغي للكافرين أن يبقوا في النار ، وأن لا سبيل لهم للخروج منها .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ (ثمّ يخاطبون) أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ.[3]

وتظهر هذه الآية أنّ الكفّار الذين يردون جهنّم كلّما ضجّوا فيها وصاحوا واصطرخوا واستغاثوا ليخرجوا منها ، لم يجدوا للفرار عنها سبيلاً ، فقد تمّت عليهم الحجّة في الدنيا ، وهذه هي عين حقيقة الخلود .

١ـ الآيتان ٧١ و٧٢ ، من السورة ١٩ : مريم .

٢ـ الآية ٢٢ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

٣ـ الآيتان ٣٦ و٣٧ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ * (فقال في جوابهم) ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ.[1]

وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ.[2]

(فهو رازح في العذاب دائماً . يتأرجح بين الموت والحياة) .

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ.[3]

ويلاحظ كيف أنّ الحكم قد صدر على هؤلاء بالمكث في جهنّم دون أيّ ذكر لخروجهم منها ، فقد صدر الحكم عليهم على نحو الإطلاق والعموم ليقيموا في جهنّم .

يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ (كقولكم للنبيّ من قبل إنّك ساحر) أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ.[4]

وتثير هذه الآية المباركة العجب في بيانها لهذا المعنى ، لأنّها عقّبت على عبارة : فَٱصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ، بعبارة : إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا

١ـ الآيتان ١١ و١٢ ، من السورة ٤٠ : المؤمن .

٢ـ الآيات ١١ إلى ١٣ ، من السورة ٨٧ : الأعلى .

٣ـ الآيات ٧٤ ، إلى ٧٨ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

٤ـ الآيات ١٣ إلى ١٦ ، من السورة ٥٢ : الطور .

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ؛ أي أنّ هذا الجزاء والعذاب الذي تلقونه هو جزاء على عملكم ، بل هو عملكم بذاته ؛ وعملكم معكم لا ينفكّ عنكم . وكما أنّه لا يمكن فصل الإنسان عن نفسه ، فكذلك لا يمكن فصله عن عمله الذي هو أثره ووليده ومعلوله .

ومن هنا ، فالآية تفيد أمر البقاء بالله والسيطرة على ملكوت العمل ، وتبيّن بعد ذلك أمر الخلود .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ .[١]

وقد عدّت هذه الآية الاستقرار في الموضع الجهنّميّ متفرّعاً على التمتّع والأكل المقترن بالغفلة كالحيوانات . وكما أنّ البهيمة لا تدرك أيّ شيء عن التوحيد والربوبيّة والمعرفة ، فتكون البهيميّة من لوازم نفسها التي لا يمكن فصلها عنها ؛ فإنّ الكفّار المشغولين بالمتع التي يسوقهم إليها الهوى والهوس ، وبالأكل بنهم وشراهة كالأنعام ، ستلازم هذه الصفة أنفسهم فيخلّدون فيها . ولذلك فهم مخلّدون في نار جهنّم التي هي طلوع وتجلّي هذا العمل البهيميّ ، وثاوون في النار التي هي دار إقامتهم الأبديّة .

ويتّضح ممّا مرّ ، أنّ الآيات القرآنيّة تدلّ على الخلود ، بل وتصرّح به ، وأنّ ما توهّمه البعض من أنّ الخلود الوارد في الآيات ليس بمعنى الأبديّة والبقاء الدائميّ ، ما هو إلّا توهّم خاطئ يفتقر إلى الدليل .

أمّا الآيات الواردة في سورة النبأ ، فليس فيها ما يدلّ على نفي الخلود ، إذ تقول :

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا * لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا *

١ـ الآية ١٢ ، من السورة ٤٧ : محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم .

لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا.[1]

فاللبث أحقاباً يعني البقاء دهوراً وأزمنة طويلة ، ولا دلالة فيها على تحديد لزمان ذلك اللبث والبقاء .

قال **العلّامة الطباطبائيّ** مدّ ظلّه السامي : قوله تعالى : **لَابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا** ، الأحقاب : الأزمنة الكثيرة والدهور الطويلة من غير تحديد .

وهو جمع اختلفوا في واحده ، فقيل : واحده **حُقْب** بالضمّ فالسكون ، أو بضمّتين . وقد وقع في قوله تعالى : **أَوْ أَمْضِى حُقُبًا** (الآية ٦٠ ، من السورة ١٨ : الكهف) . **حَقْب** بالفتح فالسكون ، وواحد الحقب **حِقْبَة** بالكسر فالسكون . قال الراغب : والحقّ أنّ الحقبة مدّة من الزمان مبهمة ـ انتهى .

وحدّ بعضهم الحقب بثمانين سنة أو ببضع وثمانين سنة ، وزاد آخرون أنّ السنة منها ثلاثمائة وستون يوماً ، كلّ يوم يعدل ألف سنة ، وعن بعضهم أنّ الحقب أربعون سنة ؛ وعن آخرين أنّه سبعون ألف سنة ، إلى غير ذلك ، ولا دليل من الكتاب يدلّ على شيء من هذه التحديدات ولم يثبت من اللغة شيء منها . وظاهر الآية أنّ المراد بالطاغين : المعاندون من الكفّار ؛ ويؤيّده قوله ذيلاً : **إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا**.

وقد فسّروا **أَحْقَابًا** في الآية بالحقب بعد الحقب ؛ فالمعنى حال كون الطاغين لابثين في جهنّم حقباً بعد حقب بلا تحديد ولا نهاية ، فلا تنافي الآية ما نصّ عليه القرآن من خلود الكفّار في النار .

وقيل : إنّ قوله : **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا** ... إلى آخره ، صفة **أَحْقَابًا** ؛ والمعنى لابثين فيها أحقاباً هي على هذه الصفة ، وهي أنّهم لا يذوقون فيها برداً

١ـ الآيات ٢١ إلى ٢٥ ، من السورة ٧٨ : النبأ .

ولا شراباً إلّا حميماً وغسّاقاً ، ثمّ يكونون على غير هذه الصفة إلى غير النهاية ؛ وهو حسن لو ساعد السياق .[1]

وقد نقل الشيخ الطبرسيّ للفظ أحقاب كثيراً من المعاني عن عدد كبير من علماء العامّة ، تنطبق بأجمعها في النتيجة على أمر الخلود ؛ وقال في أحدها : وخامسها (أي خامس الأقوال) أنّه يعني به أهل التوحيد ، عن خالد بن معدان . وأضاف الطبرسيّ بأنّ العيّاشيّ روى بإسناده عن حمران ، قال : سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية فقال : هذه في الذين يخرجون من النار . وروي عن الأحْوَل مثله .[2]

وبناء على هذا التفسير أيضاً ، فإنّ آيات الخلود ثابتة وباقية في مواضعها لأنّ الخلود للكفّار لا للموحّدين . إلّا أنّ القول الحقّ هو قول العلّامة الطباطبائيّ . لأنّ ما يُستنتج من ذيل الآيات هو أنّ هذه الآيات قد وردت في حقّ المكذّبين والكافرين المعاندين .

وعلى هذا ، فاستشهاد صاحب المقالة الرابعة الذي ذكر ذيل كلامه آيتي الاستثناء : **إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ** ، و : **لَـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا** ،[3] سيبقى استشهاداً ناقصاً ، فقد اتّضح تفسير **أحقاباً** ؛ ومرّ تفسير **إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ** في مطلع البحث ، وتبيّن أنّ المراد به ليس خروج الكافرين المتحقّق في الخارج ، بل المراد به بقاء الإرادة والمشيئة الإلهيّة .

خلود المشركين والكفّار في النار

يروي الصدوق في كتاب «التوحيد» عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ،

١ـ تفسير «الميزان» ج ٢ ، ص ٢٦٦ و ٢٦٧ .

٢ـ تفسير «مجمع البيان» ج ٥ ، ص ٤٢٤ ، طبعة صيدا .

٣ـ «نهج البصيرة» ص ٢٧ و ٢٨ .

عن ابن أبي عُمير ، قال :

سمعتُ موسى بن جعفر عليهما السلام ، يقول :

لَا يُخَلِّدُ اللهُ فِي النَّارِ إِلَّا أَهْلَ الكُفْرِ وَالجُحُودِ وَأَهْلَ الضَّلَالِ وَالشِّرْكِ ؛ ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يُسأل عن الصغائر ؛ قال الله تبارك وتعالى : **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا**.[1]

قال (ابن أبي عمير) : فقلتُ له : يا بن رسول الله ؛ فالشفاعة لمن تجب من المذنبين ؟

قال : حدّثني أبي ، عن آبائه ، عن عليّ عليهم السلام ، قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول : **إِنَّمَا شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي ، فَأَمَّا المُحْسِنُونَ مِنْهُمْ فَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**.

قال (ابن أبي عمير) : فقلت له : يا بن رسول الله ؛ فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى ذِكرُه يقول : **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**،[2] ومن يرتكب الكبائر لا يكون مُرْتضى ؟

فقال : يا أبا أحمد ! ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلّا ساءه ذلك وندم عليه ، وقد قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : **كَفَى بِالنَّدَمِ تَوْبَةً** ؛ وقال عليه السلام : **مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ** ؛ فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة وكان ظالماً ، والله تعالى ذِكرُه يقول : **مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**.[3]

١ـ الآية ٣١ ، من السورة ٤ : النساء .

٢ـ الآية ٢٨ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٣ـ الآية ١٨ ، من السورة ٤٠ : غافر .

فقلت له : يابن رسول الله ؛ وكيف لايكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه ؟

فقال : يا أبا أحمد ! ما مِن أحدٍ يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنّه سيعاقَب عليها ، إلّا ندم على ما ارتكب ، ومتى ندم كان تائباً مستحقّاً للشفاعة . ومتى لم يندم عليها كان مصرّاً ، والمصرّ لا يُغفر له ، لأنّه غير مؤمنٍ بعقوبة ما ارتكب ، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم ؛ وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

لَا كَبِيرَةَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الإصْرَارِ. وأمّا قول الله عزّ وجلّ : **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ** ، فإنّهم لا يشفعون إلّا لمن ارتضى الله دينه ؛ والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيّئات ، فمن ارتضى اللهُ دينَه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفته بعاقبته في القيامة .[1]

وجاء في كتاب «العيون» أنّ ممّا كتبه الإمام الرضا عليه السلام للمأمون ، قوله : **إنَّ اللَهَ لا يُدْخِلُ النَّارَ مُؤْمِناً وَقَدْ وَعَدَهُ الجَنَّةَ ؛ وَلَا يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ كَافِراً وَقَدْ أَوْعَدَهُ النَّارَ وَالخُلُودَ فِيهَا . وَمُذْنِبُو أَهْلِ التَّوْحِيدِ يَدْخُلُونَ النَّارَ وَيَخْرُجُونَ مِنْهَا ، وَالشَّفَاعَةُ جَائِزَةٌ لَهُمْ**.[2]

ويروي الصدوق في كتاب «صفات الشيعة» عن أبيه ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن محمّد بن حمران ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، قال : **مَنْ قَالَ لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ مُخْلِصاً دَخَلَ الجَنَّةَ ؛ وَإخْلَاصُهُ أَنْ يَحْجُزَهُ لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللَهُ**.[3]

١ـ «التوحيد» للصدوق ، ص ٤٠٧ و٤٠٨ ، طبعة المطبعة الحيدريّة ، ١٣٨٧ هجريّة .

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣٦٢ ، الطبعة الحروفيّة ، عن «عيون أخبار الرضا» .

٣ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣٥٩ ، عن «صفات الشيعة» .

ويروي في نفس الكتاب عن ابن المتوكّل ، عن محمّد الحميريّ ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن أبي عبيده الحذّاء ، قال : **سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ، قَامَ عَلَى الصَّفَا ، فَقَالَ : يَا بَنِي هَاشِم ! يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ! إنِّي رَسُولُ اللَهِ إلَيْكُمْ ، وَإنِّي شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ ! لاَ تَقُولُوا إنَّ مُحَمَّداً مِنَّا ! فَوَاللَهِ مَا أَوْلِيَائِي مِنْكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِكُمْ إلَّا المُتَّقُونَ.**

أَلَا فَلَا أَعْرِفُكُمْ تَأْتُونِي يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْمِلُونَ الدُّنْيَا عَلَى رِقَابِكُمْ ، وَيَأْتِي النَّاسُ يَحْمِلُونَ الآخِرَةَ ! أَلَا وَإنِّي قَدْ أَعْذَرْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَفِيمَا بَيْنَ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَكُمْ ؛ وَإنَّ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلَكُمْ.[1]

الموحّدون قاطبة يدخلون الجنّة

يروي المرحوم الصدوق في «الأمالي» عن حمزة العلويّ ، عن عليّ ابن إبراهيم ، عن النهاونديّ ، عن عبد الله بن حمّاد ، عن الحسين بن يحيى بن الحسين ، عن عمرو بن طلحة ، عن أسباط بن جعفر ، عن عكرمة ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

والذي بعثني بالحقّ بشيراً لا يعذّب الله بالنار موحّداً أبداً ؛ وإنّ أهل التوحيد ليشفعون فيُشفَّعون . ثمّ قال عليه السلام : إنّه إذاكان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقوم ساءت أعمالهم في دار الدنيا إلى النار ، فيقولون : يا ربّنا !كيف تُدخلنا النار وقدكنّا نوحّدك في دار الدنيا ؟ وكيف تُحرق بالنار ألسنتنا وقد نطقتْ بتوحيدك في دار الدنيا ؟ وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدت على أن لا إله إلّا أنت ؟ أم كيف تحرق وجوهنا وقد عفّرناها لك في

١ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣٥٩ ، عن «صفات الشيعة» .

التراب ؟ أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك ؟

فيقول الله جلّ جلاله : عبادي ! ساءت أعمالُكم في دار الدنيا ، فجزاؤكم نار جهنّم .

فيقولون : يا ربّنا عفوك أعظم أم خطيئتنا ؟

فيقول : بل عفوي .

فيقولون : إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا ؟

فيقول عزّ وجلّ : بل إقرارُكم بتوحيدي أعظم .

فيقولون : يا ربّنا ؟ فليسعنا عفوك ورحمتك التي وسعت كلّ شيء .

فيقول الله جلّ جلاله : ملائكتي ! وعزّتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً أحبّ إلَيّ من المقرّين بتوحيدي ، وأن لا إله غيري ؛ وحقّ عَلَيّ أن لا أصلي بالنار أهل توحيدي . أدخلوا عبادي الجنّة .[1]

ويروي الصدوق في «الخصال» عن أبيه ، عن أحمد بن إدريس ، عن الأشعريّ ، عن سهل ، عن محمّد بن الحسين بن زيد ، عن محمّد بن سنان ، عن المنذر بن يزيد ، عن أبي هارون المكفوف ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا هارون ! إنّ الله تبارك وتعالى آلى على نفسه أن لا يجاوره خائن .

قال : قلتُ : وما الخائن ؟

قال : مَن ادّخر عن مؤمن درهماً أو حبس عنه شيئاً من أمر الدنيا .

قلتُ : **أَعُوذُ بِاللَهِ مِنْ غَضَبِ اللَهِ !**

فقال : إنّ الله تبارك وتعالى آلى على نفسه أن لا يُسكن جنّته أصنافاً ثلاثة : رادٌّ على الله عزّ وجلّ ، أو رادٌّ على إمام هدى ، أو من حبس حقّ

١ـ «الأمالي» للصدوق ، ص ١٧٨ ، المجلس ٤٩ ، الطبعة الحجريّة .

امرئ مؤمن .

قال : قلتُ : يعطيه من فضل ما يملك ؟

قال : يعطيه من نفسه وروحه ، فإن بخل عليه مسلم بنفسه فليس منه ، إنّما هو شرك الشيطان .[1]

كما يروي في «الخصال» عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ ، عن أبيه ، عن محمّد بن سنان ، عن بعض رجال حديثه ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :

ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ : السَّفَّاكُ لِلدَّمِ ، وَشَارِبُ الخَمْرِ ، وَمَشَّاءٌ بِنَمِيمَةٍ .[2]

ويروي الكلينيّ في «الكافي» بإسناده عن ابن أبي يعفور ، قال : سمعت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام يقول :

ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَهُ إلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : مَن ادَّعَى إمَامَةً مِنَ اللهِ لَيْسَتْ لَهُ ؛ وَمَنْ جَحَدَ إمَاماً مِنَ اللهِ ؛ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُمَا فِي الإسْلَامِ نَصِيباً .[3]

كما يروي في «الكافي» عن أحمد بن إدريس ، عن محمّد بن عبد الجبّار ، عن صفوان عن الفضيل ، عن الحارث بن المغيرة ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : **مَنْ مَاتَ لَا يَعْرِفُ إمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ؟**

١ـ «الخصال» ج ١ ، ص ٧٣ ، باب الثلاثة ، الطبعة الحجريّة ؛ و«بحار الأنوار» ج ٨ ص ٣٥٧ ، الطبعة الحروفيّة .

٢ـ «الخصال» ج ١ ، ص ٨٥ ، باب الثلاثة .

٣ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣٦٣ ، الطبعة الحروفيّة ؛ ولكن في «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ٣٧٣ ، هكذا : **ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَهُ .**

قال : نعم .

قلت : جَاهِلِيَّةٌ جَهْلَاءُ ، أَوْ جَاهِلِيَّةٌ لَا يَعْرِفُ إمَامَهُ ؟

قال : جَاهِلِيَّةُ كُفْرٍ وَنِفَاقٍ وَضَلَالٍ .[1]

وروى العيّاشيّ في تفسيره ، عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ؟[2]

قال : أَعْدَاءُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمُ المُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ أَبَدَ الآبِدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ .[3]

وفي «تفسير فرات بن إبراهيم» عن جعفر بن محمّد ، مرفوعاً عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : كُلُّ نَاصِبٍ وَإنْ تَعَبَّدَ مَنْسُوبٌ إلَى هَذِهِ الآيَةِ : «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ» ـ الآيات .[4]

وروى الكلينيّ في «الكافي» عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمروبن أبي المقدام ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قَالَ أَبِي : كُلُّ نَاصِبٍ وَإنْ تَعَبَّدَ وَاجْتَهَدَ مَنْسُوبٌ إلَى هَذِهِ الآيَةِ : «عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً» ؛ كُلُّ نَاصِبٍ مُجْتَهِدٍ فَعَمَلُهُ هَبَآءٌ ـ الحديث .[5]

وروى الصدوق في «عيون أخبار الرضا» بإسناده عن المفضّل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : لمّا أُسري بي إلى السماء أوحى إلَيَّ ربّي جلّ

١ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ٣٧٧ .

٢ـ الآية ١٦٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣ـ «تفسير العيّاشيّ» ج ١ ، ص ٧٣ .

٤ـ «تفسير فرات» ص ٢٠٨ .

٥ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣٥٦ ، عن «الكافي» .

جلاله ؛ وساق الحديث في محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام إلى أن قال :

يَا مُحَمَّدُ ! لَوْ أَنَّ عَبْداً عَبَدَنِي حَتَّى يَنْقَطِعَ وَيَصِيرَ كَالشَّنِّ البَالِي ، ثُمَّ أَتَانِي جَاحِداً لِوَلَايَتِهِمْ مَا أَسْكَنْتُهُ جَنَّتِي وَلَا أَظْلَلْتُهُ تَحْتَ عَرْشِي ـ الخبر .[1]

وروى الكلينيّ في «الكافي» عن عليّ بن محمّد ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن عثمان بن عيسى ، عن مَيْسَر ، قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ، فقال : كيف أصحابك ؟

فقلت : جعلت فداك ، لنحن عندهم أشرُّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا .

قال : وكان متّكئاً فاستوى جالساً ؛ ثمّ قال : كيف قُلتَ ؟

قلت : والله لنحن عندهم أشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا .

فقال : أما واللهِ لا يدخل النار منكم اثنان ؛ لا واللهِ ولا واحد . واللهِ إنّكم الذين قال الله عزّ وجلّ : **وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ * إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ** ؛[2] ثمّ قال : طلبوكم واللهِ في النار فما وجدوا منكم أحداً .[3]

وروى في «الكافي» عن محمّد بن يحيى ، عن حمدان بن سليمان ، عن عبد الله بن محمّد اليمانيّ ، عن منيع بن الحجّاج ، عن يونس ، عن صباح المُزنيّ ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر (الباقر) أو أبي عبد الله

---

١ ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣٥٧ ، عن «العيون» ص ٣٧ .

٢ ـ الآيات ٦٢ إلى ٦٤ ، من السورة ٣٨ : ص .

٣ ـ «روضة الكافي» ص ٧٨ .

(الصادق) عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ : بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓئَتُهُۥ ؛ قال : إذا جحد إمامة أمير المؤمنين فَأُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ.[١]

وفي «تفسير فرات بن إبراهيم» عن الحسين بن سعيد ، عن عبد الله ابن وضّاح اللؤلؤيّ ، عن إسماعيل بن أبان ، عن عمرو بن الشمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ، قال :

قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ قَالَ : فَأَقُومُ أَنَا ، فَيُقَالُ لِي : أَنْتَ عَلِيٌّ ؟! فَأَقُولُ : أَنَا ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ وَوَصِيُّهُ وَوَارِثُهُ ! فَيُقَالُ لِي : صَدَقْتَ ، ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلِشِيعَتِكَ ، فَقَدْ أَمَّنَكَ اللَّهُ وَأَمَّنَهُمْ مَعَكَ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ. ادْخُلُوا الْجَنَّةَ آمِنِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ.[٢]

ولقد بحثنا في أمر الخلود بالقدر الكافي الذي اقتضاه المقام ؛ ونختم الآن هذا البحث بهذا التذييل الذي أورده جدّنا الأعلى لأُمّنا : المرحوم العلّامة المجلسيّ رضوان الله تعالى عليه،وباعتبار تطابق نظرنا الذي ذكرناه في هذا المجلس في أمر الخلود مع نظر جدّنا العلّامة ، فإنّ هذا التذييل سيكون في حقيقة الأمر بياناً لخلاصة نظريّتنا في أمر الخلود .

قال المجلسيّ : اعلم أنّ الذي يقتضيه الجمع بين الآيات والأخبار ، أنّ الكافر المنكر لضروريّ من ضروريّات دين الإسلام مخلّد في النار ، لا يُخفّف عنه العذاب ؛ إلّا المستضعَف الناقص في عقله ، أو الذي لم تتمّ عليه الحجّة ولم يقصّر في الفحص والنظر ، فإنّه يُحتمل أن يكون من

١ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣٥٨ ، عن «الكافي» .

٢ـ «تفسير فرات» ص ١٥٣ .

المُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَهِ كما سيأتي تحقيقه في كتاب الإيمان والكفر .

وأمّا غير الشيعة الإماميّة من المخالفين وسائر فرق الشيعة ممّن لم يُنكر شيئاً من ضروريّات دين الإسلام ، فهم فرقتان :

إحداهما : المتعصّبون المعاندون منهم ، ممّن قد تمّت عليهم الحجّة ، فهم في النار خالدون .

والأُخرى : المستضعفون منهم ، وهم الضعفاء العقول مثل النساء العاجزات والبله وأمثالهم ، ومن لم يتمّ عليه الحجّة ممّن يموت في زمان الفترة ، أو كان في موضع لم يأت إليه خبر الحجّة ، فهم **المُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَهِ** ؛ إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم ، فيُرجى لهم النجاة من النار .

وأمّا أصحاب الكبائر من الإماميّة ، فلا خلاف بين الإماميّة في أنّهم لا يُخلَّدون في النار ، وأمّا أنّهم هل يدخلون النار أم لا ؟ فالأخبار مختلفة فيهم اختلافاً كثيراً ، ومقتضى الجمع بينها أنّه يُحتمل دخولهم النار،وأنّهم غير داخلين في الأخبار التي دلّت على أنّ الشيعة والمؤمن لا يدخل النار ، لأنّه قد ورد في أخبار أُخر : **أَنَّ الشِّيعَةَ مَنْ شَايَعَ عَلِيًّا فِي أَعْمَالِهِ** ، وأنّ الإيمان مركّب من القول والعمل ، لكنّ الأخبار الكثيرة دلّت على أنّ الشفاعة تلحقهم قبل دخول النار ، وفي هذا التبهيم حِكَمٌ لا يخفى بعضها على أُولي الأبصار .[1]

وكلام المجلسيّ رحمة الله عليه السالف هو بيان وتفصيل لكلام الصدوق في «العقائد» حيث يقول :

اعتقادنا في النار أنّها دار الهوان ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان ، ولا يُخلّد فيها إلّا أهل الكفر والشرك .

١ـ «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٣٦٣ و ٣٦٤ ، الطبعة الحروفيّة .

فأمّا المذنبون من أهل التوحيد ، فيخرجون منها بالرحمة التي تدركهم والشفاعة التي تنالهم .

أجل ، فمن المناسب ؛ ونحن نختتم الكتاب ؛ أن نورد مقطعاً من قصيدة شاعر أهل البيت عليهم السلام في القرن الخامس الهجريّ : المؤيّد في الدين ، داعي الدعاة ، هبة الله ابن موسى بن داود الشيرازيّ ؛ ونُنهي هذه الدورة من العلوم والمعارف الإسلاميّة بتصريحه القائل بأنّ السبيل الأوحد لسعادة الدار الآخرة هي ولاية أهل البيت واتّباع نصّ غدير خُمّ .[١]

قَالَ وَالرَّحْـلُ لِلسُّـرَى مَحْمُـولُ　　حُقَّ مِنْكَ النَّـوَى وَجُـدَّ الرَّحِيلُ
وَعَدَا الهَـزْلُ فِي القَطِيعَـةِ جِـدّاً　　مَا كَـذَا كَـانَ مِنْـكَ لِي المَأْمُولُ

١ـ على الرغم من أنّ شاعرنا رجل العلم والأدب كان إيرانيّاً من أهل شيراز ، لكنّه كان من علماء العربيّة الأجلّاء ، ومن أساتذة الأدب العربيّ الأعلام ، بل يمكن عدّه من النوابغ حقّاً . ولد في شيراز في حدود سنة ٣٩٠ هـ ، ونشأ فيها وترعرع ، ثمّ سافر إلى بلادٍ كثيرة ، حتّى استقرّ به المطاف إلى الإقامة في مصر ؛ وتوفّي سنة ٤٧٠ هـ.

وكان شاعرنا من شيعة أهل البيت عليهم السلام المخلصين الوالهين ، وقد تحمّل الكثير من المصائب والمصاعب في طريق نشر نهج التشيّع ، إلّا أنّه لم يتخلّ عن همّته العالية . ولم تصرفه عن عزمه الحوادث القاصمة والمصائب الراتبة ، فقد استصغر في مسيرته كلّ عقبة كؤود . وقد كتب يصف أحواله في سيرته التي دوّنها (ص ٩٩) في مقابل الخليفة العبّاسيّ المستنصر بالله : **وأنا شيخ هذه الدعوة ويدها ولسانها ومَن لا يماثلني أحد فيها .**

وكان المؤيّد في الدين من دعاة الفاطميّين ، ولم يدّخر في هذا السبيل وسعاً ، ولم يخش من شيء ، وكان مبرّزاً في المناظرة والاحتجاج ، وكان له اطّلاع واسع على معالم الدين وعلى التأريخ ، وقد خلّف أبحاثاً راقية عن الكتاب والسنّة تشهد بتضلّعه فيها ووقوفه على حقائقها . وكان له ـ كما يؤرّخ لنفسه ـ مباحثات مع علماء السنّة في شيراز في حضور السلطان أبي كاليجار تُظهر إحاطته بالعلوم الدينيّة والتأريخ والكتاب والسنّة . وقد ألّف هذه السيرة في أحواله بين سنة ٤٢٩ و ٤٥٠ هجريّة . وله ـ مضافاً إلى كتبه العديدة ـ رسائل في المناظرة مع أبي العلاء المعرّيّ في موضوع تناول اللحم .

قُلْتُ ، وَالقَلْبُ حَسْرَةً يَتَقَلَّى وَعَلَى الخَدِّ دَمْعُ عَيْنِي يَسِيلُ
بِأَبِي أَنْتَ مَا اقْتَضَى البَيْنُ إلاّ قَدَرٌ ثُمَّ عَهْدُكَ المُسْتَحِيلُ
كَمْ وَكَمْ قُلْتُ خَلِّنِي يَا خَلِيلِي مِنْ جَفَاءٍ مِنْهُ الجِبَالُ تَزُولُ ؟!
إنَّمَا أَمْرُهُ لَدَيْكَ خَفِيفٌ وَهُوَ ثِقْلٌ عَلَى فُؤَادِي ثَقِيلُ
إنَّكَ السَّالِمُ الصَّحِيحُ وَإنِّي مِنْ غَرَامٍ بِكَ الوَقِيذُ العَلِيلُ
قَالَ : قَدْ مَرَّ ذَا فَهَلْ مِنْ مُقَامٍ عِنْدَنَا ؟ قُلْتُ : مَا إلَيْهِ سَبِيلُ
قَالَ : إنِّي لَدَى مُرَادِكَ بَاقٍ قُلْتُ : مَا إنْ تَفِي بِمَا قَدْ تَقُولُ
قَالَ : أَضْرَمْتَ فِي الحَشَا نَارَ شَوْقٍ حَرُّ أَنْفَاسِهَا عَلَيْهَا دَلِيلُ
قُلْتُ : حَسْبِي الَّذِي لَقِيتُ هَوَاناً فَلِقَاءُ الهَوَانِ عِنْدِي يَهُولُ
فَقَبِيحٌ بِيَ التَّصَابِي وَهَذَا عَسْكَرُ الشَّيْبِ فَوْقَ رَأْسِي نُزُولُ
إنَّ أَمْرَ المَعَادِ أَكْبَرُ هَمِّي فَاهْتِمَامِي بِمَا عَدَاهُ فُضُولُ
كَثُرَ الخَائِضُونَ بَحْرَ ظَلَامٍ فِيهِ وَالمُؤْنِسُو الضِّيَاءِ قَلِيلُ
قَالَ قَوْمٌ : قُصْرَى الجَمِيعِ التَّلَاشِي فِئَةٌ مُنْتَهَاهُمُ التَّعْطِيلُ
وَادَّعَى آخَرُونَ نَسْخاً وَفَسْخاً وَلَهُمْ غَيْرُ ذَاكَ حَشْوٌ طَوِيلُ
وَأَبَوا بَعْدَ هَذِهِ الدَّارِ دَاراً نَحْوَهَا كُلُّ مَنْ يَؤُولُ يَؤُولُ
لَمْ يَرَوْا بَعْدَهَا مَقَامَ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ لَهُمْ إلَيْهِ وُصُولُ
فَالْمُثَابُونَ عِنْدَهُمْ مُتْرَفُوهُمْ وَلِذِي الفَاقَةِ العَذَابُ الوَبِيلُ
قالَ قَوْمٌ وَهُمْ ذَوُو العَدَدِ الجَـ ـمِّ : لَنَا الزَّنْجَبِيلُ وَالسَّلْسَبِيلُ
وَلَنَا بَعْدَ هَذِهِ الدَّارِ دَارٌ طَابَ فِيهَا المَشْرُوبُ وَالمَأْكُولُ
وَلِكُلٍّ مِنَ المَقَالَاتِ سُوقٌ وَإمَامٌ وَرَايَةٌ وَرَعِيلُ
مَا لَهُمْ فِي قَبِيلِ عَقْلٍ كَلَامٌ لَا وَلَا فِي حِمَى الرَّشَادِ قَبُولُ
أُمَّةٌ ضَيَّعَ الأَمَانَةَ فِيهَا شَيْخُهَا الخَامِلُ الظَّلُومُ الجَهُولُ
بِئْسَ ذَاكَ الإنْسَانُ فِي زُمَرِ الإنْسِ وَشَيْطَانُهُ الخَدُوعُ الخَذُولُ

فَهُمُ التَّائِهُونَ فِي الأَرْضِ هَلْكَى عَقْدُ دِينِ الهُدَى بِهِمْ مَحْلُولُ
نَكَسُوا وَيْلَهُمْ بِبَابِلَ جَهْراً جُمَلٌ ذَا وَرَاءَهَا تَفْصِيلُ
مُنِعُوا صَفْوَ شَرْبَةٍ مِنْ زُلَالٍ لَيْسَ إلَّا بِذَاكَ يُشْفَى الغَلِيلُ
مَلَّكُوا الدِّينَ كُلَّ أُنْثَى وَخُنْثَى وَضَعِيفٍ بِغَيْرِ بَأْسٍ يَصُولُ

إلى أن يقول:

لَوْ أَرَادُوا حَقِيقَةَ الدِّينِ كَانُوا تَبَعاً لِلَّذِي أَقَامَ الرَّسُولُ
وَأَتَتْ فِيهِ آيَةُ النَّصِّ بَلِّغْ يَوْمَ خُمٍّ لَمَّا أَتَى جِبْرِيلُ
ذَاكُمُ المُرْتَضَى عَلِيٌّ بِحَقٍّ فَبِعُلْيَاهُ يَنْطِقُ التَّنْزِيلُ
ذَاكَ بُرْهَانُ رَبِّهِ فِي البَرَايَا ذَاكَ فِي الأَرْضِ سَيْفُهُ المَسْلُولُ
فَأَطِيعُوا جُحْداً أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ فَلَهُمْ فِي الخَلَائِقِ التَّفْضِيلُ
أَهْلُ بَيْتٍ عَلَيْهِمْ نَزَلَ الذِّكْـ ـرُ وَفِيهِ التَّحْرِيمُ وَالتَّحْلِيلُ
هُمْ أَمَانٌ مِنَ العَمَى وَصِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ لَنَا وَظِلٌّ ظَلِيلُ[1]

لِلَّهِ الحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ فقد انتهت مجالس «معرفة المعاد» ظهر يوم الرابع من شهر جمادي الآخرة لسنة ألف وأربعمائة وثلاث هجرية قمريّة في مدينة مشهد الرضويّة المقدّسة، على شاهدها آلاف التحيّة والإكرام.

وكما سبق وذكرنا في المقدّمة، فقد جرت المذاكرة في أصل هذه الأبحاث مع إخوة الدين وطلبة العلوم الدينيّة في مدينة طهران خلال شهر رمضان لسنتي ١٣٩٦ و١٣٩٩ هجريّة قمريّة، إلّا أنّه لم يحالفني التوفيق لتدوينها آنذاك على هذه الصورة، ولم تثمر المساعي التي بذلتها إلى ما قبل ثلاث سنوات إلّا إلى تدوين جزء واحد ونصف الجزء. **وَلِلَّهِ الحَمْدُ وَلَهُ المِنَّة**، فخلال هذه السنوات الثلاث التي هاجرتُ فيها إلى العتبة المقدّسة المباركة

١ـ «الغدير» ج ٤، ص ٣٠٤ و٣٠٥.

لثامن الحجج عليّ بن موسى الرضا عليه السلام للثم أعتاب هذه الروضة الرضويّة المقدّسة ، وألقيتُ فيها رحال الذنوب عند فناء بضعة الرسول المحروس بالملائكة ، واخترتُ الإقامة والتوطّن في هذه البلدة المقدّسة ، فقد أنهيت تدوين الأجزاء العشرة من دورة «معرفة المعاد» من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة ، ناهيك عن رسائل وكتب أُخرى غيرها .
وكنت أحسب قبلاً أنّ مجموع هذه المجالس سيكون بعضاً وستّين مجلساً ، بَيد أنّها بلغت خمسة وسبعين مجلساً ، وهو أمر لا يعود إلّا إلى بركات القبر الأطهر للإمام عليه السلام ، فضلاً عن الفيوضات النابعة من النفس القدسيّة العرشيّة الناطقة لذلك الإمام ، والتي تحيط بعالم ما سوى الله تعالى ، وتدير وتتعاهد كلّ ذرّة بإشعاع نور الحضرة الأحديّة سبحانه وتعالى .

من اگر خارم وگر گل چمن آرائی هست
که از آن دست که می‌پروردم می‌رویم[1]

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الآنَ إلَى يَوْمِ الدِّينِ .

الراجي : السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

١ـ يقول : «إن كنتُ شوكاً أو وردة ، فإنّ هناك من يتعاهد المرج و يزيّنه ، و إنّما أنمو وأترعرع تبعاً لليد التي تتعاهدني !» .



فهرس التأليفات



بسم الله الرحمن الرحيم

تقوم مؤسّسة ترجمة ونشر

(دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة)

من تأليفات

العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

بنشر وترجمة كتب سماحته وهي كالآتي :

دورة المعارف :

معرفة الله (١) (الله شناسى)	ثلاثة أجزاء
معرفة الإمام (٢) (امام شناسى)	ثمانية عشر جزء
معرفة المعاد (٣) (معاد شناسى)	عشرة أجزاء

دورة العلوم :

الأخلاق و الحكمة و العرفان (٤)

١ ـ رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

(رسالهٔ سير و سلوک منسوب به بحر العلوم)

٢ ـ رسالة لبّ اللباب في سير وسلوك أُولي الألباب

(رسالهٔ لُبّ اللباب در سير و سلوك أُولى الألباب)

٣ ـ التوحيد العلميّ والعينيّ (توحيد علمى و عينى)

٤ ـ الشمس الساطعة (مهر تابان)

٥ ـ الروح المجرّد (روح مجرد)

الأبحاث التفسيريّة (٥)

١ ـ رسالةٌ بَديعةٌ في تفسير آية «ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ»

٢ ـ رسالة جديدة في بناء الإسلام على الشهور القمريّة (رسالهٔ نوين)

الأبحاث العلميّة والفقهيّة (٦)

١ ـ رسالة حول مسألة رؤية الهلال

٢ ـ وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام

(وظيفهٔ فرد مسلمان در احياى حكومت اسلام)

٣ ـ ولاية الفقيه في حكومة الإسلام — أربعة أجزاء

(ولايت فقيه در حكومت اسلام)

٤ ـ نور ملكوت القرآن (نور ملكوت قرآن) — أربعة أجزاء

٥ ـ نظرةٌ على مقالة بسط وقبض نظريّة الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش

(نگرشى بر مقالهٔ بسط و قبض تئوريک شريعت دكتر عبدالكريم سروش)

٦ ـ الرسالة النكاحيّة : تحديد النسل ضربة قاصمة لكيان المسلمين (وقد طبع الكتاب في طبعته الأُولى بهذا العنوان : «الحدّ من عدد السكّان ضربة قاصمة لكيان المسلمين»)

(رسالهٔ نكاحيّة : كاهش جمعيّت ، ضربه‌اى سهمگين بر پيكر مسلمين)

٧ ـ رسالة مسوّدة القانون الأساسيّ (نامهٔ پيش نويس قانون أساسى)

فهرس التأليفات

الأبحاث التأريخيّة (٧)

١ ـ لَمَعات الحُسين عليه السلام

٢ ـ الهديّة الغديريّة : رسالتان قاتمة ومشرقة

(هديّهٔ غديريّه : دو نامهٔ سياه و سپيد)

هذه هي مجموعة من الكتب التي أُلّفت من قِبل المؤلّف قدّس سرّه ، والتي بادرت « مؤسّسة ترجمة ونشر دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة » إلى ترجمتها وتقديمها تدريجيّاً إلى القرّاء المحترمين ، وهناك مجموعة أُخرى للمؤلّف لم تنشر بعد .

وللحصول على نظرة إجماليّة لهذه المؤلّفات ، يمكنكم الرجوع إلى نهاية الجزء الأوّل من هذا الكتاب .





